

كلية الشريعة والدراسات الإسلامية
قسم الدراسات العليا الشرعية
فرع العقيدة
مكة المكرمة

لقدّم الطالب بالضمي
المطلوب ٩
بإحدى المدارس

المستوفى للإرسال
موسم

٢١/٣
أحمد بن محمد



دور اليهود في إفساد العقيدة الإلهية والآثار التي ترتبت على ذلك

رسالة مقدمة لتبيل درجة الماجستير في العقيدة

إعداد

محمد إبراهيم

٢٠٠٢

إشراف

الدكتور الشيخ عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله بن

٩٧٧



١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م

(مِنْ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَاسْمِعْ غَيْرَ مَسْمُوعٍ وَارْعِنَالِيَا بِالْأَسْنَتِهِمْ وَطَعْنَا فِي الدِّينِ)
(النساء : ٤٦)

(لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ)
(آل عمران : ١٨١)

(اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهَبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمُّرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ)
(التوبة : ٣١)

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَطِيعُوا فَرِيقًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ)
(آل عمران : ١٠٠)

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

إنا الحمد لله ، نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ، وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ، وصلاة الله وسلامه عليه ، وعلى آله وصحبه وإخوانه أجمعين إلى يوم الدين .

أما بعد ، فقد كان من نعم الله على هذه الأمة أن بعث فيها رسولا من أنفسهم يتلو عليها آيات الرحمن ، ويبين لها طريق الهداية والرشاد من طريق الغي والضلال ، ليخرجهم من الظلمات إلى النور .

وقد أنزل الله على هذا الرسول كتابا يحمل في طيه نورا وهدى .

قال الله تعالى :

(... قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين . يهدي به الله من اتبع رضوانه سبيل السلام ويخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه ويهديهم إلى صراط مستقيم)

وقال عز وجل :

(هو الذي ينزل على عبده آيات بينات ليخرجكم من الظلمات إلى النور وإن -)

(٢)

الله بكم لرؤف رحيم) .

وقال جل جلاله :

(ألك كتاب أنزلناه إليك لتخرج الناس من الظلمات إلى النور بإذن ربهم)

(٣)

إلى صراط العزيز الحميد)

(١) المائدة : ١٦ .

(٢) الحديد : ٩ .

(٣) إبراهيم : ١ .

وقال عز من قائل :

(رسولا يتلوا عليكم آيات الله مبينات ليخرج الذين آمنوا وعملوا الصالحات من الظلمات إلى النور) . (١)

وهكذا أنزل الله هذا الكتاب لهداية الثقلين من الإنس والجن وليخرجهم من عبادة الأصنام والأوثان إلى عبادة الرحمن وخالق الأنام ، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام .

وقد بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الرسالة إلى الناس وأدى الأمانة ونصح الأمة ، وتركها على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك . وقد علم أصحابه ما يهمهم في شؤونهم الدينية والدنيوية ما قل منها وماكثر ، كما جاء ذلك في الحديث الصحيح الذي رواه مسلم في صحيحه ، حيث روى عن عبد الرحمن بن يزيد عن سلمان أنه قال : " قيل له : قد علمكم نبيكم صلى الله عليه وسلم كل شيء حتى الخرافة ؟ قال : فقال : أجل ، لقد نهانا أن نستقبل القبلة لغائط أو بول ، أو أن نستنجى باليمين ، أو أن نستنجى بأقل من ثلاثة أحجار ، أو أن نستنجى برجيع أو عظم " . (٢)

ودعا أهل الكتاب إلى ذلك ، وإلى كلمة سواء بأوضح برهان وأفصح بيان . قال تعالى حكاية عن ذلك :

(قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا ، ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله) . (٣)

(١) الطلاق : ١١ .

(٢) في كتاب الطهارة : ٥٧ ، ٥٨ .

(٣) آل عمران : ٦٤ .

ثم اعتنق هذا الدين رجال حملوا راية الدعوة الإسلامية ونشروها بين الناس ، وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ، وجاهدوا في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم ، لا يخافون في الله لومة لائم ، فنصروا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فانتشر الإسلام بفضل الله ثم بفضل جهود أولئك الأبرار في أنحاء المعمورة ، وسط سلطانه على وجهها .

هذا وقد لفت نظري وأثار إهتمامي في أثناء دراستي في السنة المنهجية وخاصة مادة " مقارنة الأديان " الدور الذي قام ويقوم به اليهود في إفساد العقيدة الإلهية ، والذي قد يستحيل على عقل الإنسان أن يصدق أنه وصدق الله العظيم إن قال :

(ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفاراً حسداً من عند أنفسهم من بعد ما تبين لهم الحق) . (١)

وإن قال جل جلاله :

(لتجدنَّ أشدَّ الناس عداوةً للذين آمنوا والذين أشركوا ولتجدنَّ أقربهم مودةً للذين آمنوا الذين قالوا إنا نصارى ذلك بأن منهم قسيسين ووهبانا وأنهم لا يستكبرون) . (٢)

دأب اليهود منذ القدم يعطون التهديم ، وتحريف مفاهيم العقيدة ومحاربة الدين . لقد قاوموا الإسلام وانتشاره منذ أن جاءهم ، إلا قلّة قليلة منهم ، وأعنى الإسلام هنا الدين المقبول عند الله عز وجل . ولم يأت إليهم نبي من الأنبياء إلا آذوه ، إما بالقول ، وإما بالفعل ويسلكون في ذلك كل سبيل يرون أنه يوصلهم إلى مطلوبهم . وكان أول -

(١) البقرة : ١٠٩ .

(٢) المائدة : ٨٢ .

الأنبياء الذين آمنوا بهم، وإذا شديداً هو نبي الله موسى عليه السلام ، لقد حاربوه وآذوه واقتروا عليه .

فكانوا إذا قال لهم : آمنوا بالله ، قالوا : " لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة " . ولما قال لهم : جاهدوا في سبيل الله ، وادخلوا الأرض المقدسة التي كتب الله لكم ، قالوا له : (اذهب أنت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون) . وإذا مروا على قوم يعبدون أصناما قالوا له : (اجعل لنا إلهاً كآلهتهم) . ولأجل ذلك أمر الله المؤمنين بمحمد خاتم الأنبياء والنبيا جميعاً صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين أن لا يحذوا حذو أولئك المفسدين إن قال سبحانه وتعالى :

(يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى فبرأه الله مما قالوا ، وكان عند الله وجيهاً) . (١)

ولما انتهى عهد موسى عليه السلام ، وموت عليهم أربعون سنة يتبعهم في الأرض ، دخلوا الأرض المقدسة التي كتب الله لهم بقيادة يوشع عليه السلام ، وأمرهم الله عندها على لسان نبيهم بأن يدخلوا باب المدينة ساجدين شكراً لله تعالى على ما أنعم عليهم من الفتح والنصر - وأن يقولوا " حطة " أي احطط عنا خطايانا ، لما أمرهم الله بذلك رفضوا ، أمثال أسره سبحانه وتعالى ، فدخلوا الباب يزحفون على أستاههم ، وقالوا حبة في شعيرة أو حنطة في شعيرة ، بدل من أن يدخلوا الباب ساجدين شاكرين لله تعالى ، وقائلين : اغفر لنا خطايانا .

لقد استمرت محاربة اليهود للعقيدة الإسلامية ولأصحابها على هذا المنوال ، فهم يحبون الفساد في الأرض ، ويسعون في انتشاره ، هذه

هى سجيّتهم ، عرفنا بها القرآن الكريم ، وأوضحتها لنا سنة محمد صلى
الله عليه وسلم ، وعظمتنا التجربة معهم عبر تاريخهم الطويل ، أن إفسادهم
قديم وحديث ، قديم لأنه بدأ من زمن بعيد فى تاريخ الحياة
وحديث لأنه مازال مستمرا ، وقد يبقى مستمرا مع استمرار البشرية ومقاء
حياتها إلى ماشاء الله ، لأن عداوتهم هذه متأصلة ومتمكنة فى نفوسهم
(ويسعون فى الأرض فسادا والله لا يحب المفسدين) . (١)

هكذا يؤكّد القرآن ، كما يؤيد ذلك الواقع الذى نعيشه اليوم .
من أمثلة إفسادهم فى العقيدة ، أنهم نسبوا إلى الله الولد إن قالوا :
(عزيز ابن الله) (٢) وإن قالوا : (نحن أبناء الله وأحباؤه) . (٣)
وأنهم نسبوا إليه الفقر إن قالوا : (إن الله فقير ونحن أغنياء) (٤)
وزعموا أنه بخيل حين قالوا : (يد الله مفلوطة) (٥) وهو كناية عن
البخل . ومن أمثلة ذلك إنتهاكهم حقوق الأنبياء ، وهو ما قصه الله
علينا بقوله :

(لقد أخذنا ميثاق بنى إسرائيل وأرسلنا إليهم رسلا ، كلما جاءهم
رسول بما لا تهوى أنفسهم فريقا كذبوا وفريقا يقتلون) . (٦)
وهل هناك فساد أكبر من هذا الفساد ، تكذيب بعض الأنبياء وقتل بعضهم .
إنهم قتلوا نبي الله زكريا وابنه يحيى عليهما السلام . وجاء فى الحديث

-
- (١) المائدة : ٦٤ .
 - (٢) التوبة : ٣٠ .
 - (٣) المائدة : ١٨ .
 - (٤) آل عمران : ١٨١ .
 - (٥) المائدة : ٦٤ .
 - (٦) المائدة : ٧٠ .

أنهم قتلوا ثلاثة وأربعين نبيا من أول النهار في ساعة واحدة : فقام
مائة رجل واثنان عشر رجلا من عبادهم ، فأمروا من قتلهم بالمعروف
ونهبهم عن المنكر ، فقتلوا جميعا من آخر النهار في ذلك اليوم . ذكر
هذا ابن جرير الطبري في تفسيره (١) ، كما أنهم حاولوا قتل نبي الله
عيسى عليه السلام ، ثم أخيرا حاولوا قتل خاتم النبيين وإمام المرسلين
محمد صلى الله عليه وسلم مرارا مرة بالقتل ، ومرة بالسحر ، ومرة بالسم .
كان هذا هو عظمهم مع أنبياء الله ورسله والصالحين من عباد الله ، ولم
يتخلف عن هذا إلا جرام الإقالة قليلة منهم .

وهكذا كان اليهود ، وهكذا يكونون إلى ما شاء الله .

إنهم هم الذين أوجدوا " بطس " الذي نسخ الديانة المسيحية وحولها
من كونها ديانة توحيد إلى ديانة وثنية ، حتى صار معتقدوها وثنيين .
وهم الذين زرعوا في قلب العالم الإسلامي " عبد الله بن سبأ " الذي
قام بدوره بتأسيس المذاهب الباطنية في وسط المجتمع الإسلامي ، حتى
كادت تلك المذاهب أن تزيل العقيدة الإلهية من قلوب المسلمين ، لولا
فضل الله على المسلمين بحفظ كتابهم الذي هو خير حارس لعقيدتهم .

وإن مجال بحث دور اليهود في إفساد العقيدة الإلهية ، ومحاولاتهم
التي قاموا بها في ذلك مجال معقد . وشأنك بالنظر لما يكتنفه من غموض
وتشعبات ، ولما يحيط به من سرية تامة ، وأخذ وردة ولكن مع ذلك
فلدينا أمور جليلة لا تخضع لتلك الظروف السرية ، فقد أظهر الله عيوب
هؤلاء القوم ، وكشف أخطارهم لعباده المؤمنين .

(١) انظر جامع البيان ٢/٢١٦ .

إن ما نشهده اليوم أو أكثره في العالم الإسلامي من تحريف وتبديل للحقائق الدينية لها علاقة باليهودية العالمية . من ذلك الفرق الباطنية مع تنوع تسمياتها والتي جعلت لكل مصطلح إسلامي معنيين أو أكثر : معنى ظاهر ومعنى باطن ثم معنى باطن الباطن ، وكان هدفهم من وراء ذلك الغاء معاني المصطلحات الإسلامية ، حتى يتسنى لهم إفساد الشعائر الدينية ، وأرى أن أكثر الأفكار المعادية للإسلام وراءها يهود ، إما بطريق مباشر أو عن طريق عملائهم الذين يستخدمونهم في قلب العالم الإسلامي .

إن من أنعم النظر في الحوادث المعاصرة على ضوء الماضي يقرر أن هناك ارتباطا عظيما وتشابها واضحا بين ما حدث بالأمس وبين ما يحدث اليوم ، وإن اختلفت الشعارات والسميات .
وما لا شك فيه أن اليهودية العالمية بعد ما قامت بتقويض العقيدة الصحيحة وتهديمها ، قامت أيضا بتقسيم البشرية إلى معسكرات متنازعة متناحرة ، تتصارع فيما بينها بشكل جنوني يرش له ، وشت السموم والشقاق والنزاع داخل الأسرة الواحدة ، والبلد الواحد ، وأشاعت الحقد والبغضاء بين أبناء الدين الواحد حتى تتقوض جميع مقومات المجتمع العقديّة والأخلاقية .

قال الشيخ محمد رشيد رضا رحمه الله : « لولا أن الإسلام حق بذاته مؤيد بتأييد الله محفوظ بحفظه ، لم تبق منه بقية ، تصارع قوى الشر في الأرض التي ماتركت سبيلا من المكر به ، ولا سبيلا لطفاء نوره إلا أخذت به ، ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين . » (١) (٢)

(١) انظر نفاذ آية ٣ .
(٢) مكاييد يهودية عبر التاريخ لأستاذ عبد الرحمن حسن الميداني ص ٣ .

"سبب اختياري هذا الموضوع"

مع كون هذا الموضوع موضوعا عموما وخطيرا في نفس الوقت فقد اخترته أن يكون موضوع دراستي وحتى لأسباب منها :

١ - أنه لما كنت في السنة المنهجية كان مقررا عليّ مادة "مقارنة الأديان" . وقد لفت نظري وأثار اهتمامي - كما سبق أن ذكرت - أثناء دراستي لتلك المادة "دور اليهود في إفساد العقيدة الإلهية وكنت أشعر في نفسي أنه ينبغي دراسة هذا الموضوع دراسة شاملة وعميقة ، واعتقدت أن هذا ربما يكون واجبا علي نفسي نحو ديني وأمتي ، وأنه من الخير أن أتبع دور هؤلاء في هذا المجال حتى أصل إلى معرفة حقيقة ما يكيدون للإسلام من خيانة ومؤامرة .

٢ - أن هذا الموضوع لم يكتب فيه - على حد علمي - ما فيه الكفاية ومشكل مفصل وشامل ، إذ أن كتب الأديان التي تناولت هذا الموضوع كانت تبحث عن بعض جوانبه ، وبعض القضايا في العقيدة من غير إيراد أسباب انحراف اليهود عن العقيدة الإلهية فأحببت أن أحاول تحقيق ذلك بالتفصيل المطلوب والشافئ للخليل ، وكنت أرجو أن يوفقني الله إلى ذلك .

٣ - اعتقاد بعض الناس أن ما ينسب إلى اليهود من إفساد وتحريف ليس بصحيح ، وأن ذلك دعاية لليهودية العالمية . وقد شغلتني هذه الفكرة خلال دراستي مادتي "مذاهب فكرية معاصرة و"مقارنة الأديان" . فأردت أن أصل إلى الحقيقة ، وخاصة ما يتعلق في جانب العقيدة ، وأن أبطل ذلك الزعم ، وأرد علي أولئك المشككين

الذين لم يقفوا على الحقيقة الأصلية ، ولم يدركوا ماتكه اليهودية العالمية للعالم الإسلامي .

نعم إن إسناد كل صغيرة وكبيرة مما يحدث في العالم من إفساد إلى اليهود ليس بصحيح ، كما فعل صاحب كتاب " أحجار على رقعة الشعرنج " حيث زعم أن كل جريمة وقعت على وجه الأرض وراءها يهود فهذا فيه مبالغة لا يقبلها العقل ، ولكن الذي لا شك فيه أنه أكثر ما حدث في الأرض من إفساد سببه اليهود ، سواء أكانوا فيه سببا مباشرا أو غير مباشر ، وخاصة ما يتعلق بالعقيدة الإلهية .

هذا وقد اعترضتني بعض الصعوبات في خلال بحثي ودراستي لهذا الموضوع ، ولم أستطع التغلب عليها ، منها :

أولا : قلة المصادر ، أو المراجع الكافية التي تقدم للدارس النظرة الإسلامية بشكل واسع ومفصل ، ويلاحظ القارئ هذا عند قراءة الفصل الأخير من الباب الأول ، وقد مكنت في هذا الفصل أدرس وأبحث فيه قرابة أربعة أشهر ، ومع ذلك فإني أرى أنني ما حققت ما كان يجول في خاطري ، وما كنت أتمناه وأرعى إليه .

ثانيا : عدم معرفتي باللغة الأجنبية معرفة تمكنني من الاطلاع على المصادر التي كتبت بها والاستفادة منها ، وهو الأمر الذي حال بيني وبين تلك المراجع الأجنبية ، وهذا لم يكن أمرا هينا بالنسبة لي .

كيف سار هذا البحث

وقع البحث في أربعة أبواب ، إضافة إلى مقدمة وخاتمة .

الباب الأول

موضوعه ، اليهود وتحريفهم لما جاء به موسى عليه السلام .

وجعلته على ثلاثة فصول :

الفصل الأول : أثبت فيه نظوة عامة حول العقيدة ، وفى هذا الفصل

سبعة مباحث :

المبحث الأول : تعريف العقيدة لغة واصطلاحاً .

المبحث الثانى : تحدث فيه بصورة إجمالية عن العقيدة الإلهية التى

جاء بها الأنبياء والمرسلون صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ، ونيت فيه أن العقيدة الإلهية منذ آدم أبى البشر عليه السلام ، إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها هى عقيدة واحدة ، وهى عقيدة إسلام (أن اعبدوا الله مالكم من إله غيره) (١) . وأن أصل الدين واحد وأن اختلفت الشرائع والفروع (إن الدين عند الله الإسلام) . (٢)

المبحث الثالث : ذكرت فيه عقيدة بنى إسرائيل الأولى التى جاء بها

موسى عليه السلام ، وأوضحت فى هذا المبحث أن العقيدة التى جاء بها موسى عليه السلام كانت هى الأخرى عقيدة إسلامية ، وليست التى يعتنقها اليهود اليوم .

المبحث الرابع : عرضت فيه إنحراف اليهود عن هذه العقيدة الصحيحة

بعد وفاة موسى عليه السلام .

المبحث الخامس : ذكرت فيه عبادتهم للعجل الذى صنع لهم السامرى .

(١) المؤمنون : ٣٢ .

(٢) آل عمران : ١٩ .

المبحث السادس : تحدث فيه عن التوراة عند اليهود وعند النصارى

وعند المسلمين .

المبحث السابع : تعرضت فيه لتحريفهم التوراة ، وبينت أعمال أجبارهم

فى كلام الله عز وجل ، وكيف أنهم غيروا ودلوا بعدما عقلوا وهم يعلمون .

وضربت لذلك أمثلة فيما يتعلق بذات الله سبحانه وتعالى ، وما يتعلق

بمعصية الأنبياء ، وأوضحت أن تحريفهم هذا كان مقصودا ومتعمدا

ولم يكن عن غفلة ونسيان .

الفصل الثانى : أثبت فيه العوامل النفسية لإنحراف اليهود العقصى

وقسمت هذا الفصل إلى سبعة مباحث أيضا :

المبحث الأول : ذكرت فيه تأثيرهم بالوثنية الفرعونية وعقائدها .

المبحث الثانى : تعرضت فيه لحسد عمل المفرط الذمى الذى أعى أبصارهم

وغشى على قلوبهم .

المبحث الثالث : تحدثت فيه عن حبهم الشديد للمال ، وذكرت أن ذلك

كان سببا لمعظم إنحرافاتهم .

المبحث الرابع : ذكرت فيه رغيتهم الشديدة فى الفسق والفجور والعصيان .

المبحث الخامس : تكلمت فيه عن حبهم الشديد للحياة الدنيا ، وتعلقهم

بها ، وكيف أن ذلك أفسد عليهم الإيمان باليوم الآخر ، يوم الحساب

والجزا* .

المبحث السادس : أثبت فيه عقدة الاستعلاء عند بعضى إسرائيل على

البشرية جمعاء* .

المبحث السابع : تكلمت فيه حول نشأة فكرة الغلو فيهم ، وفكرة أنهم شعب

لله المختار .

الفصل الثالث : ذكرت فيه اختلاف فرق اليهود حول قضايا اعتقادية .

وتعرضت فيه لأهم فرقهم وهى :

الفريسية ، والصدوقية ، والسامرة ، والعنانية . ونيت فيه اختلافهم فيما يتعلق بالعهد القديم وأسفار التلمود ، والأحاديث الشفوية المنسوبة إلى موسى عليه السلام ، وما يتعلق بمسائل القضاء والقدر وما يتعلق بمسائل البعث والنشور ، والحياة الأخرى ، وما يتعلق بقضية عصمة الحاخامات ، واعتبار أقوالها وحيا من الله تبارك وتعالى أم لا وكذلك ذكرت اختلافهم حول المسيح المنتظر ومجيئه .

وقد واجهتني في بحث هذا الفصل صعوبات كثيرة ، وأهمها - كما أشرت إليه سابقا - قلة المصادر .

الباب الثانى :

وقد تحدثت فيه عن إفساد اليهود العقيدة المسيحية .

وجاء هذا الباب في فصلين :

الفصل الأول : ذكرت فيه العقيدة التى أنزلت على عيسى عليه السلام وبنيت فيه أنها كانت عقيدة إسلامية ، وأن دعوة عيسى عليه السلام كانت دعوة توحيد ، وأنه كان عبد الله ورسوله ، وكلمته ألقاها إلى مريم هروح منه وليس كما يزعمه النصارى أو يعتقدونه فيه وفى أمه .

وجعلت هذا الفصل فى ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : تحدثت فيه عن إنحراف بنى إسرائيل عن العقيدة الصحيحة قبل عيسى عليه السلام .

المبحث الثانى : ذكرت فيه العقيدة التى جاء بها عيسى عليه السلام ودعا إليها .

البحث الثالث : تعرضت فيه لموقف بنى إسرائيل من دعوة عيسى عليه السلام .

الفصل الثانى : تحدثت فيه عن المسيحية بعد عيسى عليه السلام ووزعت هذا الفصل إلى أربعة مباحث :

البحث الأول : ذكرت فيه العقيدة فى عهد الحواريين رضوان الله عليهم جميعا ، وبينت فيه أن عهدهم كان إمتداد لعهد المسيح عليه السلام .

البحث الثانى : تحدثت فيه عن شاول " بولس " اليهودى وتحريفه عقيدة المسيحيين ، وكيف أنه أخرجها من العقيدة الإلهية إلى العقيدة الوثنية .
البحث الثالث : تكلمت فيه عن الإمبراطور الرومانى " قسطنطين " وأخذته بفكرة بولس بعد إعلانه الدخول فى النصرانية ، وبينت إرساءه القواعد النصرانية ، وخاصة نصرانية بولس وعقيدته الوثنية .

البحث الرابع : تعرضت فيه لمجمع نيقية ، وما جرى فيه من قرارات وتوصيات من قبل وفود الكنائس .

الباب الثالث

فى هذا الباب تعرضت لمحاولات اليهود إفساد العقيدة التى جاء بها

خاتم النبيين والمرسلين محمد صلى الله عليه وسلم . وجعلته على فصلين :

الفصل الأول : تحدثت فيه عن محاولاتهم فى عهد رسول الله صلى الله عليه عليه وسلم ، وما قاموا به من فتن وتشكيك لبليلة أفكار المسلمين وإضلالهم ومحاولتهم فتنة رسول الله صلى الله عليه وسلم عن بعض ما أنزل الله عليه عليه ، وضربت لذلك أمثلة .

الفصل الثانى : ذكرت فيه محاولاتهم إفساد العقيدة الإلهية بعد عصر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وتحدثت فيه عن محاولاتهم فى عهد عثمان وطلحى رضى الله عنهما ، وماضى بعد ذلك من أحداث .

ووزعت الفصل إلى مبحثين :

المبحث الأول : تحدثت فيه عن " عبد الله بن سبأ " ودوره فى محاولة إفساد عقيدة المسلمين ، ومينت فيه يهوديته ، وأنه من شجرة بطس اليهودى من حيث المبدأ .

المبحث الثانى : تعرضت للفرق الباطنية ودورها فى محاولة إفساد العقيدة الإلهية ، كما بينت عقائدها الفاسدة فيه ، وأوضحت اعتقاداتهم فى التوحيد ، والنبوات ، والمعاد ، والجنة ، والنار ، والقرآن ، والإمامة ، والظاهر والباطن .

الباب الرابع

موضوعه الآثار التى ترتبت على إفساد اليهود العقيدة الإلهية ونشر الإلحاد والكفر بالله واليوم الآخر .

واشتمل هذا الباب على ثلاثة فصول :

الفصل الأول : تعرضت فيه للآثار التى ترتبت على إفساد اليهود لعقيدتهم وتحدثت فى هذا الفصل عن كفرهم بالله سبحانه وتعالى ، وكفرهم باليوم الآخر ، وإفسادهم فى الأرض ، وقسوة قلوبهم ، وعدم انتفاعهم بهدى الله سبحانه ، وضرب الذلة عليهم ، وطردهم من رحمة الله أخيراً ، وجعلت ذلك فى سبعة مباحث .

الفصل الثانى : تعرضت فيه للآثار التى ترتبت على إفساد اليهود العقيدة المسيحية ، وجعلته على مبحثين :

المبحث الأول : أوضحت فيه كيف أن النصارى كفروا بالله عز وجل نتيجة

تحريف اليهود عقيدتهم .

المبحث الثاني : ذكرت فيه اتخاذهم رهبانهم أربابا من دون الله

نتيجة لتلك التحريفات .

الفصل الثالث : تحدثت فيه عن الآثار التي ترتبت على محاولات اليهود

إفساد العقيدة الإسلامية التي جاء بها خاتم الأنبياء صلاة الله وسلامه

عليهم أجمعين ، وجاء هذا الفصل في مبحثين **أجمع** هما **خاتمة الرسالة** .

المبحث الأول : الإسرائيليات وأثرها في تفسير كلام الله عز وجل .

المبحث الثاني : ذكرت فيه تخلف المسلمين عن موكب الحياة نتيجة لتلك

المحاولات .

نصائح

تحدثت فيها عن وجوب عودة المسلمين إلى العقيدة الصحيحة والسليمة

وما يجب عليهم في هذا العصر حتى يستطيعوا الوقوف أمام أعدائهم الذين

يريدون إطفاء نور الله بأفواههم ، وحتى يستردوا ما فقدوه من عزة وكرامة

ولم أتعرض في الخاتمة لذكر نتائج البحث كما هو في العادة ، لأن ذلك

يفنى عنه ما ذكرته في الباب الأخير من الرسالة .

﴿ هذا وإن أملنى فى الله عز وجل كبير فى أن أكون قد وفيت هذا الموضوع

حقه من العناية والبحث ، وكل ما أرجوه من الله عز وجل هو أن يتقبل

منى هذا العمل خالصا لوجهه الكريم ، وأن ينفع بهذه المحاولة المتواضعة

من يسلك هذا الطريق من بعد لنصل إلى حقيقة من حقائق الأعداء ۞

وإنى أتوجه بالطاعة والشكر لله رب العالمين الذى وفقنى لإتمام هذه

الرسالة وأعاننى عليه ، والشكر لله أولا وآخرا وظاهرا وباطنا ، فهو الأول -

الذى ليس قبله شئ* ، والآخر الذى ليس بعده شئ* ، والظاهر الذى
ليس فوقه شئ* ، والباطن الذى ليس دونه شئ* ، وهوبكل شئ* عليم
ومفضله تتم الصالحات .

وانى أشكر من بعده المسئولين فى الجامعة وعلى رأسهم الدكتور
راشد بن الراجح الشريف مدير الجامعة .

كما أشكر القاعمين على عمادة كلية الشريعة والدراسات الإسلامية .
كما أتوجه بالشكر الجزيل الى أستاذى فضيلة الشيخ عبد الرحمن حسن
خبرك الميدانى المشرف على هذه الرسالة على الرعاية والعناية التى شطبنى
بها ، والتوجيهات المفيدة التى أرشدنى إليها ، ولقد قام فضيلته بدور
كبير لاخراج هذه الرسالة الى حيز الوجود حيث إنه أعطانى كثيرا من وقته
الثمين ، وقد أحسن فى ذلك جزاء الله نيرا .

كما أتوجه بالشكر الى كل من قدم لى مساعدة .

جزى الله هؤلاء* جميعا عني وعن المسلمين خير الجزاء* إنه سميع
مجيب الدعاء .

ومنه أستلهم العون والسداد فهوولى التوفيق والقادر على كل شئ* .

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم والحمد لله رب

العالمين

حسن محمد ابراهيم

الباب الأول

اليهود وتحريفهم لما جاء به موسى عليه السلام .

الفصل الأول : نظرة عامة حول العقيدة .

الفصل الثاني : العوامل النفسية لانحراف اليهود العقدي .

الفصل الثالث : اختلاف فرقهم حول قضايا إعتقادية .

الفصل الأول

"نظرة عامة حول العقيدة".

- ١ - تعريف العقيدة .
- ٢ - إجمال العقيدة التي جاء بها الأنبياء والمرسلون .
- ٣ - عقيدة بنى إسرائيل الأوطى .
- ٤ - انحراف اليهود عن عقيدتهم بعد موسى عليه السلام .
- ٥ - عبادتهم العجل .
- ٦ - التوراة .
- ٧ - تحريفهم للتوراة .

١ - تعريف العقيدة

أ - تعريف العقيدة لـ لغة :

- العقيدة مأخوذة من فعل " عقد " والعقد نقيض الحل ، يقال : عقد الحبل فهو معقود ، وعقدت الحبل والبيع والعهد فانهقد .
(١)
- والذى صرح به أئمة الاشتقاق ، أن أصل العقد نقيض الحل ، ثم استعمل في أنواع المعقود من البيوعات وغيرها ، ثم استعمل في التصميم والاعتقاد الجازم .
(٢)
- ومعنى العقد في اللغة : الربط والتوثيق ، ويأتى على معنى التأكيد ، يقال عقدت الحبل إذا وثقته وشددته ، وأحكمت فتله ، بحيث إذا تركته لا ينتقض ، فهو يدور حول معنى الربط والتأكيد ، والاستيثاق .
- » والعقيدة تجمع على العقائد ، وهى ماعقد عليه القلب والضمير ، والمعتقد مصدر ميمي ، بمعنى الاعتقاد ، ومايعقده الإنسان من أمور الدين ،
(٣)
- قد ورد في القرآن مايدل هذا المعنى أى المعنى اللغوى : قال تعالى فى كتابه الكريم : (لا يؤاخذكم الله باللغو فى أيمانكم ، ولكن يؤاخذكم بماعقدتم الأيمان) .
(٤)
- قال الإمام الشوكانى فى تفسير هذه الآية : « أى ولكن يؤاخذكم بأيمانكم
(٥)
- المعقدة الموشوقة بالقصد والنية إذا حنثتم فيها » .

-
- (١) انظر لسان العرب مادة عقد .
 - (٢) انظر شرح القاموس مادة عقد .
 - (٣) دائرة معارف القرن العشرين محمد فريد وجدى ٦ / مادة عقد .
 - (٤) المائدة : ٨٩ .
 - (٥) فتح القدير فى الجمع بين الرواية والدراية فى التفسير ٢ / ٧١ .

والمعقد يجمع على العقود ، كما جاء ذلك في القرآن الكريم . قال تعالى :

(١)

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ) .

وأصل العقود : الربوط ، فهو يستعمل في الأجسام والمعاني ، وإذا استعمل

(٢)

في المعاني كما هنا أفاد أنه شديد الإحكام ، فالعقود إذاً أوثق العهود .

ب - تعريف العقيدة اصطلاحاً :

أما العقيدة في الاصطلاح فهي : ما نعتقد عليه القلب من الأفكار والمعاني

دون شك فيه لدى معتقده ، سواء وافقت الحق والواقع أو خالفته ، أو كانت باطلا

يكل عناصرها ، كمقيدة المؤمن في وجود الله تعالى ، وصفاته الكمالية ، ومعرفة

رسله ، ونزول كتبه وغير ذلك من أركان الإيمان ، أو عقيدة النصراني بأن عيسى ابن

الله ، أو عقيدة الوثني بأن الوثن ينفعه أو يضر . (٣)

فالعقيدة تتضمن معنى ارتباط الفكرة أو المعنى بالقلب ارتباطاً أشد المنعقد

بالشيء الآخر ، فهو لا ينفك عنه لحظة واحدة ، وطمى هذا فالمفهوم اللغوي للعقيدة

له صلة قوية وثيقة بمفهومها الاصطلاحى ، ولهذا فليس من السهل مطلقاً

أن يرجع الإنسان عن عقيدته بالإكراه ولو اجتمع على إكراهه أهل الأرض بكل وسائلهم .

وتطلق العقيدة على مجموعة الأفكار والمفاهيم التي ينعقد القلب الأخذ بها

والعقيدة الحق هي : مجموعة من قضايا الحق البديهية والنظرية المسلمة بالعقل

والسمع أو بأحدهما ، يعتقد عليها الإنسان قلبه وثنى عليها صدره ، جازماً بصحتها

قاطعاً بوجودها وثبوتها ، ويرى نقيضها أو ضدها باطلاً ، وهو الأمر الذي يجب

أن يصدق به القلب ، وتطمئن إليه النفس حتى يكون يقيناً ثابتاً لا يمازجه ريب

ولا يخالطه شك .

(١) المائدة : ١ .

(٢) انظر فتح القدير للشوكاني ٤/٢ .

(٣) انظر المصادر التالية : عقيدة المؤمن أبو بكرها برالجزائري

ص ١٩ ، والعقائد الاسلامية السيد باهم ص ٨ ،
وعن العقيدة السيد باهم ص ١٩ ، السيد باهم ص ١٩ ،
أحمد الحفاجي ص ٩ .

يقول الشيخ محمود شلتوت : " العقيدة هي الجانب النظري الذي يطلب

(١)

الإيمان به أولاً قبل كل شيء ، وإيماننا لا يرتقى إليه شك ولا تؤثر فيه شبهة " .

لذا نرى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حينما عرضت عليه قریش المال والشرف

والطك والطب إن كان به رضى ، لإغرائه برفض هذا الطلب وهذا العرض ، ويضرب

به عرض الحائط ، فيقول له عمه أبو طالب : يا ابن أخي ، إن قومك جاءوني فقالوا

لى : كذا وكذا للذى كانوا قالوا له ، فأبقى على وطنى نفسك ، ولا تحطنى من الأمر

مالا أطيق ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " ياعنى ، والله لو وضعوا الشمس

فى يمينى والقمر فى يسارى ، على أن أترك هذا الأمر حتى يظهره الله أو أهلك فيه

(٢)

ما تركته " .

وعرض عتبة بن ربيعة على رسول الله صلى الله عليه وسلم عرضاً قال فيها : يا ابن

أخى ، إن كنت إنما تريد بما جئت به من هذا الأمر مالا جمعنا لك من أموالنا حتى

تكون أكثرنا مالا ، وإن كنت تريد شرفاً سودناك علينا حتى لا نقطع أمراً ونك وإن كنت

تريد به ملكاً ملكناك علينا ، وإن كان هذا الذى يأتىك رثياً تراه لا تستطيع رده عن

نفسك طلبنا لك الطب ، ومذلنا فيه أموالنا حتى نبرئك منه ، فإنه ربما غلب التابع

على الرجل حتى يداوى منه ، أو كما قال له : حتى إذا فرغ عتبة ، رسول الله صلى

الله عليه وسلم يستمع إليه ، قال أقصد فرغت يا أبا الوليد ؟ قال نعم : قال فاسمع

منى قال أفعل ، فقال (بسم الله الرحمن الرحيم - حم ، تنزيل من الرحمن الرحيم

كتاب فصلت آياته قرآنا عربياً لقوم يعلمون) حتى انتهى رسول الله صلى الله عليه

وسلم إلى السجدة منها ، فسجد ثم قال : قد سمعت يا أبا الوليد ما سمعت ، فأنت

(٣)

وذاك " .

(١) الإسلام عقيدة وشريعة ص ٢٢ .

(٢) السيرة النبوية لابن هشام ٢٤٠/١ .

(٣) المصدر السابق ٢٦١/١ .

وهذا يدل دلالة واضحة على ثبوت العقيدة التي تعلقت بقلب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعلى إيمانه ، إيماننا يقينياً قطعياً لا يقبل شكاً أو جدلاً وكذلك كانت عقيدة كل رسل الله وأنبيائه صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين . وأتباعهم الصادقين .

هذا هو تعريف العقيدة لغة واصطلاحاً ، ولكن السؤال الذى يطرح نفسه هو : هل ورد هذا المفهوم ، وهذا العرف فى القرآن الكريم والسنة المطهرة ؟ إذا تتبعنا آيات القرآن والأحاديث النبوية ، لعلمنا لانقف على هذا المفهوم فيهما ، أو بعبارة أخرى على هذا الاصطلاح ، وإنما نجد اصطلاحاً آخر ، وهو : " الإيمان " ، فقد عبر القرآن والسنة عن العقيدة بالإيمان ، وعبر عن أحكام التكليف بالشرعية والعمل الصالح ، قال تعالى :

(١)

" إِنْ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا " .

(٢)

وقال عز وجل : " الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَى لَهُمْ وَحَسَنَ مَا أَجْرُهُمْ " .

(٣)

وقال عز من قائل : " وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ " .

والشرعية مأخوذة من قول الله تعالى : (شَرَعْنَاكَ مِنْ الْدِينِ مَا وَصَى بِهِ نُوْحًا

وَالَّذِى أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ ، وَمَا وَصَيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا

(٤)

فِيهِ) . ومن قوله تعالى : (ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِنَ الْأُمُورِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ

(٥)

أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ) .

والعقيدة من حيث هى عقيدة متعلقة بالقلب ، قد تطمئن إليها النفس

وتستحسنها ، بصرف النظر عن دليلها من حيث الثبوت وعدمه ، لأن القضية قضية

(١) الكهف : ١٠٧ .

(٢) الرعد : ٢٩ .

(٣) المائدة : ٩ .

(٤) الشورى : ١٣ .

(٥) جاثية : ١٨ .

فكرية ، فإن كانت موافقة للواقع فهي صحيحة ، وإن كانت مخالفة للواقع فهي باطلة وغير مقبولة ، وذلك يكون باعتبار دليلها ، فإن كان دليلها ثابتا وبقينا كانت صحيحة ومقبولة ، وإن كان دليلها وهميا كانت باطلة وفاسدة ، فهي على حسب برهانها ، أما الأولى فيطمئن إليها القلب إطمئنا نا تاما لا يزغزه شيء ، وأما الثانية فهي عرضة للشكوك والأوهام ، لأنها لا تعتمد على أساس سليم ، وطى مسلك مستقيم فثبوت العقيدة يختلف باختلاف مسالكها .

قال الشيخ عمر الرضى ^{عنه} "فعلينا إذا فى المسلك العلمى السليم أن نبحت فى سلامة الطريق التى توصل إلى أعماق نفوسنا آية عقيدة من العقائد ."

فإن كانت طرقا سليمة ، كانت معتقداتنا مرضية مقبولة ، جديرا بها أن تتمركز فى أعماق النفس ، وأن توجه السلوك وتحرك العواطف ، وإن كانت ظنوننا غالبية وضعناها فى موضع الظنون الغالبة القابلة للتعديل والتبديل والنسخ ، عند ورود اليقين أو الظن الأقوى ، ولا نسمح لها أن تتمركز فى مراكز العقائد الراسخة التى لا تقبل التعديل والتبديل . (١)

ومن المستدلين من يسلك مسلك الأوهام أو التقاليد العمياء أو الظنون الضعيفة فتكون العقيدة فى نفوسهم غير ذات أساس سليم ، وغير مقبولة لدى ذوى العقول الصحيحة السليمة ، ومن ثم غير مقبولة عند الله تبارك وتعالى .

أما إذا كانت العقيدة تعتمد على مسلك اليقين النقلى والعقلى أو دليل آخر من أدلة العقيدة لليقين العلمى ، فإنها حينئذ تكون ذات أساس سليم ، ومقبولة عند الله عز وجل . والخلاصة : العقيدة هى فكرة يطمئن إليها القلب ويكون لديه آمن من خطئها ، وهى :

(١) العقيدة الإسلامية وأسسها للأستاذ عبد الرحمن الميدانى ص ٣٠ .

- ١ - تنعقد في القلب فتسمى (عقيدة) وهذه التسمية للإيمان محدثة .
- ٢ - يطمئن القلب لصحتها فتسمى (إيمانا) وهو الاصطلاح القرآني ، وهي قد تكون صحيحة إذا وافقت الحقيقة ، وطمنا بموافقتها الحقيقة دليله : الحسن والعقل والخير الصادق ومنه الوحي .
- وقد تكون باطلة ، وذلك عندما تكون مخالفة للحقيقة ولو ظننها معتقدها حقيقة واطمأن إليها .
- (لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله (١)
فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها) (٢)
(أقبالباطل يؤمنون ومنعمة الله هم يكفرون)

(١) البقرة : ٢٥٦ .

(٢) النحل : ٧٢ .

٢ - إجمال العقيدة التي جاء بها الأنبياء والمرسلون .

إن العقيدة التي جاء بها المرسلون منذ آدم إلى رسول الله محمد صلى عليهم وسلم ، هي عقيدة الإسلام ، وهي : الإيمان بالله وحده والإيمان بالملائكة والكتب والرسل واليوم الآخر ، والقدر خيره وشره ، وتوحيد الله في عبادته وفي ملكه وخلقه ، وفي أسمائه وصفاته ، لقد كانوا متفقين على هذه الأصول اتفاقاً كاملاً وإن كانوا مختلفين في الشرائع ، قال تعالى مخبراً بذلك وكاشفاً عن هذه الحقيقة ومقررّاً حالة الناس في حياتهم الأولى :

(كان الناس أمة واحدة ، فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وأنزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه ، وما اختلف فيه إلا الذين أوتوه من بعد ما جاءتهم البينات بغيا بينهم فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق بإذنه والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم) .

فهذه الآية تشير إلى أن الناس كانوا على دين واحد وعقيدة واحدة منذ آدم عليه السلام ، ثم اختلفوا وأخذوا مذاهب شتى في معتقداتهم فأصبحوا ينحرفون عن الحقيقة ، وعن جادة الحق ، فعندها بعث الله إلى الناس رسلاً ليبينوا لهم طريق الحق والصواب من طريق الباطل والضلال ، وليبينوا لهم الإيمان الحق الذي يتفق مع الفطرة السليمة .

روى ابن جرير الطبري رحمه الله عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال : " كان بين آدم ونوح عشرة قرون كلهم على شريعة ، من الحق ، فاختلفوا ، فبعث النبيين مبشرين ومنذرين ، وعن قتادة في قوله تعالى : (كان الناس أمة واحدة) قال كانوا على الهدى جميعاً ، فاختلفوا ، فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين) .

ثم قال : (فكان تأويل على معنى قول هؤلاء " كان الناس أمة واحدة ودين

(١)

واحد ، فاختلفوا ، فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين) .

ومما ينبغي معرفته هو أن الأنبياء كانوا على نهج واحد في تقويم العقيدة

الإلهية ، فكان بعضهم يصدق بعضها ، ولم يكن أحد منهم يبطل معجزة آخر

حتى لو أتى نبي بمعجزة تشبه معجزة نبي آخر قبله ، فإنها لا تبطل معجزة ذلك النبي

ومعجزة كل واحد منهما آية له ، والآخر أيضا ، كما أن معجزات أتباعهم آية لهم .

يقول سيد قطب : " وقصص الأنبياء في القرآن تمثل موكب الإيمان في الطريق

المتد الواصل الطويل ، ويعرض قصة الدعوة إلى الله واستجابة البشر لها جيلا

(٢)

بعد جيل " .

وقد جاء في القرآن نصوص تؤكد وتبين وحدة الأنبياء ، وأنه يجب الإيمان بهم

جميعا ، كما أن جميع أصول الدين مثل ذلك .

قال تعالى وهو يقرر هذه الحقيقة : " يا أيها الذين آمنوا بالله ورسوله

والكتاب الذي نزل على رسوله والكتاب الذي أنزل من قبل ، ومن يكفر بالله وملائكته

(٣)

وكتبه ورسله واليوم الآخر فقد ضل ضلالا بعيدا " .

وقال تعالى : (إن الذين يكفرون بالله ورسوله - ويريدون أن يفرقوا بين الله

ورسوله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ، ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلا ، أولئك

(٤)

هم الكافرون حقا واعتدنا للكافرين عذابا مهينا ") .

فكيف لا تكون دعوتهم واحدة ومنهجهم واحدا وهم " رسل الله إلى عباده تعالى

بأوامره ونواهيه ، زيادة على ما اقتضته العقول وواجباتها ، والإزاما لما جاوزته من

(١) انظر جامع البيان ٢ / ٣٣٤ - ٣٣٦ .

(٢) في ظلال القرآن ١ / ٦٥ .

(٣) النساء : ١٣٦ .

(٤) النساء : ١٥٩ - ٥١ .

مباحاتها لما أراد الله من كرامة العاقل ، وتشريف أعماله واستقامة أحواله وانتظام مصالحه حين هياه للحكمة ، وطبعه على المعرفة ، ليجعله حكيما ، وبالعواقب
(١)
عظيما . هذا وقد كانت مهمتهم الأولى دعوة الناس إلى عبادة الله وحده ، لا شريك له
ومذلك أمر كل نبي أن يدعو قومه ، وأن يأمرهم بتوحيد الله في ذاته وصفاته
وأفعاله ، وتوحيد في العبادات فلا يعبدوا شيئا غيره ، وكان شعارهم الرئيسي
(يا قوم اعبدوا الله مالكم من إله غيره) .

قالها نوح عليه السلام وهو ينادي قومه ، قال تعالى حكاية عن ذلك (لقد
أرسلنا نوحا إلى قومه فقال يا قوم اعبدوا الله مالكم من إله غيره ، إني أخاف عليكم عذاب
(٢)
يوم عظيم) .

وقالها هود عليه السلام حينما أرسله الله إلى قومه - قال عز وجل في حقّه :
(٣)
(وإلى عاد أخاهم هودا قال يا قوم اعبدوا الله مالكم من إله غيره إن أنتم إلا مفترون) .
ونادى بها صالح قومه حين بعثه الله إليهم ، قال عز من قائل (وإلى ثمود
أخاهم صالحا ، قال يا قوم اعبدوا الله مالكم من إله غيره هو أنشاكم من الأرض واستعمركم
(٤)
فيها) .

ونادى بها شعيب قومه ، حين أرسل إليهم ، قال تعالى : (وإلى مدين
(٥)
أخاهم شعيبا ، قال يا قوم اعبدوا الله مالكم من إله غيره) .
وأمر الله بذلك نبيه وكليمه موسى عليه السلام إذ قال :
(٦)
(إني أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدني وأقم الصلاة لذكري) .

-
- (١) أعلام النبوة لأبي الحسن علي بن محمد الماوردي ص ٢٢ .
(٢) الأعراف : ٥٩ .
(٣) هود : ٥٠ .
(٤) هود : ٦١ .
(٥) هود : ٨٤ .
(٦) طه : ١٤ .

فالأمثلة في هذا الموضوع كثيرة ومتنوعة ، يكفينا هذا القدر لإثبات وحدة دعوة الرسل صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين فالتوحيد هو أول دعوة الرسل ، قبل كل شيء ، وقد اتفقوا على هذا الجانب وإن اختلفوا في بعض الشرائع ، لأن الغاية المقصودة من الدين هي عبادة الله سبحانه وتعالى ، وحده لا شريك له ، وهي حقيقة الدين وحقيقة الإسلام .

أما ما جاء مما يخالف المبدأ وهذه العقيدة مما اتخذته الناس دنيا فاعلم أنه تحريف وتبديل جاء من قبل الآدميين ، وخاصة ما يسمى اليوم بالديانة اليهودية أو النصرانية ، كما سيوضح لنا ذلك إن شاء الله تعالى .

لأن الله تبارك وتعالى قال في كتابه الكريم : (ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت فمنهم من هدى الله ومنهم من حقت عليه الضلالة فسيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين) .

وقال تعالى : - وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون (١) .

وقال عز وجل : (واسئلك من أرسلنا من قبلك من رسلنا أن جعلنا من دونه الرحمن) (٢) .

والعقيدة التي جاء بها المرسلون هي العقيدة الإسلامية لم تكن هناك عقيدة أخرى ، لا في الأولين ولا في الآخرين ، ولم تكن هناك ما يسمى يهودية ولا نصرانية ولا غيرها ولكن كان هناك إسلام ، وهو الدين الذي ارتضاه الله لنفسه ، وهو الذي بعث الله لأجله الرسل ، ولا يقبل من أحد دنيا غيره لا من الأولين ولا من الآخرين ، وهو دين الأنبياء جميعا ومن تبعهم إلى يوم الدين .

(١) النحل : ٣٦ .

(٢) الأنبياء : ٢٥ .

(٣) الرخرف : ٤٥ .

- وقد كانت عقيدة نوح عقيدة إسلامية . قال تعالى على لسانه وهو يعظ قومه :
(١)
- (فإن توليتم فما سألتكم من أجر إن أجرى إلا على الله وأمرت أن أكون من المسلمين) .
- وهذا أبو الأنبياء إبراهيم عليه السلام يعلن إسلامه حيث يقول تبارك وتعالى :
(٢)
- (إن قال له ربه أسلم قال أسلمت لرب العالمين) .
- وقام لوط يدعو قومه إلى الإسلام فما آمن إلا ابتلاه ، قال تعالى عن ذلك :
(٣)
- (فأخرجنا من كان فيها من المؤمنين ، فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين) .
- ويقول بها إبراهيم واسماعيل دعاء ونداء وهما يرفعان قواعد البيت (ربنا
(٤)
- واجعلنا مسلمين لك ، ومن ذريتنا أمة مسلمة لك) يحفظ لنا الكريم وصية مخلصة
- صدرت من قلب خليل الرحمن إبراهيم وحفيده يعقوب عليهما السلام لابنائهما ، قال
- تعالى : في ذلك : (ووصى بها إبراهيم بنبيه ويعقوب يا بني إن الله اصطفى لكم
(٥)
- الدين فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون) .
- وكلمة الإسلام نطق بها يوسف عليه السلام عندها جمع الله به إخوانه وأبويه
- بعد فراق طويل شاكرًا بذلك ربه سبحانه : (فاطر السموات والأرض أنت ولي فسي
(٦)
- الدنيا والآخرة توفني مسلماً وألحقني بالصالحين) .
- ونادى بها موسى عليه السلام وهو يدعو قومه إلى الإيمان بالله تبارك وتعالى :
(٧)
- (وقال موسى يا قوم إن كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا إن كنتم مسلمين) .
- ثم تأتى على السنة سحرة فرعون واتباع موسى إن قال تعالى : (ربنا أفرغ
(٨)
- علينا صبرا وتوفنا مسلمين) .

-
- (١) يونس : ٧٢ .
(٢) البقرة : ١٣١ .
(٣) الذاريا : ٢٥ - ٢٦ .
(٤) البقرة : ١٢٨ .
(٥) البقرة : ١٣٢ .
(٦) يوسف : ١٠١ .
(٧) يونس : ٨٤ .
(٨) الأعراف : ١٢٦ .

وقالت ملكة سبا معلنة إسلامها حين رأت قدرة الله وعظمته فيما أُعطي سليمان

(١)

عليه السلام : (رب انى ظلمت نفسى وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين) .

وينطق بها أتباع عيسى عليه السلام حين دعاهم اليها : (من أنصارى إلى الله

(٢)

قال الحواريون نحن أنصار الله آمنا بالله واشهد بأنا مسلمون) .

وقال تعالى وهو يؤكّد وحدة الرسالات ووحدة الرسل ووحدة ما جاء به ومبيناً

كذب من فوق بين الرسل صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين :

(وقالوا كونوا هوداً أو نصارى تهتدوا ، قل بل ملة إبراهيم حنيفاً وما كان من المشركين

قطبوا آمناً بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط

(٣)

وما أوتى موسى وعيسى وما أوتى النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون)

قال ابن جرير الطبري رحمه الله : " احتج الله لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم

بأبلغ حجة وأوجزها وأكملها ، وعظمها محمداً نبيه صلى الله عليه وسلم فقال : يا محمد

قل للقاتلين لك من اليهود والنصارى ولأصحابك : كونوا هوداً أو نصارى تهتدوا بل

تعالوا نتبع ملة إبراهيم التى تجمع جميعاً على الشهادة لها بأنها دين الله الذى

ارتضاه واجتبه وأمر به ، فإن دينه كان الحنيفية المسلمة وندع سائر الملل التى تختلف

فيها ، فينكرها بعضنا ويقرّبها بعضنا ، فإن ذلك على اختلافه لا سبيل لنا على الاجتماع

(٤)

عليه ، كما لنا السبيل إلى الاجتماع على ملة إبراهيم " .

ومن هنا يتبين لنا أن من طلب ديناً غير الإسلام ، فلن يقبل منه وهو نفسى

الآخرة من الخاسرين ، قال تعالى : (ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو

(٥)

فى الآخرة من الخاسرين) .

وقال : (ومن أحسن ديناً ممن أسلم وجهه لله وهو محسن واتبع ملة إبراهيم

(٦)

حنيفاً ، واتخذ الله إبراهيم خليلاً) .

(١) النمل : ٤٤ .

(٢) آل عمران : ٥٢ .

(٣) البقرة : ١٣٦-١٣٥ .

(٤) الطبري : ٥٦٤ / ١ .

(٥) آل عمران : ٨٥ .

(٦) النساء : ١٢٥ .

لقد زعم كل من اليهود والنصارى أنه لا يدخل الجنة أحد إلا إذا كان على ما هم عليه من دين ، فرد الله تعالى عليهم وأبطل حجتهم ، وأخبر أنه من أسلم وجهه لله وهو محسن ^{عليه} فله أجر عند الله يثاب ^{عليه} بفضله ، قال تعالى :

(وقالوا لن يدخل الجنة إلا من كان هودا أو نصارى تلك آمانيهم قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين ، بلى من أسلم وجهه لله وهو محسن فله أجره عند ربه ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون) .

وهذا يتبين لنا أن الإسلام هو دين الأولين والآخرين من النبيين والمرسلين إلى أن يورث الله الأرض ومن عليها .

إن توحيد الله يتطلب توحيد دينه الذى أرسل به رسله للبشر ، ويتطلب أيضا توحيد رسله الذين حملوا هذه الراية ، وهذه الرسالة للناس ، ومن هنا ^{كان} ينكر بوحدة الرسالة والرسل كافرا حقيقيا .

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية عند تفسير قوله تعالى : (ومن يمتنع غير الإسلام دينا فلن يقبل منه وهو فى الآخرة من الخاسرين) "عام فى الأولين والآخرين بأن دين الإسلام هو دين الله الذى جاء به أنبياءه وطيه عبادة المؤمنون (٢) .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ::

" الأنبياء إخوة من علات وأمهاتهم شتى ودينهم واحد " . . . (٤)

قال الدكتور يوسف القرضاوى : " إن هذه العقيدة ليست من مستحدثات الإسلام ولا مما ابتكره محمد رسول الله

صلى الله عليه وسلم ، وإنما هى العقيدة المصفاة التى بعث بها أنبياء الله جميعا ونزلت بها كتب الله قاطبة قبل أن ينال منها التحريف والتبديل ، وإنها الحقائق

(١) البقرة : ١١١ - ١١٢ .

(٢) إقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم ص ٤٥ .

(٣) رواه مسلم كتاب الفضائل ١٤٥ .

(٤) الإسلام علم على كل الأديان السماوية كما عرفناه ولكن ^{الدكتور يوسف القرضاوى} هنا يقصد الدينى

الذى جاء به محمد صلى الله عليه وآله وسلم .

الخالدة التي لا تتطور ، ولا تتغير عن الله وعن صلته بهذا العالم ، ما يبصر منه
وما لا يبصر ، وعن حقيقة هذه الحياة ، ودور الإنسان فيها ، وعاقبته بعدها
إنها الحقائق التي علمها آدم لنبيه وأعطى نوح فيها قومه ، ودعا إليها هود
وصالح عابا وشمودا ، ونادى بها إبراهيم وإسماعيل وإسحاق وغيرهم من رسل الله
وجاء تأكيدها في التوراة والزيور والإنجيل .

وكل ما فعله الإسلام هو أنه نقى هذه العقيدة من الشوائب الدخيلة ، صفها
من الأجسام الغريبة التي أدخلتها العصور عليها ، فكدت صفها وأفسدت
(١)
توحيدها .

(١) الإيمان والحياة د / يوسف القرضاوى ص ١٢٠ .

٣ - عقيدة بنى إسرائيل الأولى .

سبق بيان أن دين الأنبياء جميعا دين واحد ، وعقيدتهم عقيدة واحدة ، وموسى كان من أولئك الأنبياء ، لقد كانت عقيدته صافية من شوائب الشرك كما كان إخوانه الذين سبقوه مثل نوح وإبراهيم وإسحاق ويعقوب وغيرهم عليهم صلوات الله وسلامه. لقد بين القرآن الكريم قصة موسى عليه السلام بيانا شافيا من منذ ولادته إلى دخول بنى إسرائيل فى التيه ، كما تحدث عن المتاعب التى عاناها مع بنى إسرائيل هو وأخوه هارون عليهما السلام .

لقد أكد القرآن أنهما بلغا رسالة الله كما أمرا ، بلغا رسالة التوحيد وأمرا بنى إسرائيل أن يخلصوا العبادة لله تعالى وحده ، لقد أعطى القرآن صورة واضحة عن ذلك حيث قال :

(إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده ، وأوحينا إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وعيسى وأيوب ويونس وهارون وسليمان وآتيناهم (١) داود زبوراً) .

فهذه هى عقيدة المسلمين الأوائل ، وهى العقيدة التى كلف بنو إسرائيل أن يتصوروها تصورا سليما وصحيحا وصافيا يؤمنوا بها حتى لا تختلف عقيدتهم عن الأولين والآخرين من ركب أتباع الرسل عليهم الصلاة والسلام .

وهذا كانت عقيدة بنى إسرائيل الأصلية عقيدة التوحيد والإيمان بالله الواحد الأحد الفرد الصمد الذى لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد ، إله الأولين والآخرين وخالقهم ورازقهم ، العالم بكل شئ ، القادر على كل شئ ، والإيمان بالملائكة والكتب والرسل واليوم الآخر وما يتصل به من أمور الحساب والجزاء والثواب

والعقاب ، وهذه القضايا قد تحدث عنها القرآن فقال تعالى وهو يخاطب نبيه موسى عليه السلام : (إني أنا الله ، لا إله إلا أنا فاعبدني ، وأقم الصلاة لذكري ، إن الساعة آتية أكاد أخفيها لتجزى كل نفس بما تسعى ، فلا يصدنك عنها من لا يؤمن بها واتبع هواه فتردى) . (١)

(٢)
وقال على لسان موسى : (إنما إلهكم الله الذي لا إله إلا هو وسع كل شيء علما) . وهكذا كانت العقيدة التي دعا إليها موسى عليه السلام متفقة تماما مع عقيدة المسلمين ، بلا زيادة ولا نقصان ، فكانت تولى اهتمامها في تقديس الله سبحانه وتعالى عن كل نقائص ، واسناد الصفات العالية المقدسة إليه ، وأنه سبحانه وإليه العالمين جميعا ، لا إله إلا هو ، ليس إله فئة أو شعب فقط . وأكد القرآن الكريم أيضا أن الله سبحانه وتعالى أنزل على نبيه موسى عليه السلام كتابا بين فيه حقيقة الدين الرباني ، وأوضح أنه كتاب يحتوى في طيه هدى ونورا ، يهدي به الله من اتبع رضوانه ، وأنه يرشد إلى طريق مستقيم ، قال تعالى : (ألم ، الله لا إله إلا هو الحى القيوم نزل عليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه) (٣)
وأنزل التوراة والإنجيل من قبل هدى للناس ، وأنزل الفرقان) .

وقال تعالى : (وكيف يحكمونك وعندهم التوراة فيها حكم الله ثم يتولون من بعد ذلك وما أولئك بالمؤمنين ، إنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا والربانيون والأحبار بما استحفظوا من كتاب الله وكانوا عليه شهداء) . (٤)

(١) طه : ١٤ - ١٦ .

(٢) طه : ٩٨ .

(٣) آل عمران : ١ - ٤ .

(٤) المائدة : ٤٣ - ٤٤ .

ولاشك أن هذه التوراة التي ذكرها القرآن ليست التوراة التي في أيدي اليهود الآن ، فهذه ليست منزلة من عند الله ، وإنما هي من أعمال أيدي البشر ومــــــ تأليفاتهم كما سيتبين لنا فيما بعد .

قال الله تعالى وهو يتحدث عما فعلت اليهود بالتوراة التي أنزلها على موسى عليه السلام : (قل من أنزل الكتاب الذي جاء به موسى نورا وهدى للناس تجعلونه قراطيس تبدونها وتخفون كثيرا ، وطمعتم ما لم تعلموا أنتم ولا آبائكم) (١) .

وإذا رجعنا إلى مبدأ الوحي إلى موسى عليه السلام نجد أن أول آيات نزلت عليه كانت مثل الآيات التي نزلت في مبدأ الوحي إلى خاتم النبيين محمد صلى الله عليه وسلم ، وذلك في علاج قضية العقيدة ، وتصحيح مفاهيمها عند الناس .

فيسمع موسى نداء ربه ، ويأخذ تعليماته بلا واسطة ، ويتم اختياره للرسالة وتبليغها ، ويعطيه الله معجزات باهرة لإثبات دعواه بأنه نبي مرسل من الله تبارك وتعالى ، قال تعالى حكاية عن ذلك : (وهل أتاك حديث موسى إذ رأى نارا فقال لأهله امكثوا إني آنست نارا لعل آتيكم منها بقبس أو أجدر على النار هدى ، فلما آتاها نودي : يا موسى إني أنا ربك ، فاخلع نعليك إني بالواحد المقدس طوى ، وأنا اخترتك فاستمع لما يوحى إني أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدني) (٢) .

وقال : (وما تلك بمينك يا موسى ، قال هي عصا أتوكأ عليها وأهش بها على غنمي ولي فيها مآرب أخرى ، قال ألقها يا موسى ، فألقاها فإذا هي حية تسعى قال خذها ولا تخف سنعيدها سيرتها الأولى ، واضم يدك إلى جناحك تخرج بيضا من غير سوء آية أخرى لنريك من آياتنا الكبرى) (٣) .

(١) الأنعام : ٩١ .

(٢) طه : ٩ - ١٤ .

(٣) طه : ١٧ - ٢٣ .

وهكذا أعلن موسى عليه السلام ديانة التوحيد في عالم قد غرق في الشرك والوثنية ، فجدد الدين القيم دين إبراهيم الخليل عليه السلام ، ونشر العلم والنور في عالم قد تاه في الظلام والجهل ، وقام الإسلام مرة أخرى في الأرض بعد ما انقطعت الأرض عنه ، وساد الإسلام فيها في مدة لم تستمر فيما بعد ، إلى أن جاء خاتم النبيين محمد صلى الله عليه وسلم .

وقد جاءت نصوص في توراتهم تدل على التوحيد والأمر به والنهي عن الشرك وملابساته .

ومما جاء فيها :

"إن السَّربَ إِلَهك الذي أخرجك من أرض مصر من بيت العبودية لا يكن لك إلهة أخرى أمامي ، لا تصنع لك تمثالا منحوتا ولا صورة مما في السماء من فوق - ومافي الأرض من تحت ومافي الماء من تحت الأرض ، لا تسجد لهن ، ولا تعبدن لأنني أنا الرب إِلَهك غيور " .

(١)

وجاء فيه أيضا : " لا تصنعوا إلهة فضة ، ولا تصنعوا لكم إلهة ذهب " .

وجاء في سفر التثنية ما يلي : (الرب إِلَهك تتقوى وإياه تعبدو وباسمه تحلف ، لا تسيروا وراء إلهة أخرى من إلهة الأمم التي حولكم ، لأن الرب إِلَهكم إله غيور في وسطكم لئلا يحصى غضب الرب إِلَهكم عليكم فيبيدكم عن وجه الأرض) (٢) .

فهذه هي عقيدة بني إسرائيل الأولى التي أوحاها الله إلى كليمه موسى عليه السلام .

ولكننا سنعرف فيما بعد أنهم انحرفوا عن هذه العقيدة السليمة إلى العقيدة

الوثنية .

(١) سفر الخروج الإصحاح ٢٠ / ٢ - ٥ ، ٢٣ .

(٢) الإصحاح ١٣ / ٦ - ١٦ .

٤ - إنحراف اليهود عن عقيدتهم بعد موسى عليه السلام .

تكلم كثير من المؤرخين حول انحراف اليهود عن العقيدة الإلهية ، وخاصة في تاريخهم القديم ، فهو ديدنهم منذ القدم ، وإن كان الرسول فيهم ، كما حدث ذلك عدة مرات .

يخبرنا القرآن الكريم أن الله سبحانه وتعالى أكرمهم وخصهم وحباهم وأنعم عليهم بالنعم الكثيرة ، وفضلهم على كثير من العالمين ، من أهل زمانهم ، وأرسل إليهم الرسل ، وأنزل عليهم الكتب : (التوراة ، والزبور ، والإنجيل) فيها هدى للناس وبينات من الهدى ، ومع ذلك كله فإنهم لم يستقيموا على طريق سوى ، ولم يتبعوا النور الذى جاءهم من الله ، بل عكسوا الأمور ودلّوها ، وحرفوا الكتب وغيروا تعاليمها ، صالفوا في عدواتهم للأنبياء ، وقتلوا فريقا منهم ، وكذبوا فريقا آخر ، ومالوا عن الحق ، وحادوا عن الجادة ، وصدوا عن دين الله وهم ظالمون .

ولما كان الانحراف ديدنهم ، كتب الله عليهم التيه والتشريد ، ورسول الله موسى عليه السلام بين ظهرائهم ، ثم ضرب الله عليهم الذلة والمسكة ، وباءوا بغضب من الله ، ومسخهم الله قردة وخنازير ، وأفضى الانحراف بهم إلى أن صاروا عبدة الطاغوت ، وقد ذكر القرآن الكريم ذلك كله .

قال تعالى : (يا بني إسرائيل اذكروا نعمتى التى أنعمت عليكم وأنى فضلتكم) (١)

على العالمين) .

وقال عز وجل : (وإن نجيناكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب يذبحون أبناءكم ويستحيون نساءكم ، وفى ذلكم بلاء من ربكم عظيم ، وإن فرقناكم البحر فأنجيناكم وأغرقنا آل فرعون وأنتم تنظرون) (٢)

(١) البقرة : ٤٧ .

(٢) البقرة : ٤٩ - ٥٠ .

وقال عز وجل : (وظللنا عليكم الغمام وأنزلنا عليكم المن والسلوى كلوا من

(١)

طيبات ما رزقناكم ، وما ظلمونا ولكن كانوا أنفسهم يظلمون) .

وهناك آيات كثيرة تذكر وتعدد نعم الله عليهم ، المادية منها والمعنوية ، ثم

كان منهم في النهاية الكفر والعناد :

(ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة أو أشد قسوة وإن من الحجارة

لما يتفجر منه الأنهار ، وإن منها لما يشقق فيخرج منه الماء ، وإن منها

(٢)

لما يهبط من خشية الله ، وما الله بغافل عما تعملون) .

(٣)

وقال عز من قائل : (وقالوا قلوبنا غلف بل لعنهم الله بكفرهم فقليلًا ما يؤمنون) .

وهكذا كانت حالتهم مع أنبياء الله ورسله ، عصيان وتمرد على شريعة الله

وكفر بنعمه ، حتى سجل الله عليهم في عاقبتهم رفض الحق وعدم الإيمان به .

فقال الله عز وجل : (أفتظلمون أن يؤمنوا لكم وقد كان فريق منهم يسمعون

(٤)

كلام الله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون) .

فهؤلاء القوم لم تستقر في قلوبهم ^{كثيرة} عقيدة التوحيد ، ولم تطمئن إليهم

نفوسهم ، منذ عهد موسى عليه السلام ، كما سبق ذكره ، ورواسب الوثنية ظلت

تلازم سلالة بني إسرائيل في جميع مراحلهم ، مع أن الله سبحانه وتعالى قد أظهر

لهم أدلة كثيرة على وحدانيته ، أجراها على يد نبيه موسى عليه السلام ، ويتضح

لنا ذلك إذا ما تتبعنا تاريخ بني إسرائيل مع موسى ، فكم مرة مالوا إلى الوثنية مع

وجود موسى معهم .

من ذلك : عند ما جاوزوا البحر إلى صحراء سيناء بدون وسيلة من وسائل عبور

البحر المعروفة لدى الناس ، بل معجزة لنبي الله موسى عليه السلام ، لإنجائهم

(١) البقرة : ٥٧ .

(٢) البقرة : ٧٤ .

(٣) البقرة : ٨٨ .

(٤) البقرة : ٧٥ .

من عدوهم بدون مشقة وجهاد ، مروا على قوم يعكفون على أصنام لهم يعبدونها
من دون الله ، طلبوا من موسى عليه السلام أن يجعل لهم صنما يعبدونه من دون الله
قال تعالى حكاية عن ذلك :

(وجاوزنا ببني إسرائيل البحر ، فأثوا على قوم يعكفون على أصنام لهم
قالوا يا موسى اجعل لنا إلها كما لهم آلهة ، قال : إنكم قوم تجهلون ، وإن هؤلاء
متبر ما هم فيه باطل ما كانوا يعطون ، قال : أغير الله أبغىكم إلها وهو فضلكم على
(١)
العالمين) .

فلامهم موسى عليه السلام حين لهم أن ما فعله هؤلاء القوم باطل وأنهم يصيرون
إلى هلاك ، وأن أعمالهم خاسرة .

ثم توجه إليهم متعجبا كيف يطلبون إلها غير الله وهو رب العالمين ؟ وهو
الذي خصهم ، بإكرامه وفضله على العالمين ، الذين كانوا في عهدهم ، بأن أعطاهم
النبوة والملك ، ولكن هل نفعتهم هذه النصيحة ، وعطوا بها أم ضربوا بها عرض
الحائط ؟ إن القرآن لم يترك بيان ذلك بل أوضحه على وجه التفصيل كما تقدم بيانه .
وهو إسرائيل بعد هذه القصة عبروا صحراء سيناء ، وواصلوا المسيرة ، فشقق
عليهم السير وخال عليهم السفر ، فعطشوا ، فلم يجدوا ماء لشربهم وسقيا لدوابهم
فشكوا إلى موسى أن ينقذهم من هذا المأزق وهم متذللون خاشعون ، وطلبوا منه
الماء ، فدعا الله عز وجل أن يسقيهم ، فأمره الله تعالى أن يضرب عصاه بالحجر ،
فلما ضرب الحجر بعصاه انفجرت منه اثنتا عشرة عينا ، فكان لكل قبيلة منهم عين تشرب
منها ، ثم أصابهم بعد ذلك الحر الشديد ، وليس لهم مكان يأوون إليه ، أو ظل
يستظلون فيه ، فساق الله لهم الغمام حتى استظلوا في ظله .

وأصابهم الجوع ، وليس لهم زاد يستعينون به ، فأنزل الله عليهم المن والسلوى
ومع كل هذه المعجزات الباهرة وتلك الدلائل القاطعة كانوا يتمردون بين حين وحين
ولا يقدرون نعم الله عليهم ، بل يقابلون هذه النعم بالكفر والعصيان .

قال تعالى مخبرا بذلك :

(وقطعناهم اثنتي عشرة أسباطا أمما ، وأوحينا إلى موسى إن استسقاه قومه أن يضرب
بعضاك الحجر فانجست منه اثنتا عشرة عينا ، قد علم كل أناس مشربهم ، وظللنا
عليهم الغمام وأنزلنا عليهم المن والسلوى ، كلوا من طيبات ما رزقناكم ، وما ظلمونا
(١) ولكن كانوا أنفسهم يظلمون) .

هـ - عبادتهم للمجبل :

أبى القوم أن تستقر عقيدة التوحيد في قلوبهم ، وإن ليس في طبيعتهم الانضباط
والإلتزام ، شأنهم في ذلك كشأن كل الوثنيين ، لما أراد الله سبحانه وتعالى أن
ينزل التوراة على نبيه موسى عليه السلام أمره أن يصوم ثلاثين يوما من شهر ذي
القعدة ليستعد لهذا الأمر المهم وهو تلقى التوراة ، وأمره أن يذهب إلى مناجاة
ربه تبارك وتعالى عند جبل الطور ، فلما أتم ثلاثين يوما أمره أن يزيد عليها عشرة
أيام آخر ، لأنه لما أتم ثلاثين أنكر خلوف فمه فاستاك أو أكل بعض النبات ، فقالت
الملائكة كنا تشم من فيك رائحة السمك فأفسدته بالسواك فأمره الله أن يصوم عشرة
أيام آخر .

أخرج الديلمى عن ابن عباس يرفعه لما أتى موسى ربه عز وجل وأراد أن يكلمه
بعد الثلاثين ، وقد صام نهارهن وليالهن كره أن يكلم ربه هويح فمه ريح فم الصائم
فتناول من نبات الأرض ، فمضغه ، فقال له ربه : لم أفطرت ؟ وهو أعظم بالذى كان ،

قال : أى رب كرهت أن أكرمك إلا فمى طيب الريح ، قال أو ما طمت ياموسى أن ربح
فم الصائم عندى أطيب من ربح المسك ، ارجع فصم عشرة أيام ثم ائتنى ، ففعل
موسى عليه السلام الذى أمره ربه (١) ، وكان قبل ذهابه أوصى أخاه هارون عليه السلام
بتدبير شئون قومه ، وأتباعه خشية أن يضلوا ، ويرجعوا عن الدين فى مدة غيابه
لما يعرف من طبيعة القوم ، فقال لأخيه : كن خليفتى فى قومى وانظر أمرهم واحذر
أن يتبعوا طريق الفاسقين ، وبعد تمام الأربعين ألقى الله إليه الألواح ، وأمره
أن يأخذ ما آتاه الله بقوة وأن يشكر هذه النعمة العظيمة ، نعمة الاختيار للرسالة
وأمره أن يامر قومه بالسير على أحسن ما رسم لهم وأجودها ، قال تعالى حكاية عن
ذلك : (وواعدنا موسى ثلاثين ليلة وأتمناها بعشر فتم ميقات ربه أربعين ليلة
وقال موسى لأخيه هارون اخلفنى فى قومى ، وأصلح ولا تتبع سبيل المفسدين ، ولما
جاء موسى لميقاتنا ، وكلمه ربه ، قال رب أرنى أنظر إليك ، قال لن ترانى ، ولكن
انظر إلى الجبل فإن استقر مكانه فسوف ترانى ، فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا
وخر موسى صعقا ، فلما أفاق ، قال سبحانك تبت إليك ، وأنا أول المؤمنين ، قال
ياموسى إني اصطفيتك على الناس برسالاتى وكلامى فخذ ما آتيتك وكن من الشاكرين
وكتبنا له فى الألواح من كل شئ موعظة ، وتفصيلا لكل شئ فخذها بقوة وأمر قومك
يأخذوا بأحسنها سأريكم دار الفاسقين) (٢)

وكان من شأنهم وموسى عليه السلام فى مناجاة ربه أنهم ارتدوا على أعقابهم ،
وحصل ما كان يتوقعه موسى منهم ، ذلك لما استبطأوه وطالت عليهم المدة ، لأن موسى
عليه السلام أخبرهم قبل ذهابه إلى مناجاة ربه أن غيبته لن تطول أكثر من ثلاثين
يوما ، ولكنه بأمر الله تأخر عن الموعد بزيادة عشرة أيام ، وعند ما قالوا : إن موسى

(١) انظر القرطبي ٢٧٥ / ٧ ، والألوس ٤٣ / ٩ ، والكامل فى التاريخ لابن الأثير
١٨٩ / ١

(٢) الأعراف : ١٤٢ - ١٤٥ .

أخلفنا وعده ، وتحركت فيهم نزوة الشر ، وقصدوا إلى عبادة العجل الذي عمل لهم
(١)
رجل يسمى موسى السامري عمل لهم من حليهم التي كانوا أخذوها من المصريين
قال تعالى حكاية عن ذلك ﴿ فَأَخْرَجَ لَهُمْ عَجَلاً جِصّاً لَهُ خَوَارِفَالُوا هَذَا إِلَهُكُمْ
(٢)
وإله موسى فنسى ﴾ .

وتصدى لهم هارون عليه السلام ، وبين لهم أنهم فتنوا في هذا العجل وضلوا
مذل جهدا كبيرا لإرجاعهم إلى الصواب ، فلم يفلح ، لأنهم أصروا على عبادة العجل
حتى يرجع إليهم موسى ، والقرآن قد أوضح هذه القصة بالتفصيل في قوله تعالى :
(قال إنا قد فتننا قومك من بعدك وأضلهم السامري ، فرجع موسى إلى قومه
غضبان أسفا ، قال يا قوم ألم يعدكم ربكم وعدا حسنا ، أفتال عليكم العهد
أم أردتم أن يحل عليكم غضب من ربكم فأخلفتم موعدي ، قالوا ما أخلفنا موعداك
(٣)
بملكنا ، ولكننا حملنا أوزارا من زينة القوم فخذفناها فكذلك ألقى السامري) .
وقال تعالى : (ولقد قال لهم هارون من قبل يا قوم إنما فتنتم به وإن ربكم الرحمن
(٤)
فاتبعوني وأطيعوا أمري ، قالوا لن نهرج عليه عاكفين حتى يرجع إلينا موسى) .
هذا ماجاء في القرآن مما يتعلق بعبادة بني إسرائيل للعجل ، أما ثوراتهم
المزعومة قد تعرضت لقصة عبادتهم للعجل ، ولكنها غيرت حقيقة جوهرية ، أفصح
عنها القرآن الكريم ، وهي : أن الذي صنع لهم العجل هو هارون الرسول ، وليس
السامري - سبحانه اللهم ، هذا بهتان عظيم - وهذا من تحريفاتهم التي سنتعرض
لها في الفقرة التالية إن شاء الله تعالى .
تقول ثوراتهم المحرفة في سفر الخروج :

(١) اسمه موسى بن ظفر ، انظر جامع البيان ، ٢٨٣/١ .

(٢) طه : ٨٨ .

(٣) طه : ٨٥ - ٨٧ .

(٤) طه : ٩٠ - ٩١ .

" ولما رأى الشعب أن موسى أبطأ في النزول من الجبل ، اجتمع الشعب على هارون وقالوا له : قم اصنع لنا آلهة تسير أمامنا ، لأن هذا موسى الرجل الذى أصدتنا من أرض مصر لا نعلم ماذا أصابه ، فقال لهم هارون : انزعوا أقراط الذهب التى فى آذان نسائكم وبنيتكم وبناتكم ، وأتوني بها ، ففزع كل الشعب أقراط الذهب التى فى آذانهم وآتوا بها إلى هارون ، فأخذ ذلك من أيديهم وصهره بالإِزْمِيل ، وصنعه عجلا مسبوكا فقالوا هذه آلهتك يا إسرائيل التى أصدتكَ من أرض مصر ، فلما ^{نظر} هارون بنى مذبحا أمامه ونادى هارون ، وقال غدا عيد للرب ، فبكروا فى الغد وأصدوا محرقات وقدموا ذبائح سلامة ، وجلس الشعب للأكل والشرب ، ثم قاموا للعب ، فقال الرب لموسى اذهب أنزل لأنه قد فسد شعبك الذى أصدته من أرض مصر ، زاغوا سريعا عن الطريق الذى أوصيتهم به ، صنعوا لهم عجلا مسبوكا وسجدوا له ، وذبحوا له ، وقالوا هذه آلهتك يا إسرائيل التى أصدتكَ من أرض مصر " .

حدث هذا وديانة موسى فى مبدأ أمرها وفى فجر سيرها ، وبدون تحديد الزمن بالنسبة للوثنية اليهودية ، فإن الوثنية بارزة فى تاريخهم الطويل رغم المعجزات المادية الكبرى التى أجراها الله لهم ، والتى كانت يجب أن تؤكد لهم أنها من صنع إلههم وإله آبائهم الواحد المنزه عن كل شريك ومعين ، وما زالت الوثنية لاصقة بقلوبهم ، لأنهم عاشوا أمدا طويلا فى مصر ، حيث ألفوا آلهة المصريين ، وقلدوهم فى وثنيتهم ، شأن المغلوب فى تقليد الغالب .

وقاموا بعد موسى عليه الصلاة والسلام بتحريف الكتاب الذى ترك لهم ، والذى أوصاهم أن يحافظوا عليه ، وأن يقيموا حياتهم على وفق ما جاء به الكتاب بدون تبديل ولا تغيير من نصوصه .

(١) الإصحاح ٣٢ / ١ - ٨ .

(٢) سليمان مظهر قصة الديانات ص ٣٤٠ ^{أنظر}

٦ - التوراة :

" التوراة " كلمة عبرية يراد بها التعليم أو الشريعة أو الناموس ويراد بها اصطلاحاً عند اليهود : أسفار موسى ، وربما استعمل النصارى التوراة للدلالة على مجموع العهد القديم وعلى العهدين أيضاً ، من باب تسمية الكل باسم البعض .
ويقول فريد وجدي : يطلق اسم التوراة على الخمسة الكتب الأولى من الكتاب المقدس عند المسيحيين .^(١)
^(٢)

وهذه الأسفار الخمسة يعتقد اليهود أن موسى عليه السلام كتبها بيده بوحى

من الله تعالى .

والتوراة عند المسلمين هي : كتاب الله المنزل على سيدنا موسى عليه السلام فيه هدى ونور ، أنزلها الله هداية للناس بعد مناجاته لربه في جانب الطور .

والذى عرفناه بذلك هو القرآن الكريم الذى لا يأتيه الباطل من يديه ولا من خلفه^(٣)

تنزيل من حكيم حميد ، إذ قال فيها : (إنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور) .
وسين لنا أيضاً أن فى التوراة أحكام وشرائع ربانية كان أهل الكتاب مكلفين أن

يعملوا بها قبل نزول القرآن ، قال تعالى : (وكيف يحكمونك وعندهم التوراة فيها^(٤)

حكم الله ، ثم يتولون من بعد ذلك وما أولئك بالمؤمنين) .

وقال تعالى : (ألم . الله لا إله إلا هو الحى القيوم . نزل عليك الكتاب بالحق^(٥)

مصدقاً لما بين يديه ، وأنزل التوراة والإنجيل من قبل هدى للناس) . وقال عز وجل

ما دحا القرآن والتوراة (أفمن كان على بينة من ربه ويتلوه شاهد منه ومن قبله كتاب^(٦)

موسى إماماً ورحمة) .

(١) دائرة المعارف الإسلامية ٦ / ٢٦٤ .

(٢) دائرة معارف القرن العشرين ٢ / ٧٠٢ .

(٣) و (٤) المائدة ٤٣ - ٤٤ .

(٥) آل عمران ١ - ٤ .

(٦) هود : ١٧ .

فالإسلام يكلف المسلمين أن يؤمنوا بالتوراة التي أنزلها الله عز وجل على نبيه موسى صلى الله عليه وسلم ، لكنه يرفض المحرفات التي ينسبونها إلى الله زورا ومهتاناً .
فالمسلمون يؤمنون بأن التوراة التي أنزلها الله على موسى كتاب رباني يجب الإيمان به كما يجب الإيمان بكل كتاب رباني أنزل الله على رسول من رسله المؤيدين منه بالمعجزات والآيات الباهرات ، وهي جميعها تدعو إلى التوحيد وإلى عبادة الله وحده الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد ، لا زوجه له ولا ولد ، ولا شريك له في عبادته ولا في ملكه ، وأن كل ما نسب إلى التوراة مما يخالف ذلك ، إنما هو من تحريفهم وصنعهم .

إن الله أنزل التوراة لتتولى قيادة البشرية وتنظيمها وتوجيهها والأخذ بيدها بغية انقاذها من الكفر والشرك والوثنيات ، ومهاوى الضلالات ، وإقامة العدل وقمع الظلم ، وتنظيم علاقات البشرية بالله بالإيمان الكامل ، وبالشعائر التعبدية ومطاعة الله في تطبيق أحكامه وشرائعه ، قال الله تعالى مينا هذه الحقيقة (شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى (١) أن أقيموا الدين) .

فالله سبحانه وتعالى شرع للمسلمين ديناً يحوى ما جاء به الأنبياء من نوح إلى عيسى عليه الصلاة والسلام . والقرآن هو الصورة الأخيرة لكتاب الله الواحد المتحد الأصل والوجهة والمسائر لحاجات البشر ، وقد ورد حديث يدل على عظمة التوراة التي أنزلها الله على كليمه موسى حيث يذكر أن الله كتب التوراة بيده وهذا يدل على شرفها وعظمتها عند الله تبارك وتعالى .

عن أبي هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : احتج آدم وموسى ، فقال موسى يا آدم أنت أبونا خيبتنا وأخرجتنا من الجنة ، فقال : آدم أنت موسى اصطفاك الله بكلامه وخط لك التوراة بيده ، أتلومنى على أمر

(١) متفق عليه .

قد قدّر عليّ قيل أن يخلقني بأربعين سنة .
فالتوراة كتاب رباني أوحى الله به إلي نبيه موسى عليه الصلاة والسلام شريعة
لبنى إسرائيل ، ومن بلغت دعوته ، كتاب فيه نور وهدى يوجههم ويرشد هم ويصحح
لهم معالم طريقهم الدنيوي والأخروي . وهناك نصوص في التوراة تدل على أن فيها
بقايا معاني لم تحرف إذ هي مطابقة لما جاء في القرآن . منها :

١ - ما جاء في سفر الخروج :

و ثم تكلم الله بجميع هذه الكلمات قائلا : أنا الرب إلهك الذي أخرجك من أرض -
مصر من بيت العبودية ، لا يكن لك آلهة أخرى أمامي - لا تصنع لك تماثلا منحوتا
ولا صورة مافي السماء من فوق ، ومافي الأرض من تحت ، ومافي الماء من تحت الأرض
(٢)
لا تسجد لهم ولا تعبدهم لأنني أنا الرب إلهك وإله غيري .

٢ - وجاء فيه أيضا :

" فقال الرب لموسى هكذا تقول لبني إسرائيل ، أنتم رأيتم أنني من السماء
(٣)
تكلمت معكم ، لا تصنعوا معي آلهة فضه ، ولا تصنعوا لكم آلهة ذهب " .
وهكذا كانت نصوص التوراة الإلهية تقوّر التوحيد كما تقرره كتب الله جميعا
إلا أن التحريف غير هذه الأصول الدينية إذ قام به أخبار اليهود وطماؤهم تشييا
مع شهواتهم وورغباتهم المادية ، واستجابة لذوى السلطان والجاه فيهم .
ومما يدل على بقاء نصوص صحيحة في التوراة الموجودة . ما يلي : " الرب وإلهك
تتقى وإياه تعبد واسمه تحلف ، لا تسيروا وراء آلهة أخرى من إلهة الأمم التي
حولكم ، لأن الرب وإلهكم إله غير في وسطكم ، لئلا يحس غضب الرب وإلهكم عليكم
(٤)
فبيدكم عن وجه الأرض " .

(١) (الجزء الثاني من الكتاب المقدس) ١٩ وعلم كتاب القدر ١٣

(٢) الإصحاح : ١/٢٠ - ٦ .

(٣) الإصحاح : ٢٢/٢٠ - ٢٤ .

(٤) سفر التثنية الإصحاح ١٤/٦ - ١٦ .

هذه النصوص المطابقة للحق ولما جاء في القرآن ربما كانت من التوراة الأصلية الصحيحة ، وإن كان كل ما في التوراة ما كان منه صحيحا وما كان منه محرفا ، ليسر لأى شئ منه أدلة نقلية قاطعة ، تثبت أنه من كلام الله ، مهما كان المضمون الفكرى فيه حقا وصدقا .

فإثبات النص أنه من كلام الله حقا ، لا يكفى فيه مطابقته للحق ، أولما جاء فى النصوص الصحيحة الأخرى ، بل لابد أن يكون هو صحيح النسبة بالسند المتصل الذى لا شبهة فيه .

٧ - تحريفهم للتوراة :

يعتقد المسلمون أن التوراة قد حُرقت خلال تاريخها الطويل من بعد موسى والنبيين الذين جاءوا من بنى إسرائيل ، وقد حُرِفَها أخبار اليهود وعلمائهم وإن لم يكن التحريف تحريفا كليا .

فالتوراة المتبادلة بين اليهود ، إذن قد أصابها التحريف والتبديل والتغيير والإخفاء ، وهذا الأمر ليس رجما بالغيب أو دعوى بلا دليل ، بل هى حقيقة قام عليها برهان ساطع ، ودليل قاطع لا يخفى ولا على من أعى الله بصيرته .
وقد حاول اليهود تحريف كلام الله فى حياة موسى عليه السلام وهوبين ظهرائهم يرشد هم ويعظهم .

قال تعالى مخبر عن ذلك وكاشفا عن تلك الحقيقة :

(أفتطمعون أن يؤمنوا لكم وقد كان فريق منهم يسمعون كلام^{الله} ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون) (١)

روى ابن جرير الطبرى رحمه الله بسنده عن محمد بن اسحاق أنه قال : " بلغنى عن بعض أهل العلم أنهم قالوا لموسى : يا موسى ، قد حيل بيننا وبين رؤية الله عز وجل فاسمعنا كلامه حين يكلمك فطلب ذلك موسى " عليه السلام " إلى ربه فقال : نعم "

فمرهم فليتطهروا وليظهروا شياهم ويصوموا ففعلوا - ثم خرج بهم موسى حتى أتوا
الطور فلما غشيهم الغمام أمرهم موسى عليه السلام أن يسجدوا ، فوقعوا سجدا
وكلمه ربه فسمعوا كلامه يأمرهم وينهاهم ، حتى عقلوا ماسمعوا ، ثم انصرف بهم إلى
بنى إسرائيل ، فلما جاءهم وهم حرق فريق منهم ما أمرهم الله به ، وقالوا حين قال
موسى لبنى إسرائيل : إن الله قد أمركم بكذا وكذا ، قال ذلك الفريق الذى ذكرهم
الله إنما قال كذا وكذا خلافا لما قال الله عز وجل لهم ، فهم الذين عنى الله لرسوله
صلى الله عليه وسلم ، وقال إنما عنى بذلك من سمع كلامه من بنى إسرائيل سماع موسى
إياه منه ، ثم حرف ذلك وبدل من بعد سماعه وعلمه به وفهمه إياه ، وذلك أن الله
جل ثناؤه إنما أخبر أن التحريف كان من فريق منهم كانوا يسمعون كلام الله عز وجل
استعظاما من الله لما كانوا يأتون من البهتان بعد توكيد الحجة عليهم والبرهان .
ويقول أيضا رحمه الله : " فقال لهم : كيف تطمعون فى تصديق هؤلاء اليهود
إياكم ، وإنما تخبرونهم بالذى تخبرونهم من الأنبياء عن الله عز وجل عن غيب لم شاهدوه
ولم يعاينوه ، وقد كان بعضهم يسمع من الله كلامه وأمره ونهييه ، ثم يبدله ويحرفه
ويجحد به ، فهؤلاء الذين بين أظهركم من بقايا نسلهم أخرى أن يجحدوا ما أتيتهم
به من الحق ، وهم لا يسمعون من الله ، وإنما يسمعون منكم ، وأقرب إلى أن يحرفوا
ما فى كتبهم من صفة نبيكم محمد صلى الله عليه وسلم ونعته ، ويبدلوه وهم به عالمون
فيجحدوه ويكذبوه من أوائلهم الذين باشروا كلام الله من الله جل ثناؤه ، ثم حرفوه
(١)
من بعد ما عقلوه وعلموه متعمدين التحريف .

إذا كان القوم على هذا المستوى فى عهد الرسالة والنبوة فعاذا يكون الحال
فيما يلى عصر النبوة ؟ ومما لا شك فيه أنه إذا لم يكن هناك وازع ديني ولا حاجز إيماني
يقف امام مشهوراتهم وأهوائهم لا ريب فى أنهم يغيرون ويحرفون حسبما تولى عليهم

تلك الشهوات وتلك الرغبات ، يقول الله تبارك وتعالى : (فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا . فويل لهم مما كتبت بأيديهم وويل لهم مما يكسبون) (١) .
تساءل ما هو هذا الكتاب الذي كتبوه بأيديهم ثم نسبوه إلى الله إن لم تكن التوراة التي يتداولونها بينهم ؟ قاله تعالى أخبر عباده وهو أصدق القائلين بأنهم كتبوا كتابا ، وليس هو كتاب الله الذي تركه موسى عليه السلام ، وإنما هو كتاب من عند أنفسهم ، كتبوه لغرض تضليل العباد وخاصة العامة ، ولغرض حصول عرض من الدنيا الفانية . يقول ابن جرير الطبري رحمه الله : « فأعلم ربنا عباده المؤمنين أن أخبار اليهود تولوا كتابة الكذب والغربة على الله بأيديهم على علم منهم ، وعمد للكذب على الله ثم تنحله إلى أنه من عند الله وفى كتاب الله تكذيبا على الله وافتراء عليه » .

وعلى هذا فيكون هؤلاء المحرفون هم أعلم اليهود وأعرفهم بالحقيقة المنزلة عليهم من عند الله ، وهم الأخبار والربانيون الذين يتلون كلام الله المنزل على نبيهم موسى عليه السلام في التوراة ثم يحرفونه عن مواضعه ، ويؤولونه تأويلات بعيدة تخرج به عن دائرته ، لا عن جهل بحقيقة مواضعه ولكن تعمدًا للتحريف ، ولما بهم هذا التحريف ، يدفعهم الهوى وتقودهم المصلحة ويحدوهم الغرض المريب . ويقول تبارك وتعالى : (فيما نقضهم ميثاقهم لعناهم وجعلنا قلوبهم قاسية يحرفون الكلم عن مواضعه ونسوا خطأ مما ذكروا به) .

وقال جل ثناؤه : (ومن الذين هادوا سماعون للكذب سماعون لقوم آخرين لم يأتوك يحرفون الكلم من بعد مواضعه) .

-
- (١) البقرة : ٧٩ .
(٢) جامع البيان ١/ ٣٦٧ - ٣٦٨ .
(٣) في ظلال القرآن ١/ ١٠٩ .
(٤) المائدة : ١٣ .
(٥) المائدة : ٤١ .

وقال جل وعلا :

(وإن منهم لفريقا يلوون ألسنتهم بالكتاب لتحسبوه من الكتاب وما هو من الكتاب
ويقولون هو من عند الله ، وما هو من عند الله ، ويقولون على الله الكذب وهم
(١)
يعلمون) .

فهذا خبر من عند الله تبارك وتعالى ، أبان أن هؤلاء مطردون من رحمة الله
وأن قلوبهم قاسية غليظة جامدة وباسية بسبب نقضهم ميثاقهم ، فهم يحرفون
كلام الله عن مواضعه ، وهو الكلام الذى أنزله على نبيهم موسى فى التوراة ، فهم
يبدلونه ، ويغيرونه ، ويكتبون بأيديهم غير الذى أنزله الله ، ويؤولونه تأويلات باطلة .
ويقولون لجهالهم هذا هو كلام الله الذى أنزله على موسى ، وهو التوراة التى أوحى
الله بها إليه .

وحين يكون التحريف بالتأويل الباطل يزعمون أن هذه التأويلات هى المعانى
المراد من كلام الله ، وليس ذلك الذى لووا ألسنتهم فيه ، فأحدثوه مما أنزله الله على
أحد من أنبيائه ، ولكنه مما أحدثوه من قبل أنفسهم ، افتراء على الله ، والحاقا بكساب
الله ما ليس منه ، طلبا للرياسة أو الخسيس من حطام الدنيا .

روى ابن كثير أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى ورقة من التوراة فى يد عمر
بن الخطاب ، فأمره بإلقائها ونصحه أن لا يضيع وقته فى قراءة ما فيها من كذب وتحريف
(٢)
ثم قال : " ألم آتكم بها بيضا نقية ، والله لو أن موسى كان حيا ما وسعه ، إلا اتباعى " .
إن هذه التوراة المزومة ملطخة بظلمات التحريف والتغيير ، وقد أنزل الله
على الرسول فى القرآن كل خير له صفة الدوام مما اشتملت التوراة وسائر الكتب السابقة
من عقيدة وشريعة وقصص فأحياها فى صورتها الصحيحة نقية بيضاء ، وأن موسى لو بعث
الآن لتبرأ من توراتهم ، واتبع قرآن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم . فقضية تحريف
التوراة الموجودة عند أهل الكتاب قضية مسلمة قد شهد بها القرآن الكريم ، وهى

(١) آل عمران : ٧٨ .

(٢) البداية والنهاية لابن كثير ١ / ١٩٨ .

ليست التوراة التي أنزلت على موسى صلى الله عليه وسلم ذات التعاليم المقدسة
والشريعة الربانية ، بل هي توراة مزيفة ، فيها القليل من الحق والكثير من
الزيف ، قال تعالى : (قل من أنزل الكتاب الذي جاء به موسى نورا وهدى
(١)
تجعلونه قراطيس تبدونها وتخفون كثيرا) .

جاء جماعة من اليهود إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم يطلبون تخفيف
الحكم على الزانيين اليهوديين ، لأن الحكم الزانى المحصن عندهم في التوراة الرجم
أتوه لعلهم يجدون التخفيف عنده ، لأنهم كانوا يعلمون أنه على دين الحق ، وأن حكمه
من الله تبارك وتعالى (يعرفونه كما يعرفون أبناءهم) فسألهم رسول الله صلى الله
عليه وسلم عن الحكم في التوراة ، فأجابوا خلاف ما في التوراة ، فطلب أن يأتمروا
بالتوراة فيتلوها ، ففعلوا ذلك ، لكن القارئ لما أتى على آية الرجم قفز إلى ما بعدها
ولم يقرأها ، فعرف مكرهم أحد الجالسين عند الرسول صلى الله عليه وآله وسلم
فطلب من التالي أن يرفع يده ويقرأ ماتحتها ، فلما رفع يده فإذا هي بآية الرجم
كما أنزلها الله متفقة تماما مع حكم الإسلام ، وكان سؤال الرسول صلى الله عليه وآله
وسلم تحديا ومبينا لهم أن الحكم في كلا الكتابين واحد ، وإنما هم الذين يحاولون
التبديل والتحريف على طريقتهم .

وهذه هي القصة كما جاءت في صحيح البخاري :

عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : أتى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بيهودى
ويهودية قد أحدثا جميعا ، فقال لهما ماتجدون في كتابكم ؟ قالوا : وإن أحببنا
قد أحدثوا تحميم الوجه والتجبيبه ، قال عبد الله بن سلام ادعوهما يا رسول الله بالتوراة
فأتى بها فوضع أحدهم يده على آية الرجم ، وجعل يقرأ ما قبلها وما بعدها ، فقال
عبد الله بن سلام ارفع يدك فإذا آية الرجم تحت يده فأمر بهما رسول الله صلى الله

(١) الأنعام : ٩١ .

(٢) قطعة من آية ١٤٦ من البقرة .

عليه وآله وسلم ، فرجما * فنزل قوله تعالى : (وكيف يحكمونك) وعندهم التوراة فيها
(١)
حكم الله) .

ومن تحريفاتهم أيضا تحليل ما حرم الله تعالى في التوراة وتحريم ما أحله الله تعالى
مع شهواتهم وأهوائهم .

روى ابن جرير الطبري عن عدي بن حاتم قال : " أتيت رسول الله صلى الله عليه
وآله وسلم وفي عنق صليب من ذهب ، فقال : يا عدي ، اطرح عنك هذا الوثن من عنقك
فقال : فطرحته وانتهيت إليه وهو يقرأ في سورة براء ، فقرأ هذه الآية : (اتخذوا
أخبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله) . قال : قلت يا رسول الله إنا لسنا نعبدهم
فقال : أليس يحرمون ما أحل الله فتحرمونه ، ويحلون ما حرم الله فتحلونونه ؟ قال : قلت
بلى . قال : فتلك عبادتهم " . (٢)

فهذه الأدلة من القرآن والسنة تدل على تحريف التوراة وتبديلها ، أما الأدلة
من توراتهم نفسها فهي كثيرة ، وصورها تختلف باختلاف الزمان والمكان ، واختلاف
الأغراض والأشخاص ، وذلك لتعلق تأليفها وأحوالها بهذه الأمور .

ولذلك نأخذ أمثلة قليلة منها نبين فيها تحريفهم ، ولا يستطيع أن نكرها اليهود
ولا غيرهم ، فهي شواهد من واقع الأسفار الخمسة التي تتكون منها مجموعة التوراة عندهم .

الأمثلة :

أولا : ما يتعلق بحق الله سبحانه وتعالى .

لقد ثبت عقلا وشرعا أن الله عز وجل ليس كمثله شيء ، لا في ذاته ولا في أسمائه
وصفاته وأفعاله ، وقد أنزل الله في القرآن الكريم ، (ليس كمثله شيء) وهو السميع
(٤)
البصير) .

(١) كتاب المحاربين من أهل الكفر والردة باب الرجم في البلاط .

(٢) التوبة : ٣١ .

(٣) جامع البيان ١٠٤/١٠ . وانظر منه الترمذي كتاب السفر سورة ٩/١٠

(٤) الشورى : ١١ . والكثير من كتاب الترمذي .

ولكن اليهود يصرون على تشبيه الله بالمخلوقات وخاصة الإنسان منها متأثرين بالمشابهات الموجودة في كتبهم ، وقد تكون محرفة كليا ، من ذلك ما جاء في سفر التكوين : " وقال الله : نعمل الإنسان على صورتنا كشبهنا . . . فخلق الله الإنسان على صورته ، على صورة الله خلقه " (١)

ويقول الشهرستاني وهو يبين سبب اعتقادهم هذا التشبيه : " أما التشبيه فلأنهم وجدوا التوراة ملئت من المشابهات مثل الصورة والشافهة والتكلم جهرا والنزول على طور سيناء انتقالا والاستواء على العرش استقرارا وجوازا لرؤية فوقها " .
١ - يعتقدون أن الله يتعب ويعجز عن العمل :

يعتقد اليهود أن الله سبحانه وتعالى يتعب كما يتعب الإنسان ، ويحتاج إلى الراحة بعد تعب ، ويرغمون أن الله لما خلق السموات والأرض أصابه الكسل والتعب وذلك في خلال ستة أيام ، فاستراح في اليوم السابع وهو يوم السبت : فيحرم العمل في ذلك اليوم لأجل ذلك ، تقول توراتهم : « فأكملت السموات والأرض وكل جندها وفرغ الله في اليوم السابع من عمله الذي عمل ، فاستراح في اليوم السابع من جميع عمله الذي عمل . مبارك الله اليوم السابع وقده لأنه فيه استراح من جميع عمله الذي عمل » (٢)
 الله خالقاً .

وقد قامت الأدلة القاطعة على أن الله سبحانه وتعالى منزّه عن التعب واللفوب وعن العجز والكسل ، وقد رد القرآن هذه الفرية على الله تعالى في قوله :
 (ولقد خلقنا السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام وما مسنا من لغوب) (٤)

- (١) انظر الإصحاح ٢٨/١ .
 (٢) المل ١/٢١٢ . وهذا ليس متشابهاً بل هذه الصفات جاءت في الكتاب والسنة وأمرنا بالله تعالى بلا كيف .
 (٣) سفر التكوين الإصحاح ١/٢ - ٤ .
 (٤) ق : ٣٨ .

وقال الشهرستاني : " وقد أجمعت اليهود عن آخرهم على أن الله تعالى لما
فرغ من خلق السموات والأرض استوى على عرشه مستلقيا على قفاه واضعا إحدى رجليه
(١)
على الأخرى " .

٣ - ينسبون إليه الحزن .

كما يعتقد اليهود أن الله يلحقه الحزن والندم على مافات وانقضى وقته وكأنه
لا يدري عواقب الأمور ، تقول توراتهم المحرفة : " ورأى الرب أن شر الإنسان قد
كثر في الأرض ، وأن كل تصور أفكار قلبه إنما هو شرير كل يوم ، فحزن الرب أنه عمل
الإنسان في الأرض وتأسف في قلبه ، فقال الرب امحون وجه الأرض الإنسان الذي
(٢)
خلقته ، الإنسان مع بهائم وديابات وطيور السماء ، لأنني حزنت أني عملتهم " .
فيبدو من هذا الاعتقاد الفاسد القبيح الذي لا يقره دين الهى ، أن الله
سبحانه لم يحط علمه بالمخلوقات قبل وجودها ، وأنه لا يدري ماسيكون وكيف يكونون
والأبعد ظهوره ، وهذا يؤدى إلى القول بالبداءة على الله تعالى - تعالى الله
عما يقول الظالمون علوا كبيرا - (كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذبا)
فإن الله سبحانه وتعالى يقول في رد مثل هذه الفرية :

(٣)

(لتعلموا أن الله على كل شيء قدير وأن الله قد أحاط بكل شيء علما) .

فعلم الله شامل لكل شيء ومحيط به فيعلم ما كان وما هو كائن وما سيكون .

٣ - ينسبون إليه النبیین :

يعتقد اليهود أن لله بنين ، وأنهم قد افتتنوا ببينات الادميين اللائى قد
كثرن في الأرض عددا ، فاتخذوهن خليلات واتصلوا بهن وأنجبوا منهن نسلا ممتاز
ببسط الجسم ، وهم جبابرة الذين سكوا الأرض قبل الطوفان ، تقول توراتهم :

(١) الطل والنحل ٢١٩/١ .

(٢) سفر التكوين الإصحاح ٦/٦ - ٨ . (٣) الكهف الأيه ٥

(٤) الطلاق : ١٢ .

"وحدث لما ابتدأ الناس يكثرون على الأرض وولد لهم بنات أن أبناء الله رأوا بنات الناس أنهن حسنات فاتخذوا لأنفسهم نساء من كل ما اختاروا" (١).

وجاء فيها : (كان في الأرض طغاة في تلك الأيام بعد ذلك أيضا إذ دخل بنو الله على بنات الناس ولدن لهم أولادا ، هؤلاء هم الجبابرة الذين منذ الدهر (٢) ذواسم) .

تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا ، فهو (لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد) .

ع - ينسبون إليه الضعف وعدم القدرة على من يعاديه :

لقد ذكر سفر التكوين أن يعقوب عليه السلام لقي الله ذات ليلة فأخذ يصارعه حتى بزغ الفجر دون أن يستطيع التغلب عليه ، فعندها ضرب حرق فحذه فطلب أن - يخلو سبيله ، ولكن يعقوب لم يقبل ذلك حتى يباركه ، فقبل الله ذلك الشرط وباركه . تقول توراتهم : " فبقى يعقوب وحده ، وصارعه انسان حتى طلع الفجر ، ولم أرأى أنه لا يقدر عليه ضرب حرق فحذه فأتخلع من فخذ يعقوب في مصارعته معه ، وقال اطلقني لأنه قد طلع الفجر ، فقال لا أطلقك إن لم تباركني ، فقال له : ما اسمك فقال يعقوب قال : لا يدعى اسمك في مابعد يعقوب بل إسرائيل ، لأنك جاهدت مع الله والناس وقدرت " ، يقول ابن حزم الظاهري : " ذكر ... أن يعقوب صارع الله عز وجل تعالى الله عن ذلك وعن كل شبه لخلقه ، فكيف عن لعب الصرع الذي لا يفعله إلا أهل البضالة ، وأما أهل العقول فلا يفعلونه لغير ضرورة ، ثم لم يكتفوا بهذه الشهرة حتى قالوا " إن الله عز وجل عجز عن أن يصرع يعقوب بنصر كـلام (٣) توراتهم " .

(١) التكوين ١/٦ - ٥ .

(٢) التكوين ٤/٦ .

(٣) التكوين ٣٢/٢٤ - ٣٢ .

(٤) الفصل في الطل والأهواء والنحل ١/١١٢ .

ثانيا : مايتعلق بعصمة الأنبياء :

من أمثلة تحريفهم للتوراة مايتعلق بعصمة الأنبياء ، وهى أمثلة كثيرة فى العهد القديم عموما ، وفى التوراة خصوصا ، وكلها تدل على عدم عصمة الأنبياء من المعاصى وحتى الكفر بالله تعالى ، سبحانه هذا بهتان عظيم ، يقول ابن حزم رحمه الله : " القوم مخذلون ، نقلوا دينهم عن زنادقة مستخفين لا مؤنة عليهم أن ينسبوا ، إلى أنبياء الله عليهم الصلاة والسلام الكفر والضلال والكذب العمى " .
فمن ذلك مايلى :

١ - افتروا على نبي الله لوط وابنتيه :

زعمت ثوراتهم التى بأيديهم أن بنتى لوط تحايلتا على أبيهما بعد اهلاك الله لقوم لوط لكفرهم وعصيانهم وفحشهم ، ومن اسرافهم فى الفحش ارتكابهم جريمة اللواط بصورة عامة وسجانة ووقاحة منقطعة النظير ، ولم يسق، الا لوط وابنتاه ، وقد أقام ثلاثهم عقب ذلك فى غار فى جبل مرتفع ، فقالت الكبيرة للصغيرة مائمه فى ثوراتهم : " أبونا قد شاخ وليس فى الأرض رجل ليدخل علينا كمادة كل الأرض ، هل نسقى أبانا خمرا ونضطجع معه ، فنحى من أبينا نسلا ، فسقتا أباهما خمرا فى تلك الليلة ، ودخلت البكر (الكبيرة) واضطجعت مع أبيها ولم يعلم باضطجاعها ولا بقيامها ، وحدث فى الغد أن البكر قالت للصغيرة إنى قد اضطجعت البارحة مع أبى ، نسقيه خمرا الليلة أيضا ، وقامت الصغيرة واضطجعت معه ولم يعلم باضطجاعها ولا بقيامها ، فحبلت ابنتا لوط من أبيهما فولدت البكر ابنا ودعت اسمه مؤاب وهو أبو المؤابيين ، إلى اليوم ، والصغيرة أيضا ولدت ابنا ودعت اسمه بن عى وهو أبو بنى عمون ، إلى اليوم " .
(٢)

٢ - افترأؤهم على نبي الله هارون عليه السلام :

تعتقد اليهود أن الذى صنع العجل لبني إسرائيل ليعبدوه من دون الله هو

(١) المصدر السابق ١ / ١٤٦ .

(٢) التكوين الإصحاح ١٩ / ٣٠ - ٣٨ .

هارون ، فهو الذى صنع لهم العجل الذهبى استجابة لطلبهم ، وقد تقدم ذكر ذلك عند حديثنا عن عبادتهم للعجل ^(١) وحيث أن الذى صنع لهم العجل ليس هو هارون النبى إنما هو موسى السامرى كما جاء فى صريح القرآن ، قال الله تعالى :
(قالوا ما أخلقنا موعداك بملكنا ولكنا حملنا أوزارا من زينة القوم فقذفناها فكذلك ألقى السامرى ، فأخرج لهم عجلا جسدا له خوار فقالوا هذا الهكم وإله موسى فنسى) وقال تعالى : (ولقد قال لهم هارون من قبل يا قوم إنما فتنتم به وإن ربيكم الرحمن فاتبعونى وأطيعوا أمرى) .
(٢)

وهذا يؤكد لنا أن التوراة التى بأيديهم ليست التوراة التى أنزلها الله من فوق سبع السموات ، والتى أنزلت مكتوبة ، ولم يبق منها إلا بعض معالمها .
والخلاص أن توراة موسى كتاب ربانى - كما سبق ان بينت - ، يقدر عظمة الله جل جلاله ، ولا يصفه ، إلا ما وصف به نفسه أو وصفه رسوله من صفات الكمال والعظمة وينزهه عن صفات النقصان ، وكذلك يكون طبيعة كل كتاب أنزله الله على رسوله .
أما هذه التوراة ، فقد وصفت الله - كما ربنا - بصفات كثيرة من صفات النقص والعجز والجهل والضعف ، ولم ترع الله حقه بل جعلته أضعف من البشر فى بعض الأحيان كما هو مبين فى قصة مضاربة يعقوب مع الله - كما زعموا - وكذلك لم ترع للأنبياء حرمة بل وصفتهم بكل صفات الرذيلة والخسة ، وزعمت أنهم عصوا الله وفعلوا المنكرات بعدما اختارهم الله للرسالة واصطفاهم من بين خلائقه ، فإذن هى ليست التوراة ^{الصحيحة التى يؤمن بها المسلمون} المعروفة عند المسلمين ، بل جل ما فيها مجموعة من الروايات والقصص المشتهرة بين اليهود كتبها أخبارهم بدون رعاية لقواعد التوثيق الخبرى .

(١) انظر ص ٢٦ من الرسالة .

(٢) طه : ٨٧ - ٨٨ .

(٣) طه : ٩٠ .

يقول الأستاذ الشيخ عبد الرحمن حنبله الميداني : " التوراة التي صدق بها القرآن إنما هي الأصول الأولى التي أنزلها الله على موسى عليه السلام ، أما التوراة الحالية الموجودة عند أهل الكتاب فليس لها سند متصل يصحح نسبتها إلى موسى عليه السلام ، كما دخل إليها التحريف والتبديل من غير تمييز بين الأصل والمحرف ، فلا يصح أن يوثق به " .

وهناك شواهد أخرى من أقوال العلماء سواء أكانوا من المسلمين أو من غيرهم وكلهم يتفقون على أن التوراة محرفة .

وقد أسرق صاحب كتاب قصة الحضارة فأنكر أصول التوراة حيث قال : " كان أهم الأثر للأنبياء في معاصريهم هو كتاب التوراة ، وكان سبب كتابتها أن الشعب شرع يرتد عن عبادة يهوه إلى عبادة الآلهة الأجنبية ، فأخذ الكهنة يتسائلون ألم يأت لهم أن يقفوا وقفة قوية يمنعون بها تدهور العقيدة القومية ، ورأوا الأنبياء يعززون إلى يهوه ما يجيش في صدورهم من عواطف يؤمنون بها ويعتقدونها فاعتزموا أن يبلغوا الناس رسالة من الله نفسه في صورة سنن الإلهية تبعث النشاط والقوة في حياة الأمة (٢) الخلقية " .

هذا الكلام يدل على أن التوراة كتبت بعد موسى عليه السلام حيث يدعي المؤلف أنها لم تكتب إلا بعد أن خاف العلماء من ارتداد القوم إلى عبادة غير عبادة يهوه الذي يعتبره الكهنة إلههم .

يقول أحمد عبد الوهاب نقلاً عن دائرة المعارف الأمريكية :
" لم يصلنا أي نسخة بخط المؤلف الأصلي لكتب العهد القديم ، أما النصوص التي بين أيدينا فقد نقلها أجيال عديدة من الكتبة والنساخ ولدينا شواهد وفيرة تبين أن الكتبة قد غيروا بقصد أو بدون قصد منهم في الوثائق والأسفار التي كان عظمهم الرئيسي هو كتابتها ونقلها ، وقد حدث التغير دون قصد حين أخطأوا في قراءاة

(١) العقيدة الإسلامية وأسسها ٢٦٢ .

(٢) قصة الحضارة ٣٥٦ / ١ .

بعض الكلمات . . . وكذلك حين كانوا ينسخون الكلمة أو السطرموتين ، وأحياناً ينسجون كتابة كلمات بل فقرات بأكملها ، وأما تغييرهم في النص الأصلي عن قصد فقد مارسوه في فقرات كاملة حين كانوا يتصورون أنها كتبت خطأ في الصورة التي بين أيديهم ، كما كانوا يحذفون بعض الكلمات أو الفقرات أو يضيفون على النص الأصلي فقرات توضيحية . ولا يوجد سبب يدعو للافتراض بأن أسفار العهد القديم لم تتعرض لأنواع العادية من الفساد في عطية النسخ على الأقل في الفترة التي سبقت اعتبارها أسفاراً مقدسة .^(١)

ويقول فريد وجدي في دائرة معارف لاروس تحت كلمة تورا مايلي :

" العلم العصري ولا سيما النقد الألماني قد أثبت بعد أبحاث مستعيزة في الآثار القديمة والتاريخ وعلم اللغات أن هذه التورا لم يكتبها موسى ، وأنها عمل أجبار لم يذكروا اسمهم عليها الفوها على التعاقب معتمدين في تأليفها على روايات سماعية سمعوها قبل أسربابل ، بل ذهب بعض العلماء إلى أن هذه الأسفار الخمسة ليس فيها كل الروايات الإسرائيلية ، ولكنها تحتوي فقط على إشارات ورموز وحكايات . وهذا الكلام وإن كان معظمه صحيحاً فيه نظراً لأن المسلمين يعتقدون أن التورا لم تحرف تحريفاً كلياً ، وإنما وقع التحريف في بعضها ، وأن بعض الأحكام التي شرعت لبني إسرائيل في التورا لم تبدل كما تقدم لنا ذلك .

(١) إسرائيل حرفت الأناجيل وأسفار المقدسة ص ٧٦ .

(٢) دائرة معارف القرن العشرين ٢ / ٧٠٢ .

الفصل الثانى

عوامل إنحراء اليهود العقدى .

- ١ - تاثرهم بالوثنية الفرعونية وعقائدها .
- ٢ - الكبر والحسد الذمى المفرط الممكن فيهم .
- ٣ - حبهم الشديد للمال .
- ٤ - حبهم الشديد للحياة الدنيا وتعلقهم بها .
- ٥ - الرغبة الشديدة بالفسق والفجور والمعصيان .
- ٦ - نشأة الغلو وعقدة الاستعلاء* على الشعوب لدى اليهود .

الفصل الثاني

عوامل انحراء اليهود العقريين - ٤٥ -

باستطاعتى فى هذا الفصل أن أشير إلى عدة عوامل ، كان لها تأثير فى

انحراء اليهود الاعتقادى ، وهى :

١ - تأثرهم بالوثنية الفرعونية وعقائدها .

هاجر يعقوب عليه السلام هو وأولاده من كنعان إلى مصر ، بطلب من يوسف عليه السلام ، إذ كان يوسف هو المسئول يومئذ عن خزائن أرض مصر ، بعد أن استخلصه ملكها لنفسه ، وقد كان من شأنه ما قصه الله فى سورة يوسف فى القرآن الكريم .

فسكنوا فيها أرضاً مليئة بعبادة الأوثان والأصنام ، وبين قوم وثنيين ، ومات يعقوب عليه السلام فيها ، وبقي أولاده موحدين فى عقيدتهم وعبادتهم لله تعالى وفى مقدمتهم نبي الله يوسف عليه السلام ، وكان بنو إسرائيل فى هذه الحقبة من الزمن محترمين لدى المصريين لما كان ليوسف عليه السلام من فضائل ومنهم عليهم . فهو الرجل الذى كان السبب فى انقاذهم من المجاعة التى كان من المفروض أن تحل بهم لولا أن من الله عليهم به ، فعير لهم رؤيا الملك ، وأجرى التدبيرات الكفيلة لحفظ الميرة وتوزيعها على سنى القحط ، لذلك كان محل تقديروهم وثقتهم ، وكذلك كان إخوته .

وعاش بنو إسرائيل فى مصر عيشة هنيئة ، أحراراً طلقاءً ، مثل أهل البلد أو أكثر من ذلك ، وطال عليهم العهد وهم مختلطون بالوثنيين الذين يحيطون بهم ويعاملون معهم .

ومرور الزمن وطول العهد عن آبائهم وأجدادهم الذين كانوا على دين صحيح ، تأثروا بالوثنية المصرية ، بعد ما ظلوا زمناً طويلاً موحدين ومنعزلين عن أهل البلاد عقدياً وأخلاقياً ودينياً عموماً ، بسبب هذا الانعزال حقد عليهم المصريون ، وقاموا بمضايقتهم ، وبالغوا فى إيذائهم حتى أجبروهم على الدخول

فى الوثنية ، فصاروا وثنين مثلهم ، فانقلبوا من التوحيد إلى الشرك بالله سبحانه وتعالى يقول سليمان مظهر : " كانت معابد المصريين وقصورهم وبيوتهم مليئة بالأصنام من كل نوع وحجم ، وكان من الضيعى أن يكره المصريون أولئك العبريين الذين لم يشاركوهم عبادة الهتهم إلا أن الكراهية تحولت مع مضي الوقت ، وتكاثر عدد العبريين إلى خوف من أن يسيطر هؤلاء العبريون بعقيدتهم فيقصوا بذلك على المعبودات التى عاشت وقتا طويلا قوية مقدسة ، وذات يوم استدعى فرعون كهنته وسحرته وحكماءه ، وسألهم عما يفعله بالعبريين قبل أن يزداد عددهم ويستفحل خطرهم على البلاد .

قال الحكماء لفرعون : إن العبيد لا يفكرون لأنفسهم ، بل هم يفكرون فى العادة تفكير سادتهم ، فإذا نحن أسرنا اليهود واستعبدناهم فإنهم سيجدون أنفسهم بالرغم منهم يفكرون كما نفكر ، ويعتقدون كما نعتقد ، وأخذ الملك بالنصيحة ، وتحقق بالفعل فأشار إلى الحكماء إن حالما تم استعبادهم أخذوا بالتدريج يتحولون عن عقيدتهم ويفكرون بالطريقة التى يفكر بها المصريون ويعبدون الآلهة والأصنام التى عبدها المصريون " .

ومن هذا الكلام يتبين لنا أنهم أخذوا كثيرا من عقائد المصريين ، وشعائيرهم ومنها عبادة العجل الذى تعلق به قلوبهم ، ولم يستطيعوا أن يتخلصوا منه والافترات محدودة من الزمن ، ذلك أن المصريين كانوا يحبون عبادة العجل أكثر من بقية الأصنام أو المعبودات . وكان العجل المؤلهة إذا ماتت فى مصر حنطوها ودفنوها فى مقبرة خاصة فى جهة سقارة تسمى - سرايوم . وقال الدكتور / احمد شلبى نقلا عن مصادر غريبة :

(١) قصة الديانات ص ٣٢٥ - ٣٢٦ .

(٢) عفيف عبد الفتاح طبارة اليهود فى القرآن ص ٢٢٤ .

"ان اليهود اتخذوا في بيوتهم أصناماً صغيرة كانوا يعبدونها وينتقلون بها من مكان إلى مكان ، وقد ظل بنو إسرائيل ^{ههنا} على الاعتقاد حتى جاء موسى عليه السلام وخرج بهم من مصر ، ولما جاءهم موسى رسولاً من عند الله ليهديهم إلى الطريق المستقيم ، وليخرجهم من الظلمات إلى النور ، ومن عبادة الأوثان إلى عبادة الله الواحد الأحد لم يقبل أكثرهم ما جاء به موسى عليه السلام عقيدة دينية خالصة ، بل اتبعوه ليخلصهم من العبودية التي كانوا يعانون منها المشاق والمتاعب في مصر الفرعونية .

لذلك نجدهم وهم مع موسى عليه السلام يؤكد لهم باستمرار دعوة التوحيد الخالص ينحرفون عن العقيدة الصحيحة ، وينفعلون من قيودها الأساسية ، ويتمردون على نبيهم موسى عليه السلام مع معرفتهم له أنه نبي من أنبياء الله بعثه الله إليهم فليس بساحر ولا كاهن ، ذلك أنه ظهرت على يديه معجزات وآيات بينات تزيل الريب والشكوك ولا يستطيع أحد أن يأتي بمثلها إلا إذا كان نبياً مثله ، مؤيداً بتأييد الله سبحانه وتعالى ، وأما تلك المعجزات كلها عياناً ، ومع ذلك طلبوا منه أن يجعل لهم أصناماً يعبدونها من دون الله لمامروا على قوم يعكفون على أصنام لهم يعبدونها من دون الله - كما سبق بيان ذلك - وهذا دليل قاطع على أن العقيدة لم تستقر في نفوسهم .

ومرة أخرى نراهم يرتدون عن الدين لما استبطأوا موسى عند ذهابه ليتلقى التوراة فعبدوا العجل الذي صنع لهم سامري. لقد حصل لهم هذا بمجرد غياب عنهم في أيام قليلة فهم ، "لم يتخلوا قط عن عبادة العجل الذهبي ، لأن عبادة العجل كانت لا تزال حية في ذاكرتهم منذ كانوا في مصر ، وظلوا زمناً طويلاً يتخذون هذا الحيوان (٢) القوى أكل العشب رمزا لإلههم " .

(١) اليهودية ص ١٧٣ .

(٢) قصة الحضارة ولديورانت ٣٣٨/٢ .

لقد لقي موسى عليه السلام المتاعب الشديدة من بنى إسرائيل فى سبيل دعوتهم
إلى عبادة الله وحده ، وكانت المعجزات التى أيد الله بها كافيّة لانتزاع جميع
رواسب الوثنية من قلوبهم ونفوسهم ، وهى الرؤاسب التى خلفها فيهم ضوا عهدهم
مع المصريين الوثنيين ، لكنهم لم يكونوا كذلك .

فالتصورات الوثنية المادية مهيمنة على نفوسهم ، متمكة من قلوبهم ، وتعلقهم
بالماديات يصرفهم دائما عن كل تصور صحيح سليم ، ويضعف فى قلوبهم الإيمان
بالغيب ، والاطمئنان إلى أنه لا إله إلا الله الواحد الأحد الذى لا تدركه الأبصار .

فلما رأوا العجل الذهبى قد جمع مادة الذهب الذى يعشقونه ، ومادة صوت
الخوار الذى لم يظهر إلا بتأثير غيبى اتخذوه إلها ، فعبدوه وكانت آية حيلة تزيينية
يتخذها المضلل السامى كافيّة للتأثير عليهم ، حتى يصدقوه فى أن هذا العجل
المصنوع الذى يخور قد حل فيه إلههم ، وبذلك أشربوا فى قلوبهم حب هذا العجل
قال الله تعالى : (وأشربوا فى قلوبهم العجل بكفرهم) .

والذى يواجه الباحث المنصف المتعلق بالحقيقة دون تأويل أو شطحات هو
ودون تعصب أو تزييف هو أن المجتمع الإسرائيلى لم يزد هربقىم التوحيد الخالص
وبأسلوب العبادة الصافية من الشوائب ، إلا فى أزمان متفرقة قليلة أو فى أفراد
قليلى منهم ، مع كثرة الأنبياء فيهم ، وتتابع المذكرات لهم ، والنكبات عليهم ،
وكانت تصوراتهم الدينية تتكيف مع ظروفهم واحتياجاتهم اليومية .

ومراحل التطور توشك أن تكون معدومة ، وإن وجدت فعلى حسب المصلحة
(٢)
السهوى .

(١) البقرة : ٩٣ .

(٢) ^{انظر} اليهود بين الدين والتاريخ صابر طعيمة ص ٥٣٩ - ٥٤٠ .

واليهود على الرغم من كل المعجزات التي صنعها الله أمامهم ليؤمنوا به ،
وعلى الرغم من كل التحذيرات التي وجهها الله إليهم لكي يمتنعوا عن عبادة غير
الله من أصنام الأمم الأخرى وأوثانها ظلوا طوال تاريخهم يكفرون بالله تعالى
ويعبدون الأصنام والأوثان من دونه ، ومع ذلك يتشدقون بأنهم شعب الله المختار .
لقد كانت تتجدد عبادة العجل مرة بعد مرة في حياة بني إسرائيل منذ أقوها
عن المصريين . وجاء في سفر الملوك الأول أن يربعام عمل عجل ذهب ليعبد هما
أتباعه حتى يريحهم من الذهاب إلى الهيكل ، يقول العهد القديم :
" وعمل عجل ذهب ، فقال لهم : كثير عليكم أن تصعدوا إلى أورشليم هو
ذا إلهتك يا إسرائيل الذين أصدوك من أرض مصر ، ووضع واحد في بيت إسرائيل وجعل
الآخر في دان " .
(١)

وعلى هذا نستطيع أن نقرر أن بني إسرائيل لم يستطيعوا أن يستمروا على
الإيمان بالله الواحد الأحد الذي دعا إليه جميع الأنبياء والمرسلين وكان اتجا همهم
نحو التجسيم والتعدد ، وظلوا يميلون إلى الوثنية أكثر مما يميلون إلى الوحدةانية
لذلك كانوا يحاربون كل نبي جاءهم بالتوحيد والإيمان بالله وحده سبحانه وتعالى .
٢ - الكبر والحسد الذميمة المفرط .

لقد خلق الله في الإنسان طبيعة جعلها في محل الاختبار والابتلاء يفوز
من تغلب عليها وكسر شوكتها ، ويخسر من وقع في حبالها ، تلك الطبيعة هي :
" الحسد " وهي تختلف باختلاف الأفراد والأمم ، فليست سيطرة على فرد ما مثل
سيطرتها على فرد آخر ، وليست سيطرة على أمة مثل سيطرتها على أمة أخرى .
لكننا نجد أمة فاقت جميع الأمم باتصافها بخلق الحسد تلك هي " الأمة
اليهودية " فقد سيطر عليهم هذا الخلق الموروث والمكتسب بصفة غير عادية ، هذه

هذه حقيقة تاريخية عرفت بها البشرية فيهم منذ قديم الزمان ، فلم تغفل من حسد اليهود معظم أمم الارض .

وقد كانت الجريمة الكبرى في الفكر اليهودي حين البسوا حسدهم ثوب الدين وأدخلوا ما اقتضاه حسدهم في عقائدهم وشرائعهم وشعائيرهم وستروا هذا الخلق الذميم فيهم بلباس القدسية الدينية ، وأوصوا أجيالهم القادمة بالحفاظ عليها والإلتزام بها واحترامها ، وأدى بهم هذا الداء إلى اعتبار أنفسهم شعب الله المختار وجعل ذلك عقيدة من عقائدهم - وكان ذلك عقدة نفسية متأصلة فيهم ، فهم لا يطيقون أن يروا نعمة إلا حسدوا عليها وحاولوا إزالتها ، مهما تكن الوسائل ، لأنها فسي اعتقادهم حق من حقوقهم التي ضاعت منهم أو سلبت منهم .

وهل كان كفرهم بمحمد صلى الله عليه وآله وسلم إلا حسدا من عند أنفسهم واستعلاء وتكبيرا على الحق الذي جاء به من عند الله ؟

قال الله عز وجل كشف حسدهم للمسلمين إذ جاء رسول الله محمد صلى الله عليه وآله وسلم من العرب وليس منهم ، وهو الرسول الخاتم الموعودون به (أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله ، فقد آتينا آل إبراهيم الكتاب والحكمة وآتيناهم ملكا عظيما) .

وقال الله عز وجل بشأنهم :

﴿ ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به ، فلعنة الله على الكافرين ، بثسما اشتروا به أنفسهم أن يكفروا بما أنزل الله بغيا أن ينزل الله من فضله على من يشاء من عباده ﴾ (٢)
فبأوا بغضب على غضب وللكافرين عذاب مهين .

(١) سورة النساء : ٥٤ .

(٢) سورة البقرة : ٨٩ - ٩٠ .

امثلة لتلك الجرائم :

١ - إن بنى إسرائيل الأُولين حسدوا أخاهم من أبيهم يوسف عليه السلام ، وهو قد تربى معهم تحت رعاية أبيهم يعقوب عليه السلام حسدوه بعدما أُيقنوا أنه سيكون له شأن فى المستقبل ، وكان ذلك لما علموا نبأ الرؤيا التى رآها فى المنام ، ولقد كان يعقوب عليه السلام يعرف أنهم سيكيدون له كيدا إذا علموا هذه الرؤيا ، لذلك حذر ابنه منهم ، فقال تعالى على لسان يعقوب :

" قال يا بنى لا تقصص رؤياك على إخوتك فيكيدوا لك كيدا ، إن الشيطان للإنسان

(١)

عدو مبين " .

ففهم يعقوب من رؤيا يوسف إن الله تعالى سيلغى منزلة رفيعة يخضع له فيها وإخوته وأبواه ، فخاف عليه من حسدهم ، فنهأه عن أن يقص رؤياه عليهم .

أنه لو لم يعم أبصارهم الحسد لأدركوا أن شرف أخيه شرف لهم ورفعة رفعة لهم ، ولكن القلوب الكارهة أبت أن ترى يوسف معززا مكرما فى حضرة أبيهم فكانت النهاية أن حاولوا قتله ثم عدلوا عن القتل بالقائه فى الجب ليلتقطه بعض أصحاب القوافل السيارة حتى يخلولهم وجه أبيهم .

وظلت هذه الطبيعة ملازمة لهم عبر التاريخ الطويل ، وكان لها ظواهر كثيرة فى سلوكهم ، وقد سجل عليهم القرآن تلك المؤامرة ضد يوسف عليه السلام بقوله تعالى :

" لقد كان فى يوسف وإخوته آيات للسائلين ، وإن قالوا ليوسف وأخوه أحب إلينا أبينا منا ونحن عصبة إن أبانا لفى ضلال مبين ، أن اقتلوا يوسف أو اطرحوه أرضا يخل لكم وجه أبيكم ، وتكونوا من بعده قوما صالحين ، قال قائل منهم لا تقتلوا يوسف وألقوه فى غيابة الجب يلتقطه بعض السيارة إن كنتم فاعلين " .

(٣)

(١) يوسف : ٤ .
 (٢) انظر صفوة التفاسير . ٢٩ / ٢ .
 (٣) يوسف : ٧ - ١٠ .

٢ - تحدث القرآن الكريم عن قصة حسد هم لرجل اختاره الله من بينهم وأتاه الله بسطة

في العلم والجسم ، وهو طالوت الذي جعله ملكا عليهم والذي عينه الله تبارك وتعالى على لسان نبيهم الذي كان موجودا في تلك الفترة ، لقد كان طالوت رجلا مؤمنا صالحا يتقى الله ولديه كفاية للملك ، فاصطفاه الله من بين بني إسرائيل ليقودهم إلى الجهاد في سبيل الله (إن الله اصطفاه عليكم) ومع ذلك نرى اليهود يجادلون في اختيار الله طالوت ملكا عليهم كما أخبرهم نبيهم حسدا واستعلاء على المختار ، ويستنكرون أن يكون طالوت قد بعثه الله ملكا عليهم ، لماذا ؟ لأنهم أحق بذلك منه بالوراثة وإن لم يكن هو من نسل الملوك فيهم ، ولم يؤت سعة من المال .

إن كل هذه الادعاءات خطأ في التصور الصحيح كما أنها مظاهر لسمة نفسية من سمات بني إسرائيل المعروفة فيهم ، قال الله تعالى (وقال لهم نبيهم إن الله قد بعث لكم طالوت ملكا ، قالوا أنى يكون له الملك علينا ونحن أحق بالملك منه ولم يؤت سعة من المال قال إن الله اصطفاه عليكم وزده بسطة في العلم والجسم والله يؤتي ملكه من يشاء والله واسع عليم) (١)

قيل: إن سبب قولهم : (أنى يكون له الملك علينا ونحن أحق بالملك منه) وإن طالوت كان من سبط بنيامين ولم تكن فيهم النبوة ولا الملك ، لذلك حسدوه لما اختاره الله عليهم ، فرد الله عليهم بأبلغ وجه وأكمله ، كأنه قيل : لا تستبعدوا تملكه عليكم لفقره وانحطاط نسبه عنكم .

« أما الأول : فملاك الأمر : هو اصطفاه الله تعالى ، وقد اصطفاه واختاره وهو سبحانه أعظم بالمصالح منكم .

وأما الثانية : فلأن العمدة وفور العلم ليتمكن به من معرفة أمور السياسة وجسامة البدن ليكون أعظم خطرا على القلوب وأقوى على كفاح الأعداء ومكايد

(١)

الحروب لا مذكروكم ، وقد خصه الله تعالى بحظ وافر منهما» .

(٢)

وقيل : إن عمل طالوت كان السقاية والدباغ ، وكان عالما فلذلك رفعه الله .

ذكر العهد القديم قصة طالوت ، وجاء فيها إن الملك قد أفسده ، وأنه

حسد نبي الله داود عليهم السلام لما هزم جالوت أمامه وقتله . (٣)

٣ - استكبارهم على عيسى عليه السلام رسول الله ، لأنه جاء بمالاتهم وأنفسهم

إذا اشتغل على تعاليم تدعو إلى أخلاق سامية وإرشادات قيمة تتعارض مع

أخلاق اليهود وعاداتهم الذميمة التي استعصت على جميع الأنبياء والمرسلين

قال تعالى حكاية عن ذلك : (ولقد آتينا موسى الكتاب وقطينا من بعده

بالرسل وآتينا عيسى ابن مريم البينات وأيدناه بروح القدس أفلكم رسول

(٤)

بمالاتهم وأنفسكم استكبرتم ففريقا كذبتم وفريقا تقتلون) .

لقد كانوا ينتظرون المسيح المخلص وكانوا يعتقدون أنه يأتيهم على

صورة الملك ليس على صورة نبي ، ولما جاءهم ولم يجدوا فيه ما كانوا يظنون

حسدوه وكفروا به وقرروا التخلص منه حتى قال رجل منهم : لأن يموت رجلا

واحد خير من أن يذهب الشعب بأسره ، فأجمعوا في قتله ، ولكن الله نجاه

منهم ، لأنه العزيز الحكيم .

٤ - حسد هم لرسول الله محمد صلى الله عليه وآله وسلم ولأصحابه : قال الله

تعالى في ذلك :

(ألم تر إلى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت

ويقولون للذين كفروا هؤلاء أهدى من الذين آمنوا سبيلا أولئك الذين

لعنهم الله ومن يلعن الله قلن تجد له نصيرا ، أم لهم نصيب من الملك

(٥)

فإذا لا يؤتون الناس نقيرا أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله) .

(١) تفسير روح المعاني : ١/١٦٦ .

(٢) تفسير القرطبي ٣/٣٤٥ .

(٣) وقد سماه العهد القديم بشاول : انظر صموئيل الأول ١٨/٩ - ٩

و ٣١ - ٣٢ ، و ١٨/٤٨ - ١٩ .

(٤) البقرة ٨٧ .

(٥) النساء ٥١ - ٥٤ .

وقال الله عز وجل :

(ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم وكانوا من قبل يستفتحون على
(١)

الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين) .

لقد بين القرآن حسد اليهود للرسول وهو عربى ، إذ جاءته النبوة الخاتمة

وكانوا ينتظرونها لرجل من بنى إسرائيل ، وحسدوا العرب على أنهم سيحتلون قس

هذه الرسالة الخاتمة مركزا القيادة والصف الأول من الأمة الإسلامية .

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد لليهود خيرا ، ولكمهم كرهوا أن يروا

الخير في غيرهم ، وأن ينزل الله الهداية على من يشاء من عباده .

(بقسما اشتروا به أنفسهم أن يكفروا بما أنزل الله بغيا أن ينزل الله من فضله على
(٢)

من يشاء من عباده) .

قال عبد الله بن عباس في تفسير قوله تعالى : (أم يحسدون الناس على

ما أتاهم الله من فضله) حسدوا النبي صلى الله عليه وآله وسلم على النبوة وحسدوا

أصحابه على الإيمان ، والمعنى : يل أيحسدون النبي صلى الله عليه وآله وسلم

والمؤمنين على النبوة التي فضل الله بها محمدا وشرف بها العرب ، ويحسدون
(٣)

المؤمنين على ازدياد العز والتمكين . فهم هكذا لا يرضون أن تكون النبوة في غيرهم

وأن تكون النعمة في غير يهودى .

٣ - حبهم الشديد للمال :

حب المال قضية مشتركة بين بنى آدم ، وهى غريزة طبعها الله في نفس

البشرية ، كل فرد من أفرادها يحب التملك ، ويرغب الملكية يستوى في ذلك الصغير

والكبير ، فكل يحب أن يرى شيئا يملكه قل أو أكثر ، يريد أن يرى شيئا يخصه

دون أن يشترك معه غيره . إذا صفة حب المال صفة يشترك فيها الناس جميعا .

(١) البقرة ٨٩ .

(٢) البقرة ٩٠ .

(٣) انظر صفوة التفاسير ٢٨٢ / ١ .

وقد أبان الله ذلك بقوله عز وجل : (إن الإنسان لربه لكون ، وإنه على

(١)

ذلك لشهيد وإنه لحب الخير لشديد) .

(٢)

ويقوله جل جلاله : (وتحبون المال حبا جما) .

وقد نزلت الشرائع الربانية لضبط هذه الغريزة ، كما نزلت لضبط سائر غرائز

الإنسان من أن تنطلق انطلاقات تفسد الفرد وتضره ، أو تفسد المجتمع وتضره

أو يكون منها ضرر ما على الدين أو الأخلاق أو غير ذلك ، فمن ضبط بإرادته الواعية

سلوكه أحاط غريزته بحدود وقيود ~~ومن لم يضبط سلوكه بإرادته الواعية~~

~~سلوكه أحاط غريزته بحدود وقيود~~ ومن لم يضبط سلوكه بإرادته الواعية أهمل

غريزته ، فانطلقت انطلاقا عشوائيا جاهلا مضرا ومفسدا ، وبذلك يسقط المنطلقون

بلاضوابط ولا قيود في الرذائل الخلقية والسلوكية ، ويندفعون إلى شقائهم ومهلكهم

ونجد في معظم الأمم على اختلاف مذاهبهم ونحلهم أفراد من كل أمة يحاولون ضبط

غرائزهم ، ومنها غريزة حب المال بنسب متفاوتة ، ونجد أفراد آخرين يتركبون

غريزتهم تنطلق على سجيتهما دون ضابط يقيدها ويحدد حدود انطلاقها .

وظواهر الضبط وأساليبه ، تختلف من أمة إلى أمة ، ومن فرد إلى فرد ، وذلك

بحسب اختلاف عقائدها ومفاهيمها وما يؤمنون بها في الحياة .

ولكن نجد أمة يهود قد انفردت بصفة جماعية وشاملة من سائر أمم الأرض بعشوق

المال والسعى إلى جمعه ومنعه بأية وسيلة دون رادع من دين أو خلق ، ما استطاعوا

إلى ذلك سبيلا مأمونا من العقيدة المعجلة في الدنيا التي تفوق ما يقننونه من

مال بغير طريق مشروع ، وقد نستثنى منهم قلة قليلة نادرة .

(١) العاديات : ٦ - ٨ .

(٢) الفجر : ٢٠ .

فأمة يهود لم يوجد مثلاً في تاريخ البشرية في حب المال والسعى إلى جمعه ومنعه بأية وسيلة ، لقد سلكوا في ذلك كل الطرق المشروعة وغير المشروعة مع أنهم من البشر في أصل غريزتهم ، لكنهم أفسدوا نفوسهم بمواريت فكرية وخلقيّة وسلوكية ، جعلتهم ينفردون من بين أُمم الأرض بظاهرة الجشع الشنيع ، والحرص الشديد ، واتخاذ كل وسيلة لسلب أموال الناس ، دون جهد يبذلونه في استنباط المال واستثماره وتنميته .

ومن وسائلهم: الربا والفسق والاحتكارات واتخاذ كل حيلة لسلب أموال الناس بالباطل ، ومن تعاليمهم: أن شرائع المنع والخطر الديني المتعلقة بالمال هم معفيون من التقيد بها ، وإذا كانوا يتعاملون مع غيرهم من الأمم ، ولعل ذلك يرجع إلى عقيدتهم التي تصفهم بأنهم شعب الله المختار ، ولهذا هم يريدون السيطرة على العالم ، والمال من وسائلهم الكبرى ، مع أنه قد كان من أسباب تخصيصهم بأحكام مشددة عليهم كسبهم للأموال بغير حق ، كأكل الربا وقد نهوا عنه ، وأكل أموال الناس بالباطل ، مع ما كانوا يمارسون من ظلم وصد عن سبيل الله كثيرا . قال تعالى فيهم :

(فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم ويصدونهم عن سبيل الله كثيرا ، وأخذهم الربا وقد نهوا عنه وأكلهم أموال الناس بالباطل واعتدنا للكافرين منهم عذاباً أليماً) (١)

فتحريم بعض الطيبات عليهم مع أنها كانت في شريعة الله حلالا ، قد كان بسبب ظلمهم وصدونهم عن سبيل الله وأخذهم الربا وقد نهوا عنه وأكلهم أموال الناس بالباطل . ولم ينسج أخبارهم وطمأؤهم من داء حب المال الشديد لذلك كانوا يغيرون ويبدلون كتاب الله ، ويكتبون الكتب بأيديهم ومن عند أنفسهم ويؤمنون أنها

من عند الله ، لكي ينالوا عرضاً من الدنيا الفانية . وقد أنزل الله فيهم (فميسر
للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمناً قليلاً
(١)
فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون) .
ومن أجل هذا الحب المقرط للمال استحلوا أموال غيرهم وأكوا السحت وأخذوا
الربا ، واستندوا في استحلالها إلى أدلة اخترعوها وابتدعوها ثم نسبوها إلى دين
الله افتراءً على الله وكذباً على دينه ، وزعموا أنهم يقتدون بأنبيائهم ، إن نسبوا
إليهم أعمالاً ، ووصفوهم بأوصاف هم بريئون منها ، وكان افتراؤهم ذلك على أنبيائهم
بهدف تبرير جرائم أنفسهم وأعمالهم العدائية ضد البشرية ، كل ذلك يفعلون لأنهم
يرون أن الحياة خاصة بهذه الدنيا ، فلا يؤمنون بحساب الآخرة ، أو أنهم لا يرون
أن ذلك إثم وظلم ، لأنهم شعب الله المختار ، وأن الله أباح لهم جميع ما في
الأرض ، وأباح لهم الاستيلاء على أموال الناس بغير حق .
إن توراة اليهود تقرر أن من واجب الإسرائيليين غزو شعوب الأرض الأخرى ،
وضرب رقاب جميع الرجال البالغين بحد السيف ، واسترقاق جميع نسائهم
وأطفالها ، ونهب جميع ما لهم من مال وعقار ومتاع .
ومن النصوص الموجودة في كتبهم والتي يستحلون بالاستناد إليها أموال غيرهم

مايلي :

أولاً : من العهد القديم .

(١ - جاء في سفر التثنية مايلي :

" لا تقترض أخاك بربا ربا فضة أو ربا طعام أو ربا شيء ما ماتقرض بربا للأجنبي
تقرض بربا ، ولكن لأخيك لا تقرض بربا ، لكن يباركك الرب إلهك ، في كل
(٢)
ما تمتد إليه يدك في الأرض التي أنت داخل إليها لتمتلكها " .

(١) البقرة : ٧٩ .

(٢) الإصحاح ٢٣ / ١٩ .

٢ - وجاء فيه أيضًا : "إذا دفعها الرب إلهك "مدينة أعدائهم" إلى يـمـنك فاضرب جميع ذكورها بحد السيف ، وأما النساء والأطفال والبهائم وكل ما فى المدينة كل غنيمتها فتغتنمها لنفسك ، وتأكل غنيمة أعدائك التى أعطاك الرب إلهك ، وهكذا تفعل بجميع المدن البعيدة منك جدا التى ليست من مدن هؤلاء الأمم هنا ، وأما مدن هؤلاء الشعوب التى يعطيك الرب إلهك نصيبا فلا (١) تستبق منها نسمة ما " .

٣ - ذكر فى التوراة "العهد القديم" أن كلم الله موسى عليه السلام أمر بنى إسرائيل أن يستعبروا أموال المصريين ويأخذوها معهم لما أمره الله بالهجرة من مصر . جاء فى سفر الخروج ما يلى :

"تلكم فى مسامع الشعب أن يطلب كل رجل من صاحبه وكل امرأة من صاحبها أمتعة فضة وأمتعة ذهب . وأعطى الرب نعمة للشعب فى عيون المصريين " . وقال : "وفعل بنو إسرائيل بحسب قول موسى ، طلبوا من المصريين أمتعة فضة وأمتعة ذهب وثيابا ، وأعطى الرب نعمة للشعب فى عيون المصريين حتى (٢) أعاروهم فسلبوا المصريين " .

والظاهر - والله أعلم - أن هذا من تحريفاتهم للتوراة ، وأنهم قد أخذوا هذه الأموال دون أن يأمرهم موسى عليه السلام بأخذها ، وأدخلوا هذا التحريف فى الكتاب المقدس ليبرروا أعمالهم الإجرامية ، وليستدلوا به على استحالة أموال غيرهم من الأميين . ويدلنا على هذا الاتجاه قوله تعالى فى القرآن الكريم حكاية عنهم :

(قالوا ما أخلفنا موعدك بملكنا ولكنا حملنا أوزارا من زينة القوم فقذفناهم) (٣) فكَذَلِكَ أَلَقَى السَّامِرَى) .

(١) الإصحاح ٢٠ / ١٤ - ١٥ .

(٢) الإصحاح ١٢ / ٣٥ - ٣٦ .

(٣) طه : ٨٢ .

فاستعمال كلمة "أوزار" وإن كانت في الأصل بمعنى الأُحمال إلا أن اختيارهم هذه الكلمة هنا ، فيه إشعار بانها "آثام" أو أنهم أخذوها بغير حق شرعى ، فالعارية لا يجوز تملكها ، بل يجب ردّها ولو كان صاحبها كافراً أو مشركاً .

ثانيا : ماجاء في التلمود :

- ١ - "يمكنك أن تغش الخريب وتدينه بالربا الفاحش ، ولكن إذا بعت أو اشتريت شيئاً لقريبك " اليهودى " فلا يجوز لك أن تراوغه وتساومه " .
(١)
- ٢ - كما أن ربة البيت تعيش من خيرات زوجها هكذا أبناء إسرائيل يجب أن يعيشوا من خيرات أمم الأرض دون أن يتحملوا عناء العمل " .
(٢)
- ٣ - ممنوع عليك رد ما فقدته الخريب ولو وجدته .
(٣)
- ٤ - مباح لليهودى أن يغش الأجنبى من خلال التعامل معه فى البيع والشراء والربا " وهكذا فالأمر ليس له حرمة إنسانية عندهم ، وإنه كالربا ثم بل هو أقل قدراً من الربا ، وأقل حرمة منها ، فلمهم أن يسرقوه ويغشوه ، ويكذبوا عليه ويغتصبوا أمواله ، ويهتكوا عرضه ، ويعتبرون ذلك كله قربات وحسنات يشيهم الله عليها ، وأنه لا يرضى عنهم إلا إذا فعلوا ذلك ، لأن تلمودهم يقول لهم :
(٤)
" كل من يقتل أجنبياً يقرب قرباناً إلى الله " ، فإذا كان قتله قرباناً إلى الله فمن باب أولى أن يكون قرباناً مادون ذلك من أذاذه .

ثالثا : ماجاء فى البروتوكولات اليهود :

جاء فى البروتوكول السادس ما يلى :

لن يمرّ زمن غير يسير حتى نكون قد أنشأنا مؤسسات احتكارية ضخمة تجتذب الثروات الكبيرة إلى أجزائنا ، رجاء حصرها فى أيدينا ، وسيكون لها نفوذ

(١) و (٢) و (٣) همجية التعاليم الصهيونية بولس يوحنا ص ١٥٢ - ١٥٣ ، ١٥٦ .

(٤) جذور البلاء عبد الله التل ص ٨١ .

(١)

قوى يسيطر على ثروات المسيحيين التي تجرى معها أرصدة الجويم إلى قرارات تلك الخزائن التي يسهل عليها ابتلاع كل ثرواتهم عند وقوع أول كارثة سياسية ، وأنتم أيها السادة الاقتصاديون الحاضرون معنا الآن قدروا هذه الخطة بماستحق من التمعن والتفكير لتروا عظمها ، ولما كانت الاستقراطية المسيحية قد فقدت قوتها السياسية ، فلم يعد هناك ما يدفع إلى الاكتراث بها إلا أن الاستقراطيين مايزالون ملاك الأرض ، تسمح لهم موارد هم الحرة بأن يكونوا خطرا علينا فمن المحتم أن نغتصب تلك الأملاك ونحرّمهم من ربحها بكل وسيلة ، ممكنة ، والطريقة المثلى الضامنة لنجاح مقصدنا هو فرض المزيد من الضرائب على أملاكهم العقارية ورفع الأجور ، وتيسير القروض ومضاعفة فوائدها ، وكل هذا ينقل أملاكهم من أيديهم إلى أيدي غريبة ، وحرى بنا في هذا الوقت أن تكون لنا السيطرة التامة على التجارة والصناعة . . . ومهمتنا في هذا المجال أن نجعل الصناعة تمتص خيرات الأرض ثمر العمل ، وثمر رأس المال وبذلك تنتهي كل ثروات العالم إلى أيدينا ، ويتحول " الجويم " إلى صفالييك ، ويخرون ساجدين بين أيدينا قانعين بأن يكون من نصيبهم حق الحياة .

وفي بروتوكول الخامس عشر جاء مايلي :

" إن كل أموال الدنيا ستجتمع في أيدينا " .

وهكذا ، إنهم لا هم لهم إلا المال وليس لهم هدف آخر في هذا الوجود ، إنهم يعتقدون أن من جمع المال سهل عليه كل شيء وكل سبب من أسباب الدنيا ، فهو كل حياتهم وكل آمالهم الأولى والاخيرة .

رابعاً : ما جاء في القرآن

لقد سجل القرآن الكريم آيات كثيرة تتحدث عن معاملات اليهود المايلية والاقتصادية ، وتتحدث عن جشعهم وأنانيتهم ومعاملاتهم غير الإنسانية في أخذ

(١) كلامهم هذا كان وهم في بلدان المسيحيين ، وهو ينطبق على المسلمين وسائر أمم الأرض .

الرشوة والربا والغصب وأكل أموال الناس بالباطل - كما سبق - وكشف فضائحهم المالية حيث أفرطوا في هذا الجانب إفراطاً لا مثيل له .

وتحدث القرآن عن هذه الصفة - صفة حب المال - من جوانب كثيرة وعن الطُرف التي سلكوها لجلب هذه الأموال ، من ذلك ما يلي :

١ - جاء في القرآن انه جاء بعد قوم موسى خلف ، وصفة هذا الخلف أنهم ورثوا الكتاب ودرسوه ، ولكنهم لم ينفذوا أوامره ، ولم يجتنبوا نواهيه ، ولم تتأثروا بوعظهم به ، وكانوا يأخذون عرض الدنيا الحقيرة ثم يدعون بعد ذلك أن الله سيفرلهم ولا يعاقبهم على ذلك ، وكلما رأوا عرضاً من أعراض الدنيا تهافتوا عليه قال تعالى :

(فخلف من بعدهم خلف ورثوا الكتاب يأخذون عرض هذا الأدنى ويقطعون سيففرلنا وإن يأتيهم عرض مثله يأخذوه ، ألم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب ألا يقولوا على الله إلا الحق ودرسوا ما فيه والدار الآخرة خير للذين يتقون (١) أفلاتعقلون) .

قال ابن جرير الطبري رحمه الله تعالى : " فتبدل من بعدهم بدل سوء ورثوا كتاب الله فعلموه وضيعوا الحمل به ، فخالفوا حكمه يرشون في حكم فيأخذون الرشوة فيه من عرض هذا العاجل " الأدنى " يعني ب " الأدنى " الأقرب من الآجل الأبعد ، ويقولون : إذا فعلوا ذلك سيفرلنا نؤمننا ، تمنيا على الله (٢) الأباطيل " .

ما هذه إلا دعاوى باطلة يصنعها الغرور وأوهام الأمان ، والدافع إليهم حب المال والحرص على جمعه ، ثم هم يحسرون على باطلهم وجرائمهم ، لا يتوبون إلى الله ولا يرجعون إليه ، وقد بين الله لهم أن الآخرة خير لمن آمن واتقى ، ولكنهم

(١) الأعراف : ١٦٩ .

(٢) جامع البيان ١٣ / ٢١٠ .

لا يعلمون ولا يعقلون وإن اتخذوا إليهم هواه ، ومن أضل ممن اتخذ إليهم هواه .

٢ - جاء في القرآن ما يثبت أنهم كتموا وحرفوا كلام الله الذي أنزل على موسى وعلى من بعده من أنبياء العهد القديم ، ومن دافعهم إلى ذلك جمع الأموال وكنزها قال الله تعالى : (وإن أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه ، فنبدوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمنا قليلا فبئس ما يشترون) (١)
وقال تعالى : (وإن الذين يكتُمون ما أنزل الله من الكتاب ويشترون به ثمنا قليلا أولئك ما يكونون في بطونهم إلا النار ، ولا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزيهم ولهم عذاب أليم) .

لقد نبذوا كتاب الله وراء ظهورهم وكتموه وعصوا بذلك ربهم وخانوا أمانتهم ابتغاء ثمن قليل وهو عرض من أغراض هذه الأرض ، ومصلحة شخصية للأخبار أو قومية لليهود : : وكله ثمن قليل ، ولو كان ملك الأرض كلها طوال الدهور فما أقل هذا الثمن لعهد الله ، وما أقل هذا المتاع متاعا حين يقاس بما عند الله (فبئس ما يشترون) .

إنهم ابتاعوا بكتبتهم ما أخذ عليهم الميثاق ألا يكتموه من أمر نبوة محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، ومن العلم والحكمة ليأخذوا عوضا خسيسا حقيرا من عرض الدنيا الفانية ، ولذلك حرم الله عليهم كل خير ينتفع به المؤمنون يوم القيامة فكان الجزاء من جنس العمل .

٣ - في القرآن ما يثبت أن الأخبار والربانيين كتبوا كتابا بأيديهم ومن عند أنفسهم افتروا فيه على الله ، ثم أوهموا الناس وخاصة العامة منهم أن ما كتبوه فيه مأخوذ من كتاب الله أو أنه هو نفسه كتاب الله ، وحملوا الناس على التعبد به قائلين :

-
- (١) آل عمران : ١٨٢ .
(٢) البقرة : ١٧٤ .
(٣) انظر في ظلال القرآن ١ / ٥٤١ .

ان مافيه من عند الله ويمكن الاستغناء به عن كتاب الله الذى نفهم منه مالا يفهم
غيرنا ، والخرع من ذلك هو : (ليشتروا به ثمنا قليلا) لا بتفاهة حطام الدنيا
عند الناس وأكثر أموالهم بغير حق باسم الدين قال الله عز وجل : (فويل
للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا
(١)
فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون) .

ولا شك أن هذا وعيد لهم بالهلاك العظيم ، ومن الأثمان التى كانوا يأخذونها
جزاء افترائهم على الله رشى مالية أو مصالح ومنافع مادية ، وقد وصف الله
الثن بالقلعة مع أنه قد يكون كثيرا فى نظر الناس ، لأن كل ما يباع به الحق ويترك
لأجله فهو قليل، لأن الحق أثن الأشياء وأغلاها ، وقال الله تعالى : (يا أيها
الذين آمنوا ، ان كثيرا من الأحبار والرهبان ليأكلون أموال الناس بالباطل ويصدون
(٢)
عن سبيل الله) .

فهم يستغلون مركزهم الدينى بين أقوامهم ليأكلوا أموال الناس بغير حـق
فينفرون بذلك عن دينهم ويصدونهم عن سبيل الله .

وقد اشتهر اليهود فى الناس جميعا بتكالبتهم على الدنيا وتفننهم فى
ابتزاز أموال الناس عن طريق الربا الفاحش والميسر والمضاربات المالية المربيه
وميوت الفسق والفجور وسائر ألوان السلب والنهب .

هذا هوشأنهم فى ماضيهم ، وهذا هوشأنهم فى حاضرم ، ومادامت هذه
طبيعتهم فسيظل هذا شأنهم فى مستقبلهم .

(أولئك الذين اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة فلا يخفف عنهم العذاب ولا هم
(٣)
ينصرون) .

(١) البقرة : ٢٩ .

(٢) التوبة : ٣٤ .

(٣) البقرة : ٨٦ .

تلك نتيجة إهمالهم للأمر والنهي ونقضهم ميثاق الله تبارك وتعالى ، وإنهم جعلوا حظوظهم من الحياة الدنيا بدلا من الآخرة بما فرطوا في جنب الله وأهملوا شريعته ، فهم لا يتبعون منها ، إلا ما يوافق أهواءهم ولا يعارض شهواتهم .

٤ - حبهم الشديد للحياة الدنيا وتعلقهم بها :

فقد بين الله سبحانه وتعالى في كتابه العزيز حقيقة حال بني إسرائيل في إخلادهم إلى الأرض وحبهم البقاء فيها ، وبين حالهم في الماضي والحاضر وكذلك يكونون في المستقبل إلى ما شاء الله ما داموا متمسكين بموارثهم المنحرفة وعاداتهم وتقاليدهم الفاسدة والظاهر من سيرتهم ونظام معيشتهم يدل على أنهم سيظلون كذلك ما داموا يهودا . فهم شديداً الحرس على الحياة وإن كانت في بؤس وشقاء ، وإنهم أحرس الناس على حياة حتى من الذين أشركوا يريدون مطلق الحياة أياً كانت صورتها ، ويتمنى كل واحد منهم أن يعيش ويطول عمره في الدنيا ألف سنة أو أزيد من ذلك . مع أنه لو تحقق تمنييه هذا لن ينجيه منه . قال الله تعالى في حقهم :

(ولنجدنهم أحرس الناس على حياة ومن الذين أشركوا يود أحدهم لو يعمر ألف سنة وما هو بمزحرجه من العذاب أن يعمره الله بصيره ما يعلمون) (١) .
أي لتجدن اليهود أشد الناس حرصاً على الحياة وأحرص من المشركين أنفسهم وذلك لعلمهم أنهم صائرون إلى النار لإجرامهم . (٢)

قال ابن جرير الطبري رحمه الله تعالى :

« لتجدن أشد الناس حرصاً على الحياة في الدنيا وأشد هم كراهية للموت اليهود ، وإنما كراحتهم للموت ، لعلمهم بمآلهم في الآخرة من الخزي والهوان الطويل وإنما وصف الله جل ثناؤه اليهود بأنهم أحرس الناس على الحياة ، لعلمهم بما قد أعد لهم في الآخرة على كفرهم بما لا يقربه أهل الشرك ، فهم للموت أكره من أهل

(١) البقرة : ٩٦ .

(٢) وهذا بالنسبة إلى بعض الفرق اليهودية ، وأما غالبية فرقهم فإنها تنكر البعث الجزاء .

الشرك الذين لا يؤمنون بالبعث ، لأنهم يؤمنون بالبعث ويعلمون ما لهم هناك من العذاب ، والمشركون لا يعدقون بالبعث والعقاب ، فاليهود أحرص منهم على الحياة (١) وأكره للموت .

هذه الصفة ، صفة حب الحياة كانت من أبرز القواعد الأساسية في تركيبهم النفساني ، والتي سبقوا فيها المشركين أنفسهم ، فأمنية اليهود الكبرى أن يتمر في الأرض أطول مدة ممكنة ، لا أن يموت في شيخوخة الإنسان المعتادة فضلاً عن أن يقتل في شرخ الشباب وزهرة الصبا .

يقول أحد علمائهم : " إن الثواب الوحيد الذي كان البررة الصلاح من آل إسرائيل يرجونه هو أن يجود الله عليهم بحياة طويلة باسمه الأفراح واسعة العيش وكان اليهودي يرى نهاية الوجود بنهاية الحياة ويرى أنه لا سعادة للإنسان (٢) الابطيمات الأرض " .

ويقول سيد قطب : " آية حياة لا يهيم أن تكون حياة كريمة ولا حياة مميزة على الإطلاق ، حياة فقط : بهذا التنكير والتحقيق حياة ديدان أو حشرات : حياة سلام أنها يهود في ماضيها وحاضرها ومستقبلها سواء ، يود أحدهم لو يعمر ألف سنة ذلك أنهم لا يرجون لقاء الله ، ولا يحسسون أن لهم حياة غير هذه الحياة " .

هـ - الرغبة الشديدة بالفسق والفجور والعصيان :

إن اليهود كسائر البشر ، قد خلقوا مخيرين قادرين على فعل الخير وطعن فعل الشر ، ولكن أكثرهم قد اختار المعصية على الطاعة ، والفسق والفجور على البر والتقوى فاستعملوا ما وهبهم الله من قدرات في فعل الشر والإثم ، واستحوذ عليهم الشيطان واستعذبوا الشر وتفننوا في وسائله ، حتى تفوقوا على جميع الشعوب في هذا الجانب

لقد مارسوا الفسق والفجور في عصورهم الأولى ، واستمروا كذلك حتى ، تفاقم إثمهم ففى هذا العصر تفاقم منقطع

(١) جامع البيان ٣٦٩/٢ - ٣٧٠ ، كلام الطبري يفيد أنهم يؤمنون بالآخرة ولكن

في الحقيقة أنهم لا يؤمنون بالآخرة كما يتضح لنا فيما بعد .

(٢) اسمه برنار لا زار ، انظر اليهود في القرآن عفيف طبارة ص ٤٦ .

(٣) في ظلال القرآن ١/٩٢ .

النظير ، وصاروا دعاة كل رذيلة ، وأدخلوا على الوسائل والأساليب المتخذة لممارسات الكبائر الكبرى مستحدثات ومستجدات كثيرة ، الأمر الذي جعل النوازع الشر والفجور جذورا عسيقة ضخمة في نفوسهم ، وفروا بأسقة ، متقدمة في كل عمل ، وصار الفجور لديهم بمثابة الأمور التي طبعوا عليها ، وغدت الرذائل في مفاهيمهم فضائل يفتخرون بها .

قد يوجد في الأمم من يزال مهنة الشر ويمارس الفسق والفجور ولكن ذلك لا يكون على سبيل الظاهرة الشاملة لمعظم الأفراد في آية أمة من الأمم مع الإصرار المتوارث والعلم بالحق وتبرير الإثم بالباطل .

بيد أن اليهود قد غلبت على أكثريتهم الساحقة هذه الظاهرة فهم يمارسون الفسق والفجور دون أن يكون لديهم واعظ من داخل أنفسهم أو رادع يردعهم عن الشر من قادة مجتمعاتهم ، وكثير منهم يعلم الخير والشر والحق والباطل ، وهو مع ذلك يصبر على آثامه وجرائمه ، ويجعلها خيرا وحقا ، زورا ومهتانا وتزييفا للحقائق .

إن بين اليهود والفجور علاقة وثيقة قديمة ، قد نبه اليها القرآن الكريم كما دلت عليها كتبهم القديمة والأخبار التاريخية الموثوقة ، قاله سبحانه وتعالى قد أنفأ عن نعماء على اليهود فما شكروا فضله ، إنه أرسل إليهم الرسل وأنزل عليهم الكتب وجعلهم ملوكا وأئمة قبل نزول القرآن الكريم فقابلوا ذلك بالعصيان والتمرد ، لقد بعث إليهم موسى عليه السلام نبيا ليهديهم إلى صراط مستقيم ، وليخرجهم من الظلمات إلى النور فعصوا رسوله ، وخالفوا أمره وكلما آتاهم بمعجزة طالبوا بالمزيد عنادا وتعنتا حتى ضاق صدره عليه السلام وتبرأ منهم واستعان بربه من سوء ما فعلوه .

ثم تتابعت الرسل بعده ، فكلما جاءهم رسول من عند الله كذبوه ، أو قتلوه وكان آخرهم محمد صلى الله عليه وسلم ، فعادوه ، وعاهدوه ثم نقضوا عهدهم له فسى أخرج الأوقات ، أوقات الحرب ، فأنحازوا إلى أعدائه ليوقعوا الهزيمة به ، ودسوا له السم في الطعام . وسيتبين لنا ذلك إن شاء الله ، ومع ذلك باءوا بالفشل والخسران

المبين . قال الله تعالى وهو يخبر عباده المؤمنين عن موقفهم من الرسل :

(لقد أخذنا ميثاق بني إسرائيل وأرسلنا إليهم رسلاً كلما جاءهم رسول بما لا تهوى
(١)

أنفسهم فريقاً كذبوا وفريقاً يقتلون) .

إن من نظري تاريخ شعوب الأرض وعاداتها وتقاليدها لا يجد شعباً عاش فسى

الفسق والفجور مثل الشعب اليهودي .

(٢)

يقول مارتن لورث : « أيقنت أن اليهود أناس غلاظ الأكباد ، انحرفوا عن شريعة

موسى (عليه السلام) وزوروا كتبه وأقواله .

أما معابدهم فماهى ، إلا مواخر الفسق والفجور ، فيجب علينا إحراق كتبهم المزورة

وتدمير معابدهم القذرة ، لننقذ شعبنا من خطرهما ، فلو عاد موسى بنفسه للحياة
(٣)

لأمر بحرقها وإزالتها من الوجود ” .

وقال عالم من علماء اليهود :

لقد زعمنا أننا خلقنا لانقاذ العالم من الهلاك ، وفاخرنا على الإنسانية بأننا

من الشعب المختار ، وادعينا بأن المسيح وجميع الأنبياء هم منا ، مع أننا منذ فجر

التاريخ نسعى دون هوادة لنشر الخراب والدمار فى العالم ، وشل تقدم الإنسانية

بكل السبل والوسائل ، لقد قضينا بفلسفتنا ومبادئنا الهدامة على كل منجزات البشرية

الأدبية والمادية ، ودمرنا حضارتها ، وحلنا دون انتشار الأفكار البناءة فى مجتمعاتها

حتى أوصلناها إلى هذا الوضع المؤسف ، الذى ييكى ضميرى ويدمى جوارحى ، وعند

مايخطر لى أننى أعرف هوية الذين سببوا هذه الكوارث التى حلت بالعالم يأخذ نفسى

الغضب على نفسى ، وينتابنى الخجل والتقزز من نفسى لأننى أنتسب إلى هؤلاء -
(٤)

المجرمين) .

(١) المائدة : ٧٠ .

(٢) هو المؤسس مذهب البروتستانت المسيحي .

(٣) المفسدون فى الأرض من ناجى ص ٢٧٢ .

(٤) هو د/أوكارليش . المصدر السابق ص ٤٥٨ .

نماذج من فسقهم وعصيانهم :

أولاً : ما ذكر في القرآن :

١ - من صفاتهم المشهورة المشؤومة أنهم قتلوا الأنبياء ، ومن عاداتهم أنهم كلما أرسل الله إليهم رسولا وأمرهم بالتوحيد وعبادة الله عاندوه وعصوه، ومالوا إلى الشرك به سبحانه ، وأن لديهم جرأة عجيبة على انتهاك محارم الله والاعتداء على دعاة الحق للخلاص من معارضتهم للمعاصي التي يرتكبونها ، والمواقف التي يقفونها في وجه أهوائهم ، وإن كانوا هم أنبياء الله ورسله والصالحين من عباده. تلك سمة من السمات التي اشتهر بها اليهود .

لقد سجل القرآن عليهم هذه الكيرة الشنيعة تسجيلا لا ينساه التاريخ ، فقال

تعالى :

(إن الذين يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير حق ويقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس فيشرهم بعذاب أليم) (١)

روى ابن جرير الطبري بسنده عن أبي عبيدة بن الجراح أنه قال : قلت يا رسول الله ، أي الناس أشد عذابا يوم القيامة : قال : " رجل قتل نبيا أو رجل أمر بالمنكر ونهى عن المعروف " ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم :

(إن الذين يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير حق ويقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس فيشرهم بعذاب أليم أولئك الذين حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة) (٢)
ومالهم من ناصرين) .

ثم قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : " يا أبا عبيدة ، قتلت بنو إسرائيل ثلاثة وأربعين نبيا من أول النهار في ساعة واحدة : فقام مائة رجل واثنان عشر رجل

(١) و (٢) آل عمران ٢١ - ٢٢ .

من عباد بني إسرائيل فأمرُوا من قتلهم بالمعروف ونهواهم عن المنكر فقطلوا جميعاً
(١)
من آخر النهار في ذلك اليوم وهم الذين ذكرهم الله عز وجل " وقال تعالى :
" ولقد آتينا موسى الكتاب وقفينا من بعده بالرسول وآتينا عيسى ابن مريم البينات
وأيدناه بروح القدس ، أفلكم جاءكم رسول بعلات تهوى أنفسكم استكبرتم ففريقاً كذبتم
(٢)
وفريقاً تقتلون " .

» والمعنى يامعشر يهود بني إسرائيل لقد آتينا موسى التوراة وتابعنا من بعده
بالرسول إليكم ، وآتينا عيسى ابن مريم البينات والحجج إذ بعثناه إليكم وأيدناه
بروح القدس ، وأنتم كلما جاءكم رسول من رسل بغير الذي تهواه نفوسكم استكبرتم
عليهم تجبراً وفيما استكباراً مامكم إبليس ، فكذبتم بعضاً منهم وقتلتم بعضاً ، فهذا
(٣)
فعلكم أبداً برسلى .»

وهكذا فهم يقتلون أنبياء الله بغير حق وبغير سبب ولا جريمة إلا كونهم دعواهم
إلى عبادة الله وحده وامثال أوامره واجتناب نواهيه .

وذكر ابن كثير في تفسيره حديثاً عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال : « قتل
(٤)
بنو إسرائيل ثلاثمائة نبي من أول النهار ، وأقاموا سوق بقتلهم من آخره " .
وقال تعالى :

(لقد أخذنا ميثاق بني إسرائيل وأرسلنا إليهم رسلاً كلما جاءهم رسول بعلات تهوى
(٥) قال ابن كثير رحمه الله :
أنفسهم فريقاً كذبوا وفريقاً يقتلون » وثبت عليهم في التاريخ أنهم قتلوا من الأنبياء :
(٦)
حزقيال ، وأشعيا وأرميا ويحيى وزكريا .»

-
- (١) جامع البيان ٢/٢١٦ .
(٢) البقرة : ٨٧ .
(٣) جامع البيان : ٢/٣٢٣ - ٣٢٤ .
(٤) تفسير ابن كثير : ١/٣٥٥ .
(٥) المائدة : ٧٠ .
(٦) مكائد يهود عبر التاريخ ص ٢٩ .

٢ - خروجهم على موسى عليه السلام :

لقد عرفنا موقف اليهود من أنبياء الله ورسله عموما ، وذكرت من ذلك مايكفي ولكن مع ذلك فإننى أجد فى نفسى أن لا أترك الموضوع بهذا القدر ، فأثرت أن أذكر مواقفهم العنيدة وبعض الأمور التى وقعت بينهم وبين نبيهم موسى عليه السلام لأنه قد عانى معاناة شديدة من قومه وتحمل منهم متاعب جمّة وأذى كثيرا وإضافة الى ما سبق ذكره من مطالبتهم موسى عليه السلام أن يجعل لهم صنما يعبدونــه بعد اجتيازهم البحر بالمعجزة الكبرى ، وعبادتهم العجل الذى صنعه لهم السامري حين ذهب موسى لمناجاة ربه أعرض الحوادث التالية :

أ - من صور تعنتهم على رسولهم ما حكاه الله عنهم إذ قال :

(وإذ ظنم يا موسى لئن نؤ من لك حتى ترى الله جهرة فأخذتكم الصاعقة وأنتم تنظرون ، ثم بعثناكم من بعد موتكم لعلكم تشكرون) (١) أخذتهم الصاعقة فأماتهم الله ثم أحياهم من بعد موتهم ، لأنهم تجرأوا فى قلوبهم لموسى لئن نصدك ولن نقر بما جئت به حتى ترى الله جهرة عيانا ، برفع الستار بيننا وبينه ، وكشف الغطاء حتى ننظر إليه بأبصارنا .

ب - لما وصلوا الى سهول شبه جزيرة سيناء وجاعوا واشكوا الى موسى عليه السلام فدعا ربه فأنزل الله عليهم المن والسلوى ، وبعد أن تفضل الله عليهم بهذه النعم أمرهم أن ياكلوا من هذه الطيبات ولكنهم جحدوا تلك النعم وطلبوا غيرها وقالوا : لن نطيق أن نحبس أنفسنا على طعام واحد ، قال تعالى حكاية عنهم : (وإذ ظنم يا موسى لئن نصبر على طعام واحد فادع لنا ربك يخرج لنا مما تنبت الأرض) (٢) .

(١) البقرة : ٥٥ - ٥٦ .

(٢) البقرة : ٦١ .

ج - أمر الله موسى عليه السلام أن يذهب ببني إسرائيل إلى الأرض المقدسة لفتحها
جهاداً في سبيل الله ، فخاطب موسى قومه في شأن ذلك ، وحشهم على
الجهاد في سبيل الله وأقبحهم أن قيمة الجهاد عظيمة ، وأجر المجاهد كبير
قال تعالى في ذلك :

(يا قوم ادخلوا الأرض المقدسة التي كتب الله لكم ولا ترتدوا على أدباركم
فتقلبوا خاسرين ، قالوا يا موسى إن فيها قوماً جبارين وإنا لن ندخلها حتى
(١)
يخرجوا منها فإن يخرجوا منها فإنا داخلون) .
وما أن كل جماعة لا يخلو من أن يوجد في أفرادها ذوو تقوى ومرفق قد ظهر من
بينهم مستقيمون متقون ، إذ قام رجالان منهم ينصحان قومهما ويحثان على الجهاد
في سبيل الله والتوكل عليه ، إن كانوا مؤمنين ، وهنا ظهرت فيهم نزعة العصيان
والتمرد قال تعالى حكاية ، عنهم :

(قالوا : يا موسى إنا لن ندخلها أبداً ما داموا فيها ، فاذهب أنت وربك فقاتلا
(٢)
إنا ههنا قاعدون) .

فكانت النهاية أن قال نبي الله موسى عليه الصلاة والسلام :
(٣)
(قال : رب إني لا أملك إلا نفسي وأخي فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين) .
فوصفهم موسى عليه السلام بأنهم فاسقون .

د - بعد ما انتهى عهد موسى عليه السلام ، وموت عليهم أربعون سنة في التيه دخلوا
الأرض المقدسة بقيادة يوشع عليه السلام ، ولما فتح الله عليهم ، ونصرهم على
عدوهم ، أمرهم الله على لسان نبيهم بأن يدخلوا باب المدينة سجداً ، شكراً
لله تعالى على ما أنعم عليهم ، وأن يقولوا " حطة " أي احطط عنا خطايانا

(١) المائدة : ٢٠ - ٢١ .

(٢) المائدة : ٢٤ .

(٣) المائدة : ٢٥ .

وأمرهم بأن يستغفروا ، فعصوا أمر الله وبدلوا قولاً غير الذى قيل لهم ظلماً
وعداً وأنا : قال الله تعالى حكاية عن ذلك :

﴿ وإن قلنا ادخلوا هذه القرية فكلوا منها حيث شئتم رغداً وادخلوا الباب سجداً
وقولوا حطة نغفر لكم خطاياكم وسنزيد المحسنين . فبدل الذين ظلموا قولاً غير
الذى قيل لهم فأنزلنا على الذين ظلموا رجزاً من السماء بما كانوا يفسقون (١) .
وروى ابن جرير الطبرى بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه أنه قال : قال رسول
الله صلى الله عليه وآله سلم : " قال الله تعالى لبنى إسرائيل ادخلوا الباب سجداً
وقولوا حطة نغفر لكم خطاياكم فبدلوا ودخلوا الباب يزحفون على أستاههم — ،
(٢)
وقالوا : حبة فى شعيرة " وفى رواية حنطة فى شعيرة " .

إن الكلام فى هذا الموضوع كثير جداً لا يمكن حصره فى وريقات مثل هذه ، فإن
هذا قليل من كثير ، وأختتم هذه الفقرة بما قاله الإمام ابن جرير الطبرى فى تلخيص
هذه الفقرة بقوله : عند تفسير قوله تعالى : (وإن ظلم يأموس لن تؤمن لك حتى
نرى الله جبهة) :

" ذكرهم بذلك جل ذكره : اختلاف آبائهم وسوء استقامة أسلافهم لأنبياهم ، مع
كثرة معانيبتهم من آيات الله جل وعز وعبره ، ماتلج بأظلمها الصدر ، وتطمئن بالتصديق
معها النفوس ، وذلك مع تتابع الحجج عليهم ، وسبوغ النعم من الله لديهم ، ومع
ذلك مرة يسألون نبيهم أن يجعل لهم إلهاً غير الله ، ومرة يعبدون العجل من
دون الله ، ومرة يقولون لا نصدقك حتى نرى الله جبهة ، وأخرى يقولون له إذا
دعوا إلى القتال : (اذهب أنت وريك فقاتلا إنا ههنا قاعدون) مرة يقال لهم :
(قولوا حطة وادخلوا الباب سجداً نغفر لكم خطاياكم) فيقولون : حنطة فى شعيرة

(١) البقرة : ٥٨ - ٥٩ .
الحديث منقول عن البخارى كتاب
(٢) جامع البيان : ٣٠٠ / ١ - ٣٠٣ .
التفسير ، سورة : ٦ / ٢ .
ومع كتاب التفسير سورة ١١٠

ويدخلون الباب من قبل أستاذهم ، مع غير ذلك من أفعالهم التي أذوا بها نبيهم
(١)
عليه السلام التي يكثر احصاؤها .

وما قال عنهم ابن قيم الجوزية بقوله : " فالأمة الغضبية هم " اليهود " أهل
الكذب والبهت والغدر والمكر والحيل ، قتل الأنبياء وأكلت السحت - وهو الربا
والرشا - أخبث الأمم طوية ، وأردأهم سجية ، وأبعدهم من الرحمة ، وأقربهم من
النقمة عادتهم البغضاء ، ويديدنهم العداوة والشحنا - بيت السحر والكذب والخيل
لا يرون لمن خالفهم في كفرهم وتكذيبهم الأنبياء حرمة ، ولا يرقبون في مؤمن
ولا ولا ذمة ، ولا لمن وافقهم عندهم حق ولا شفقة ، ولا لمن شاركهم عندهم عدل
ولا نصفة ، ولا لمن خالطهم طمأنينة ولا أمانة ، ولا لمن استعملهم عندهم نصيحة
بل أخبثهم أعقلهم ، وأخذقهم أغشهم ، وسليم الناصية وحاشاه أن يوجد بينهم
ليس بيهودي على الحقيقة ، أضيق الخلق صدورا ، وأظلمهم بيوتا ، وأنتنهم أفنية
وأوحشهم سجية ، تحيتهم لعنة ، ولقاؤهم طيرة ، شعارهم الغضب وشارهم العقت .
ثانيا : ما ذكر من فسقهم في العهد القديم :

ذكر في العهد القديم بأنهم عصاة وفاعلوا الشر ، وقاتلوا النفس وأنهم زناة
شركون ، وظلمة .

جاء في سفر أشعيا ما يلي :

أ - " ها إن يد الرب لم تقصر عن أن تخلص ، ولم تثقل أذنه عن أن تسمع ، بل
آثامكم صارت فاصلة بينكم وبين الهكم ، وخطاياكم سترت وجهه عنكم حتى لا يسمع
لأن أيديكم قد تنجست بالدم وأصابعكم بالإثم ، شفاكم تكلمت بالكذب ، ولسانكم
يلهب بالشر ، ليس من يدعو بالعدل ، وليس من يحاكم بالحق ، يتكلمون على
الباطل ، ويتكلمون بالكذب ، قد حبلوا بتعب وولدوا إثمًا " .
(٣)

(١) المصدر السابق : ٢٨٩/١ .

(٢) هداية الحيارى في أوجه اليهود والنصارى : ص ٨

(٣) الإصحاح ٥٩ / ١ - ٤ .

ب - " أعمالهم أعمال إثم ، وفعل الظلم في أيديهم ، أرجلهم إلى الشر تجرى وتسرع إلى سفك الدم الزكي ، أفكارهم أفكار إثم ، في طريقهم اغتصاب وسحق طريق السلام لم يعرفوه ، وليس في مسالكهم عدل ، جعلوا لأنفسهم سبيلا معوجة كل من يسير فيها لا يعرف سلاما " .

ج - ويل للأمة الخاطئة ، الشعب الثقيل الإثم ، نسل فاعلى الشر ، أولاد مفسدين تركوا الرب استهانوا بقدوس إسرائيل ارتدوا إلى وراء^(٢) ، على م تضربون بعدد تزدادون زيغانا كل الرأس مريض وكل القلب سقيم " .

وجاء في سفر أرميا ما يلي :

" ها إنكم متكئون على كلام الكذب لا ينفع ، أَسْرِقُونَ وَتَقْتُلُونَ وَتَزْنُونَ ، وتحلفون كذبا ، وتبخرون للبعل ، وتسيرون وراء آلهة أخرى لم تعرفوها ، ثم تأتون وتقنون أمامي في هذا البيت الذي دعي باسمي عليه ، وتقولون ، قد أنقذنا حتى تعملوا كل هذه الرجسات هل صار هذا البيت الذي دعي باسمي عليه مفارة لصوص في أعينكم " .

الله يرفض شفاعة الأنبياء فيهم :

جاء في العهد القديم ما يدل على أن الله يرفض شفاعة الأنبياء فيهم .

من ذلك ما جاء في سفر أرميا في قوله :

أ - " وأنت فلاتصل لأجل هذا الشعب ، ولا ترفع لأجلهم دعاء ولا صلاة ، لأنني لا أسمع في وقت صراخهم إلي من قبل بليتهم " .

(١) الإصحاح ٧/٥٩ - ٨ .

(٢) الإصحاح ٤/١ - ٥ .

(٣) الإصحاح ٨/٧ - ١١ .

(٤) الإصحاح ١٤/١١ .

ب - " هكذا أحبوا أن يجولوا ، لم يمنعوا أرجلهم ، فالرب لم يقبلهم الآن يذكّر
إثمهم ويعاقب خطاياهم ، وقال الرب لى : لا تصل لأجل هذا الشعب للخير
حين يصومون لا أسمع صراخهم ، وحين يصعدون محرقة وتقدمة لا أقبلهم بلل
(١)
بالسيف والجوع والوباء أنا أفنيهم " .

ج - " ثم قال الرب لى : وإن وقف موسى وصموئيل أمامى لا تكون نفسى نحو هذا الشعب
أطرحهم من أمامى فيخرجوا ، ويكون إذا قالوا لك إلى أين نخرج ، إنك تقول
لهم : هكذا قال الرب الذين للموت فإلى الموت ، والذين للسيف فإلى السيف
(٢)
والذين للجوع فإلى الجوع والذين للسبى فإلى السبى " .

د - " ها أنا ذا جالب عليهم شرا لا يستطيعون أن يخرجوا منه ، ويصرخون إلى فلا
(٣)
أسمع لهم " .

فهذا يدل على أن الله قد غضب عليهم غضبا شديدا لم يغضب مثله على أحد
من الكفار على كثرتهم فى الأرض . وهى شهادة كتابهم المقدس " العهد القديم "
على عصيانهم وفجورهم ، وتلك شهادة القرآن ، فالتقى على وصفهم بالفسق والفجور
والعصيان .

لقد أوضح القرآن على أن الله قد لعنهم فى الزبور والإنجيل فى قوله تعالى :
" لعن الذين كفروا من بنى إسرائيل على لسان داود وعيسى بن مريم ذلك بما عصوا
(٤)
وكانوا يعتدون ، كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون) " .

(١) الإصحاح ١٤ / ١٠ - ١٢ .

(٢) الإصحاح ١ / ١٥ - ٣ .

(٣) الإصحاح ١١ / ١١ .

(٤) المائدة : ٧٨ - ٧٩ .

قال ابن عباس رضى الله عنهما : "لعنوا بكل لسان ، لعنوا على عهد موسى فى التوراة ولعنوا على عهد داود فى الزبور ، ولعنوا على عهد عيسى فى الإنجيل ولعنوا على عهد محمد فى القرآن " . وقال الله تعالى فى حقهم :

(وضربت عليهم الذلة والمسكنة وباءوا بغضب من الله ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون النبين بغير الحق ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون " .

٦ - نشأة الغلو وعقدة الاستعلاء على الشعوب لدى اليهود :

زعم اليهود أنهم شعب الله المختار ، وأنهم أمة مفضلة ، وأنهم أبناء الله وأحباءه ، ووضعوا فى كتبهم جذور العنصرية والتعصب الأعلى ، ورسخ فى نفوسهم أنهم أفضل شعوب الأرض قاطبة ، وأن الله اختارهم لأنه أحبهم واصطفاهم ، وقد أدى بهم هذا التعصب إلى أن جعلوا الله إلها خاصا بهم ، واحتكروه وحرموا الشعوب الأخرى من الاتصال به .

إن بنى إسرائيل تفردوا من بين الأمم بكافة خطيرة وخطيئة مدمرة راذ جعلوا ذلك عقيدة ودنيا ، ونسبوه إلى الوحي الأعلى ، وكتبوه فى صلب كتبهم الدينية على أنه منزل من عند الله على أنبيائه .

ونتيجة لهذا فقد كان الاستعلاء الجاهلى الطاغى من أقبح الجرائم التى نسبها اليهود إلى الوحي ، فخانوا بذلك أمانة الله ، ومن الغريب جدا أن يربطوا بالأساطير التى ابتدعوها كل حياتهم وعبادتهم وشعائيرهم الدينية ، ومعاملاتهم .
وهاهى بعض الشواهد من مصادرهم ومكتوباتهم تشهد على ما قلناه .

(١) مختصر تفسير الطبرى ١ / ٢١٠ .

(٢) البقرة : ٦١ .

(٣) جذور البلاء ص ٢١ .

أولا : من العهد القديم :

أ - جاء في سفر التثنية مايلي :

" متى أتى بك الرب إلهك إلى الأرض التي أنت داخل إليها لتمتلكها ، وطرد شعوبا كثيرة من أمامك : الحيتيين والجرجاشيين والأموريين والكنعانيين والفريزيين والحيويين واليبوسيين سبع شعوب أكثر وأعظم منك . ودفنهم الرب إلهك أمامك وضربتهم ، فإنك تحرسهم لا تقطع لهم عهدا ولا تشفق عليهم ، ولا تصاهرهم ، بنتك لا تعط لابنه ، وبنته لا تأخذ لابنك . لأنك أنت شعب مقدس للرب إلهك إياك قد اختار الرب إلهك لتكون له شعبا أخص من جميع الشعوب الذين على وجه الأرض . ليس من كونكم أكثر من سائر الشعوب المتصديق الرب بكم واختاركم لأنكم أقل من سائر الشعوب ، بل من محبة الرب إياكم وحفظه القسم الذي أقسم لأبائكم " .^(١)

ب - وجاء في سفر التثنية أيضا مايتلى :

" ولكن الرب إلهك يطرد هؤلاء الشعوب من أمامك قليلا قليلا لاستطيع أن تفنيهم سريعا لئلا تكثر عليك وحوش البرية . ويدفعهم الرب إلهك أمامك ويوقع بهم اضطرابا عظيما حتى يفتنوا . ويدفع طوكهم إلى يديك فتصيحهم من تحت السماء . لا يقف إنسان في وجهك حتى تفنيهم " .^(٢)

ج - وجاء في سفر اللاويين مايلي :

" أنا الرب إلهكم الذي ميزكم من الشعوب " .^(٣)

د - وجاء في سفر التثنية مايلي :

" لأنك شعب مقدس للرب إلهك وقد اختارك الرب لكي تكون له شعبا خاصا فوق جميع الشعوب الذين على وجه الأرض " .^(٤)

(١) الإصحاح ١/٧ - ٨ .

(٢) الإصحاح ٢٢/٧ - ٢٥ .

(٣) الإصحاح ٢٥/٢٠ .

(٤) الإصحاح ٢/١٤ .

هـ - وجاء في سفر يشوع ما يلي :

" ولكن إذا رجعت ولصقتكم ببقيّة هؤلاء الشعوب أولئك الباقيين معكم وصاهرتهم ودخلتم إليهم وهم إليكم ، فاعلموا يقيناً أن الرب الهكم لا يعود يضر أولئك الشعوب من أمامكم فيكونوا لكم فخاً وشركاً وسوطاً على جوانبكم وشوكاً في أعينكم " .
استنبط أحرار اليهود من النصوص المتقدمة أنهم هم الشعب المختار عند الله تبارك وتعالى ، وذلك يرجع إلى أصل التكوين ، فهم شعب مقدس جنساً لا لأى اعتبار آخر أنهم باعتبار عنصرهم ، خصهم الله بكل الفضائل واختارهم على جميع الأمم التى على وجه الأرض .

ونظراً إلى هذه النصوص وإلى هذه التعاليم أخذوا يستحلون دماء غيرهم وأموالهم

بغير حق .

ثانياً : أدلة من التلمود :

جاء في التلمود ما يلى :

أ - " إن المفاضلة لموجودة بين جميع الأشياء ، كما أن الإنسان يعلو البهيمة كذلك اليهود هم أرفع من شعوب الأرض " .
(٢)

ب - " إن الشعب المختار وحده يستحق الحياة الأبدية ، أما الشعوب الباقية فمماثلة للحمير " .
(٣)

ج - " إن الله خلق غير اليهود بالصورة البشرية ، إكراماً لليهود ، لأن غير اليهود وجدوا لخدمة اليهود ليلاً ونهاراً بدون ملل ، ولا يوافق أن يكون خادم الأمير حيواناً له صورة الحيوانية بل يجب أن يكون حيواناً له الصورة الإنسانية " .
(٤)

(١) الإصحاح ١٣ / ٢٣ .

(٢) همجية التعاليم الصهيونية نقلاً عن التلمود ص ١٣٨ .

(٣) المصدر السابق ص ١٣٨ .

(٤) المصدر السابق ص ١٣٨ .

د - " كما أن رب البيت تعيش من خيرات زوجها ، هكذا أبناء إسرائيل يجب أن يعيشوا من خيرات أمم الأرض ، دون أن يتحملوا عناء العمل " . " إذا أظط غير اليهود بعملية حسابية أمام إسرائيلى فعليه أن يجاوب - ولو اكتشف الغلط أنا لا أعرف شيئا " ، إذا رد أحد إلى غريب ما أضاعه فالرب لا يغفر له أبدا " .
(١)
" ممنوع عليك رد ما فقدته الغريب ولو وجدتته " حطم الصالح من الأجانب " .

هـ - " ان نفوس اليهود منعم عليها بأن تكون جزءا من الله ، فهي تنبثق من جوهر الله كما ينبثق الولد من جواهر أبيه " .
(٢)

ونظرا إلى هذه التعاليم التلمودية أخذ الأقباط ينشئون أجيالهم عليها ، ويربونها على وفق الأخلاق التى تدعو اليه ، لأن التلمود عندهم أقدر من التوراة وأوجب اتباعا ، لقد شب الكبير والصغير منهم على هذه التعاليم ، وتأصلت العقائد والعادات ، وتعاقب عليها الأجيال وتربى عليها الأخلاق وتنتقل الصفات الدينية بعد مرء الزمان ، وتشابه بها قلوب القوم ، وتتغنى العقائد من حين إلى حين ، وتتحد الأفكار فى كل زمان ومكان ، لأنها تستقى من معين واحد ، ومن مصور واحد ، فصارا الكبر وعقدة الاستعلاء عند اليهود من الصفات المتوارثة فى أجيالهم .

ثالثا : أدلة من بروتوكولات الصهيونية :

إن بروتوكولات الصهيونية تعتبر مصدرا من مصادرهم التى يعتمدون عليها فى ارتكاب الجرائم ضد البشرية ، وهى لا تقل خبثا عن التلمود ، بل إنها أحكام استنبطت منه ، وشرائع أخذت عنه .
فما جاء فيها ما يلى :

أ - جاء فى البروتوكول الحادى عشر :

" غير اليهود كقطع الأغنام ، أما نحن فإننا الذئاب وهل تعلمون ماذا تفعل الأغنام إذا اقتحمت الذئاب حظيرتها . . . ، إنها لتغمض عيونها عن كل شئ " .

ب - وجاء في البروتوكول الرابع عشر ما يلي :

" حينما نمكن لأنفسنا فنكون سادة الأرض لن نبیح قيام أى دين غير ديننا -
ولهذا السبب يجب علينا أن نحطم كل عقائد الإيمان ، وإن تكون النتيجة المؤقتة
لهذا هى اثمار الملحدين ، قلن يدخل هذا فى موضوعنا ، ولكنه سيضرب مثلاً
للأجيال القادمة التى ستصغى إلى تعاليمنا على دين موسى الذى وكل إلينا
بمعتقداته الصارمة واجب اخضاع كل الأمم تحت أقدامنا " .

ج - وجاء فى البروتوكول الخامس عشر ما يلي :

" وعقل^{الأمم} x مـ لكونه ذات طبيعة بهيمية محضة - غير قادر على تحليل أى شىء
وملاحظته ، فضلاً عن التكهن بما قد يؤدى إليه امتداد حال من الأحوال ، إذا -
وضع فى ضوء معين ، وهذا الاختلاف التام فى العقيدة بيننا وبين الأميين هو
الذى يمكن أن يربنا بسهولة أية اختيارنا من عند الله ، وأنا ذوو طبيعة ممتازة
فوق الطبيعة البشرية حين تقارن بالعقل الفطرى البهيمى عند الأميين " .
وهكذا فالنفسية اليهودية قد انطوت على الكبر وعقدة الاستعلاء المفرطة
وهو ارت ورتوه من أجدادهم ، فقلوبهم مليئة بشعور الاستعلاء والارتفاع
على الأمم ، ومحشونة بمشاعر الكراهية الوحشية للمجتمعات البشرية والكيان
الدائم لها ويرون أن الواجب على اليهودى أن يبذل كل الجهد فى استئصال
شائفة الأمم عن وجه الأرض ، لأنهم يدعون أنهم على دين الله ، وأن الله
تعالى لم ينزل إلا ديناً واحداً هو الدين اليهودى .

رابعاً : أدلة من القرآن الكريم .

أ - جاء فى القرآن ما يدل على أنهم ادعوا أنهم أبناء الله وأحباؤه . قال الله تعالى :
(وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحباؤه ، قل فلم يعذبكم بذنوبكم
بل أنتم بشر من خلق ، يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء والله ملك السموات والأرض
وما بينهما وإليه المصير^(١)) .

ذكر ابن جرير الطبري سبب نزول هذه الآية بسنده عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال : « أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم نعمان بن أضاء وحرى بن عمرو وشأس بن عدي ، فكلّموه فكلّمهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ودعاهم إلى الله وحذرهم نعمته ، فقالوا : ماتخوفنا يا محمد : : نحن والله أبناؤ الله وأحباءه فأنزل الله فيهم " الآية " .

ب - وجاء فيه أيضا ما يدل على أنهم ادعوا أنه ليس عليهم في الأُميين أي راثم إذا اعتدوا عليهم : قال الله عز وجل : « ومن أهل الكتاب من إن تأمنه بقنطار يؤده إليك ومنهم من إن تأمنه بدينار لا يؤده إليك إلا ما دمت عليه قائما ذلك بأنهم قالوا ليس علينا في الأُميين سبيل فيقولون على الله الكذب وهم يعلمون » .
والذين لا أمانة لهم هم اليهود .

ج - وجاء فيه ما يدل على أنهم قالوا : نحن لا ندخل النار ، فإذا دخلناها فلا نبقي فيها إلا أياما معدودات .
قال الله تعالى عن ذلك :

(وقالوا لن تمسنا النار إلا أياما معدودة ، قل اتخذتم عند الله عهدا قلن يَخلف الله عهدَهُ أم تقطعون على الله ما لا تعلمون) .
(٣)

د - وجاء فيه ما يدل على أنهم زعموا أن الجنة خاصة بهم لا يشاركهم في دخولها ولا في نعيمها أحد من خلق الله ، قال الله عز وجل : (قل إن كانت لكم الدار الآخرة عند الله خالصة من دون الناس فتمنوا الموت إن كنتم صادقين) .
فهذه أدلة القرآن الكريم التي تبين ما تنطوي عليه هذه النفوس السيئة ، وهي

(١) جامع البيان : ١٠ / ١٥٠ .

(٢) آل عمران : ٧٥ .

(٣) البقرة : ٨٠ .

(٤) البقرة : ٩٤ .

حقائق جاءت من عند الله العزيز الحكيم ، الذي يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور
فأله سبحانه وتعالى أعلم بهم ومما هم عليه في الماضي والحاضر : (١)
وهو اللطيف الخبير () .

لذلك جاء الرد القرآني على هذه الفرية على النحو التالي :

أ - دعوى الأفضلية الذاتية العنصرية لم تثبت بدليل عقلي ولا شرعي ، وإنما فضلهم
الله على أهل زمانهم بتحملهم رسالة الله للناس ، فقد كانوا ^{أهل} الرسالة في عالم
وثنى لذلك مدحهم الله في القرآن الكريم في قوله عز وجل :
(٢)
(يا بني إسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم وأنى فضلتكم على العالمين) .
أي اذكروا نعمي الكثيرة عليكم وعلى آبائكم ، واذكروا تفضيلي لكم على سائر الأمم في
زمانكم .

ب - ادعوا أنهم أبناء الله وأحباؤه ، فدعوى البنية لله تعالى دعوى باطلة ، حيث
إن الله تبارك وتعالى نفى ذلك عن نفسه بقوله عز وجل (وقالوا اتخذ الرحمن
ولدا ، لقد جئتم شيئا إدا تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق ^{الأرض} وتخر الجبال هدا
أن دعوا للرحمن ولدا ، وما ينبغي للرحمن أن يتخذ ولدا ، إن كل من في السموات
(٣)
والأرض إلا أتي الرحمن عبدا) وقال عز وجل :
(٤)

(وقالوا اتخذ الله ولدا سبحانه بل له ما في السموات والأرض كل له قانتون) .
وقال عز وجل : (لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد) .
وهذا يتبين أن الله لم يجعل أحدا من خلقه ابنا له .
وإنما أحباب الله هم المطيعون العابدون لا العصاة .

(١) الملك : ١٤ .

(٢) البقرة : ١٢٢ .

(٣) مريم : ٨٨ - ٩٣ .

(٤) البقرة : ١١٦ .

لقد ثبت في النصوص الدينية أن الله يحب المتقين والمحسنين ، لا الفجار

والكافرين والعاصين ، قال الله عز وجل :

(قل ، إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور
(١)

رحيم) .

ج - ادعوا أن الله لا يعذبهم ، وإن عذبهم فتلك أيام قليلة معدودة ، وهذا منصف

لنصوص الجزاء والحساب وطبيعة المسئولية والتكليف ، ويتنافى مع قاعدة العدل

الرباني التي أعلن فيها التساوي بين خلقه في الحساب والجزاء ، فليس من

العدل الرباني أن يعاقب عصاة الناس ويعفي عصاة بني إسرائيل بحسب جنسهم

د - ادعوا أن الله خصهم بنعيم الجنة وخيراتها ، فدعوى الخصوصية بدخول الجنة

لا دليل عليها لا من ناحية النقلية ولا من ناحية العقلية ، قال تعالى رداً على

تلك : (قل اتخذتم عند الله عهداً فلن يخلف الله عهداً أم تقولون على

الله ما لا تعلمون) (٢)

أي لم تتخذوا عند الله عهداً ، استفهام إنكاري .

وقال عز من قائل :

(قل يا أيها الذين هادوا إن زعمتم أنكم أولياء لله من دون الناس فتمنوا الموت
(٣)

إن كنتم صادقين ، ولا يتمنونه أبداً بما قدمت أيديهم والله عليم بالظالمين) .

يقول ابن جرير الطبري عند تفسير قوله تعالى : (وقالت اليهود والنصارى نحن

أبناء الله وأحباءه) إلى آخر الآية .

" ، إنما هذا من الله عز وجل وعيد لهؤلاء اليهود والنصارى المتكبرين على منازل

سلفهم الخيار عند الله الذين فضلهم جل وعز بطاعتهم وإيائهم ، واجتباهم لمسارعتهم

إلى رضاه ، واصطبارهم على ما نابهم فيه ، يقول لهم لا تختروا مكان أولئك مني

(١) آل عمران : ٣١ . (٢) البقرة : ٨٠ .

(٣) الجمعة : ٦ - ٧ .

ومنازلهم عندي ، فإنهم إنما نالوا مني بالطاعة لي ، وإيثار رضاي على محابهم لا بالأمانى فجذوا في طاعتي ، وانتهوا إلى أمرى وانزجروا عما نهيتهم عنه ، فإنسى إنما أغفر ذنوب من أشاء أن أغفر ذنوبه من أهل طاعتي ، وأعذب من أشاء تعذيبه من أهل معصيتي ، لالمن قويت زلفة أباؤه منى وهولى عدو ولا مرى ^{نهبي} مخالف ^(١) .

ويقول سيد قطب :

" واليهود يادعائهم أنهم أبناء الله وأحباؤه كانوا يقولون تبعنا لهذا وإن الله لن يعذبهم بذنوبهم : وأنهم لن يدخلوا النار - إذا دخلوا - إلا أيام معدودات ، ومعنى هذا أن عدل الله لا يجرى مجراه : وأنه سبحانه يحابي فريقا من عباده ، فيدعمهم يفسدون في الآرض ثم لا يعذبهم الله عذاب المفسدين الآخرين فأى فساد في الحياة يمكن أن ينشأ عن مثل هذا التصور ؟ وأى اضطراب في الحياة يمكن أن ينشئه مثل هذا الانحراف " ^(٢) .

وهذا تبين لنا أن كل ماتدعيه اليهود من الأمانى باطل لا تقوم له حجة ، فهم كاذبون في تلك الدعاوى وهى صادرة عنهم لا عن برهان ، لذلك أمرهم الله بتمسكهم بالموت ، لأن من يعتقد أنه من أهل الجنة كان الموت أحب إليه من الحياة ، ويقول لهم أنتم تقولون كلاما لا تعتقدون مضمونه ولو كنتم تعتقدون مضمونه اعتقادا جازما لكان الموت أحب إليكم من الحياة ، لأنكم بالموت تصلون إلى جنات النعيم ، لككم أحرص الناس على الحياة الدنيا .

وأخيرا أقول إن الميزان الحقيقي الذى يميز بين الصالح والطالح وبين الصادق والكاذب هو قوله تعالى : (يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير) ^(٣) .

(١) جامع البيان ١٠/١٥٣ .

(٢) فى ظلال القرآن ٢/٨٦٦ - ٨٦٧ .

(٣) الحجرات : ١٣ .

* الفصل الثالث *

اختلاف فرقهم حول قضايا إعتقادية

- ١ - الفريسية .
- ٢ - الصدوقيه
- ٣ - السامرة
- ٤ - العنانية أو القرائين .

اختلاف فرقهم حول قضايا اعتقادية

افترقت اليهود فيما بينهم إلى فرق كثيرة ، كثرة بالغة ، واشتد الخلاف

فيما بينهم حتى حكم بعضهم على بعض بالكفر والخروج من الدين .

وتختلف هذه الفرق في مبادئها وأسسها الاعتقادية ، فالخلاف لم يكن مقصوراً

على الفروع والأحكام فحسب ، وإنما هو في أصول الدين وأمّهات المسائل الاعتقادية

إلا أنهم اتفقوا على أن أساس دينهم التوراة ، واتفقوا على التشبيه والتجسيم .

يقول الشهرستاني : " وأجمع اليهود على أن الله تعالى لما فرغ من خلق

(١)

السموات استوى على عرشه مستلقياً على قناه وأضعا إحدى رجليه على الأخرى .

ولكنهم اختلفوا اختلافاً كثيراً فيما وراء ذلك . ولعل اختلافهم هذا يرجع

إلى تأثرهم بالفكر اليوناني ، لأن علماءهم تأثروا بقراءة الفكر اليوناني ، وخاصة

(٢)

فلسفة أفلاطون وفيثاغورس وأرسطو ، كما ذكر محمود المنوفي .

وأما عدد الفرق اليهودية ، فإن علماء الفرق لم يتفقوا عليها ، يقول ابن

حزم الظاهري : وأما اليهود ^(٣) فإنهم قد افترقوا على خمس فرق وهي السامرة والصدوقية

والعنانية ، والريانية والعيسوية . أما الشهرستاني فإنه يقول : واختلفوا نيفاً

وسبعين فرقة ، ثم ذكر أهم تلك الفرق .

ويظهر من كلام الشهرستاني أن عدد فرق اليهود أكثر بكثير مما ذكره ابن حزم

وهو القول الذي أميل إليه لو ورد الحديث في شأن ذلك .

فعن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

" افترقت اليهود على إحدى أو اثنتين وسبعين فرقة ، وافترقت النصارى على إحدى

(٤)

أو اثنتين وسبعين فرقة ، وتفترق أمي على ثلاث وسبعين فرقة " رواه أبو داود والترمذي .

(١) الملل والنحل ٢/ ٢٤ .

(٢) أنظر الدين والفلسفة والعلم لمحمود المنوفي ص ١٢٥ .

(٣) الفصل ١/ ٩٨ .

(٤) أبو داود : السنة حديث ٤٥٩٦ ، الترمذي : الإيمان حديث ٢٧٧٨ .

رواه ابن ماجه أيضاً : الفتن حديث ٣٩٩١ ، وقال الترمذي حديث حسن

صحيح .

وهذا الحديث دليل على أن اليهود افترقوا على فرق كثيرة وإن لم يتمكن العلماء العثرون على تلك الفرق كلها ، ولذلك ذكروا عددا قليلا جدا بالنسبة لما ذكر في الحديث النبوي إما لكون بعض الفرق قد انقرضت ، وإما لكونها لم يكن لها دور فعال في إبراز حقائقها الإعتقادية .

أما الأمور التي اختلفت الفرق الرئيسية حول قضاياها الاعتقادية فكثيرة ولكن أهمها :

- ١ - ما يتعلق بالعهد القديم ، وأسفار التلمود ، والأحاديث الشفهية المنسوبة إلى موسى عليه السلام ، فقد اختلفوا حول الإيمان بها كلها أو بعضها كما سيأتي تفصيل ذلك ، وإن شاء الله .
- ٢ - ما يتعلق بمسائل القضاء والقدر .
- ٣ - ما يتعلق بمسائل البعث والنشور والحياة الآخرة .
- ٤ - ما يتعلق بقصة عصاة الحاخامات ، واعتبار أقوالهم وحيا من الله أولا .
- ٥ - اختلافهم حول الإيمان بالأنبياء .
- ٦ - اختلافهم في المسيح المنتظر ومجيئه .
- ٧ - اختلافهم أيضا في غير ذلك من أمور اعتقادية ، والفرق التي اخترتها لأتحدث عنها في هذا الفصل هي أربع فرق : الغريسية والصدوقية والسامرية والعنانية وسبب اختياري لها كونها أهم الفرق في اليهودية ، ومعظم سائر الفرق تندمج في هذه الفرق الأربع .

١ - الغريسية :

معنى الغريسية : الفرقة المنعزلة أو المنشقة ، وهذه التسمية أطلقها عليهم أعداؤهم ، لذلك فهم يكرهونها ويسمون أنفسهم " الأخبار " أو " الإخوة " في الله " أو " الربانيين " أو الرفقاء " .

(١) انظر أحمد شلبي ، اليهود ، نقلا عن مصادر أجنبية ص ٢٢٦ .

رأيهم في العهد القديم والتلمود والأحاديث الشفوية .

الفريسية من اليهود يقدسون التوراة والتلمود معا باعتبار أن التلمود
في اعتقادهم موحى به ، ويعتقدون أن التوراة بأسفارها
الخمسة خلقت منذ الأزل ، وكانت مدونة على الألواح مقدسة ، ثم أوحى الله
بها إلى موسى ، وعلى هذا فقد وينها بعد ذلك ، هو في الحقيقة إعادة تدوين .
ويرون أن التوراة ليست هي كل الكتب المقدسة التي يعتمد عليها ، وإنما هناك
بجانب التوراة روايات شفوية نسبت إلى موسى ، ومجموعات من القواعد والوصايا
والشروح والتفاسير التي تعتبر التوراة الشفوية ، وقد تناقلها الخاحامات من
جيل إلى جيل ، وهي التي صارت فيما بعد أسفار التلمود^(١) .

ويرون أن التوراة هي للدين والدنيا ولا انفصال بينهما .

وعلى هذا فإن الفريسية تعترف بكل ما هو موجود في كتبهم كمصدر مقدس ، رغم
أن فقهاءهم الذين يطلق عليهم اسم الربانيين هم الذين ألفوا أسفار التلمود وأقوال
الأحبار ومذاهبهم ، والفريسيون هم أكثر فرق اليهود .

رأيهم في البعث :

يعتقدون أن البعث والنشور أمر ممكن الوقوع ، وكذلك قيام الأموات ، ويؤمنون
بوجود العالم الآخر ، ويرون أن الصالحين من الأموات سينشرون في هذه الأرض
ليشتركوا في ملك المسيح المنتظر ، ولكن إيمانهم باليوم الآخر لم يكن واضحا جليا

كما هو معلوم في الدين الإسلامي

يقول الدكتور أحمد شلبي :

”إن فكرة البعث لم تجد لها أرضا خصبة في عالم اليهود ، فقد حاول بعض
طائفة الفريسيين القول بها ، ولكن هذه المحاولة لقيت معارضة شديدة ، أما

(١) انظر اليهودية د/ أحمد شلبي ص ٢٢٦ . والأشفا
المقدسة في الأدب السابقة للإسلام د/ عبد الواحد وافي
ص ٥٥٥

(١)

بأق الفرق اليهودية فلم تعرف عنها شيئاً .

وسياتى بيان ذلك إن شاء الله تعالى :

لذلك نرى تلمودهم الذى يعتبرونه أقدم من العهد القديم يجعل اليوم المطير

أفضل من يوم البعث ، حيث يقول :

" اليوم المطير أهم من يوم يبعث الأموات ، مادام البعث للأخيار لا للأشرار بينما

(٢)

المطر لكل من الأخيار والأشرار " .

رأيهم فى عصمة الحاخامات :

يعتقدون أن للحاخامات سلطة طيا ، وأنهم معصومون من الخطأ ، وأن أقوالهم

صادرة عن الله ، وأن مخافتهم هى مخافة الله . ومن أقوالهم فى قوطهم :

(٣)

" إذا احتدم خلاف بين الله والحاخامات فالحق مع الحاخامات " .

" ويلزم المؤمن أن يعتبر أقوال الحاخامات كالشريعة لأن أقوالهم هى قول الله الحى

(٤)

فإذا قال حاخام إن يدك اليمنى هى اليسرى والعكس فصدق قوله ولا تجادله " .

وقالوا أيضا :

" إن كلمات الربانيين لأشد عذوبة من كلام الأنبياء . . . وإن كل الربانيين حتى أيامنا

(٥)

هذه هم منتطقون بالسلطة الإلهية ، وكل مايقولونه يخرج من فم الله " .

وقالوا أيضا :

(٦)

" إذا أتى صوت من السماء يلقى من غير قيمة حتى يحققه الربانى " .

وقد تصل هذه العصمة إلى أبعد من ذلك إذ قد تمتد إلى حمار ربانى .

(٧)

" إن حمار الربانى لا يستطيع أن يأكل المحرمات " .

(١) المصدر السابق ص ٢٠٠ .

(٢) حكمة الأديان الحية جوزيف كار ترجمة حسين الكيلانى ص ١٨٤ .

(٣) و (٤) و (٥) و (٦) و (٧) هجمة التعاليم الصهيونية ص ١٠٣ - ١٠٥ .

سبحانك هذا بهتان عظيم ، فأية غباوة هذه ؟ أمة تعتبر أهل كتاب ثم يكون
تصورهم هذا !؟ :

رأيهم في المسيح المنتظر :

يتوقع هؤلاء الفريسيون مجيء المسيح ينقذ الناس وينشر العدل ويدخلهم في
ديانة موسى ، ويعيد الملك إلى بني إسرائيل وتخدمه جميع المالكة ، ويخضعون
لحكمه ، قالوا :

" وعندئذ يمتلك كل يهودي ألفين وثمانمائة عبد وثلاثمائة عشرة أبطال يكونون تحت
تصرفه وأمرته " (١) .

ويرون أنه لا يظهر في الوجود ، إلا بعد انقراض ملك شعوب الأرض غير اليهودي
وتتلاشى الشقاوة .

على هذا فهم ينتظرون عودة المسيح الذي يقيم لهم دولة عالمية .

رأيهم في القضاء والقدر .

يقولون : إن العبد قادر خالق لأفعاله خيرها وشرها ، ولكن يمكن أن تتأثر
الأفعال بالقضاء والقدر الربانيين ، ولكنها غير واقعة بهما ، فهم على هذا مثل
القدرية عند المسلمين .

٢ - الصدوقية :

قال ابن حزم الظاهري :

« نسبوا إلى رجل يقال له صدوق^(٢) ، ولكن الدكتور أحمد شلبي ينقل ما يعارض هذا الرأي
ويقول : يرى بعض الباحثين أن هذه التسمية نسبة إلى صادق الكاهن الأعظم
الذي عاش في عهد سليمان أو إلى كاهن آخر بهذا الاسم وجد في القرن الثالث قبل
الميلاد ، وينكر بعضهم هذه النسبة ، لأن حرف الدال مضعف في تسمية الفرقة

(١) المصدر السابق ص ١٣٢ .

(٢) الفصل ١ / ٩١ .

وليس مضعفاً في كلمة صادق ، ثم ، ان أتباع هذه الفرقة لم يدعوا قط الارتباط بهذا الكاهن أو ذاك ، ويرى أن هذه التسمية من صنع أعدائهم ، وأنها من نوع التسمية بالمضاد ، لأن الصدوقيين عرفوا بالإنكار فسماهم أعداؤهم " الصدوقيين " .
ويقول سهيل ديب : " لقد أطلق عليهم اسم الصادوقيين ، وإن كانوا من سلالة صادق أحد كبار الكهنة في زمن داود " .

رأيهم في العهد القديم والكتب اليهودية الأخرى :

لا تعترف هذه الفرقة إلا بالعهد القديم ، وترفض الأخذ بالأحاديث الشفوية المنسوبة إلى موسى عليه السلام ، وأسفار التلمود ، وينكرونها ، إنكاراً شديداً حتى التوراة نفسها لا يرونها مقدسة قدسية مطلقة ، ولا يلتفتون إلى أقوال الأحنبار لأنهم من فرقة الفريسيين وهم أعدائهم .

رأيهم في البعث واليوم الآخر :

لا يؤمنون باليوم الآخر ولا بالبعث ، ويعتقدون أن عقاب العصاة وإثابة المحسنين إنما يحصلان في حياتهم ، إن عمل المرء خيراً أو شراً لقي جزاءه في حياته ، فالعمل الصالح ينتج الخير والبركة لصاحبه ، والعمل السيئ يسبب لصاحبه الأزمات والمتاعب .

رأيهم في المسيح المنتظر :

ينكرون المسيح المنتظر ولا يرقبونه ، كما أنهم لا يرون عصمة الحاخامات ولا يعترفون بأقوالهم ، فهم على عكس ماتقوله الفرقة الفريسية .

رأيهم في القضاء والقدر :

لا يقولون بالقضاء والقدر ، ويعتقدون بحرية الاختيار ويرون أن الأفعال مخلوقة للإنسان لئلا ، ويعتقدون أن الله خلق الإنسان كقوة لأن يتولى إرادة شؤونه

(١) اليهودية نقلاً عن مصادر أجنبية ص ٢٢٩ - ٢٣٠ .

(٢) التوراة تاريخها وغايتها ص ٥٣ .

(٣) انظر أحمد الشلبي اليهودي ص ٢١٧ .

(٤) انظر الاسفار المعبرية ص ٥٦ .

(٥) انظر اليهودية ص ٢٢٠ .

بنفسه وأن من العبث الاخلاص إلى السكينة ، وانتظار إرادة الله ، في حين
أن الإنسان يستطيع أن يحل المشاكل التي أمامه بنفسه لأنه خلق مختارا ذا
إرادة . (١)

٣ - فرقة السامرية :

هي جماعة من غير بنى إسرائيل اعتنقوا اليهودية ، وقيمون في نابلس ، ويخالفون
اليهود جميعا ، ولا يسمون أنفسهم يهودا ولا يرضون أن يطلق عليهم هذا الاسم
ولا يقبلون أن يعرفوا بغير السامرة .
رأيهم في العهد القديم :

يقول الإمام ابن حزم الظاهري :

" أن بأيدي السامرة تورا غير التوراة التي بأيدي سائر اليهود يزعمون أنها المنزلة
(٢)
ويقطعون أن التي بأيدي اليهود محرفة مبدلة " .

ولا يعترفون بالتوراة التي بأيدي اليهود إلا الأسفار الخمسة الأولى وينكرون بقية
الأسفار من العهد القديم ، وينكرون أيضا أسفار التلمود ، وكل ما يتعلق به من
الشروح والتعليقات من أقوال الحاخامات ، وقيل : يعترفون أيضا بسفر يوشع
أو سفر القضاة (٣) .

رأيهم في الأنبياء :

لا يؤمنون بالأنبياء الذين جاءوا بعد موسى ويوشع عليهما السلام ، ولا يعترفون
لهم بالنبوة ، يقول الإمام ابن حزم :

" ويطلبون كل نبوة كانت في بنى إسرائيل بعد موسى عليه السلام ، ويعتد
يوشع عليه السلام ، فيكذبون بنبوة شمعون وداود وسليمان وأشعيا واليسع وإلياس
وعاموص وحبقوق وزكريا وأرميا وغيرهم (٤) .

(١) أنظر الدين والفلسفة والعلم ، محمود المنوف ص ١٢٥ . وانظر اليهودية ص ٢٤ .

(٢) الفصل ١١٧/١ . (٣) انظر الأحكام المفصلة ص ٥٨ .

(٤) الفصل ٩٩/١ .

رأيهم فى البعث :

لا يؤمنون بالبعث ولا باليوم الآخر ولا الحساب والجزاء فهم لا يرون وقوع ذلك البتة .
٤ - فرقة العنانية (أو القرائين) (١)

تنسب هذه الفرقة الى رجل يقال له عنان بن داود أحد علماء اليهود كان فى بغداد فى أواخر القرن الثامن من بعد الميلاد ، فى عهد الخليفة العباسى أبى جعفر المنصور ، وبهذا تكون الفرقة قد أنشئت بعد نشأة الديانة المسيحية بنحو (٣) عشرين قرناً ، فعلى هذا تعتبر هذه الفرقة من أحدث الفرق اليهودية وجوداً .

رأيهم فى العهد القديم :

لا يتعدون شرائع التوراة وما جاء فى كتب الأنبياء عليهم السلام ، ولا يقدرمون غير التوراة ، ويفسرونها معتمدين على الأدلة العقلية . وبالإجتهاد عندهم مفتوح (٣) بعكس الربانيين والحاخامات .

ويقال : إن معنى القرائين عندهم المتمسكون بالكتاب وحده أى أسفار العهد القديم وحدها ، وليس لديهم روايات شفوية يتناقلونها خلفاً عن سلف .

رأيهم فى الأنبياء :

هذه الفرقة تصدق عيسى عليه السلام فى مواعظه وإرشاداته ، ويقولون : إن الله لم يخالف التوراة البتة ، بل قررها ودعا الناس إليها ، وهو من بنى إسرائيل المتعبدون بالتوراة ومن المستجيبين لموسى عليه السلام ، إلا أنهم لا يقولون بنبوته ورسالته ، ويقولون : إنه لم يدع الرسالة والنبوة ولا صاحب شريعة ناسخة لشريعة موسى بل هو أحد أولياء الله المخلصين العارفين أحكام التوراة .

~~تظن أن هذا هو العهد القديم~~
(١) انظر الأسفار المقدسة على عبد الواحد واقى ص ٦١ .
(٣) انظر الدين والفلسفة والعلم محمود المنوفى ص ١٢٠ .

رأيهم في البعث :

يعترف العنانيون ويقرون بالبعث والحساب والجزاء ، وقيام الأموات ويؤمنون بوجود العالم الأخرى ، حالتهم مثل حالة الفريسيين في الإيمان بالبعث وما يتعلق به .

رأيهم في عصمة الحاخامات :

هذه الفرقة لا ترى أن للحاخامات عصمة ، ويتبرأون من أقوالهم ، ويكذبونهم —
وبالتالي لا يعتبرون التلمود مصدرا مقدسا كما سبق ذكر ذلك ، وكذلك الروايات
الشفوية التي تنسب إلى الحاخامات (١)

* * * *

① انظر اليهودية ص ١٣١ .

" الباب الثاني "

• افساد اليهود العقيدة المسيحية •

- ١ - الفصل الأول : العقيدة التي أنزلت على عيسى عليه السلام .
- ٢ - الفصل الثاني : المسيحية بعد عيسى عليه السلام .

• الفصل الأول •

العقيدة التي أنزلت على عيسى عليه السلام .

- ١ - إنحراف بني إسرائيل عن العقيدة الصحيحة .
- ٢ - عيسى عليه السلام والعقيدة التي دعا إليها .
- ٣ - موقف بني إسرائيل من دعوة عيسى عليه السلام .

الفصل الأول

العقيدة التي أنزلت على عيسى عليه السلام - ٩٧ -

١ - إنحراف بنى إسرائيل عن العقيدة الصحيحة .

اتضح لنا في الفصول الماضية أن اليهود قد انحرفوا عن العقيدة الربانية التي أنزلها الله على نبيه موسى عليه السلام ، كما انحرفوا عن المنهج النبوي الذين جاءوا بعده من بنى إسرائيل .

قد عرفنا ذلك كله عن طريق القرآن الكريم الذي هو كلام الله المنزل ، وعرفناه أيضا عن طريق مصادرهم التي يعترفون هم بأنها الكتب المقدسة ، قبل بعث عيسى عليه السلام . بلغ مجتمع اليهود مبلغا مسرفا جدا في الانحراف عن العقيدة الربانية التي أنزلها الله وأوضحها موسى عليه السلام ، وشرح لهم مفهومها ، والتي أكدها الأنبياء الذين تتبعا بعده .

وإنهم عبثوا في دين الله كما شاء لهم الهوى ، وتلاعبوا فيه حتى مستحق تحريفاتهم أصول الدين ونصوص العقيدة ، ومن جراء ذلك عم الفساد بين اليهود ، وتفشيت الرذيلة وعبادة المادة وانحرفوا عن جادة الحق والصواب وصار همهم الكبير هو جمع المال حتى فسدت عقولهم ، وفسد نظام تفكيرهم ، وفسد ذوقهم ، واختل إحساسهم ، فأصبحوا يسجدون لمادة ، وشاركهم أحبارهم وهم علماء الدين والربانيون منهم في معظم أو كل هذه المساوئ إلى أبعد الحدود ، وبدلا من أن يعملوا على إصلاح الأوضاع الفاسدة ، تعاونوا مع الظالمين على شعوبهم ، ففرضوا أنفسهم أرباباً من دون الله يحلون بأهوائهم ويحرمون ، ليأكلوا أموال الناس بالباطل ويصدوا عن سبيل الله وتخضع قومهم لأنظمتهم الجائرة حتى استوى عندهم الفساد والمصلح والتقى والفاجر ، وغدا كل شيء في مجتمعهم يسوقهم إلى الشقاء والدمار إذ صاروا لا هم لهم سوى الانغماس في الشهوات ، وتوفير ألوان الترف والاستمتاع بسلطات الحياة الدنيوية .

لقد طال عليهم الأمد فقست قلوبهم ، ففسق أكثرهم ، وسبب تماديهم
فى الفى قتلوا أنبياء الله ، وكتبوا الكتب التى أنزلت عليهم ، ونشروا الألحاد
والفجور فى بقاع الأرض وانتشر الظلام ، وانطمس النور الذى جاء من عند
رب العالمين ، فعبدوا الأصنام والأوثان ، فضلوا وعموا عن دين الله وأنكروا
البعث والنشور ، وكذبوا بالحشر والحساب على ما قدموا ، وكفروا بالجنة والنار
وصاروا يتأجرون بدينهم ، واستغلوا الناس ، وأخذوا ثرواتهم باسم الدين حتى
صدوا الناس عن دين الله ، وشتوا الله عز وجل يكلام فاقوا فيه إبليس اللعين
فقالوا :

(١) يد الله مفلولة - غت أيديهم - وقالوا : (إن الله فقير ونحن أغنياء)
كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذبا .

عبدوا المادة - كما سبق بيانه - وابتعدوا عن الروحية ومؤثراتها والغيبيات
الدينية ، وانغمس أكثرهم فى متاع الحياة الدنيا غير خائف من عاقبة ولا متوقع
لحساب .

وافترقوا على مجموعات متناصرة تكفر ببعضها بعضا وتتاصب العداء فيما بينها
فوقعوا فى المهالك والمهاوى ، فأصبحوا غير مميزين عن الوثنيين عقيدة وأخلاقا
كما سبق .

وكان من سنة الله فى الخلق ، أنه كلما فسدت عقيدتهم وأخلاقهم أن يرسل
الله إليهم رسولا ينقذهم من الهلاك والدمار الذى سيلحقهم بسبب ذنوبهم .

(١) المائدة : ٦٤ .

(٢) آل عمران : ١٨١ .

٢ - عيسى عليه السلام والعقيدة التي دعا إليها .

أولا : من هو عيسى المسيح صلاة الله وسلامه عليه ؟

هو عيسى ابن مريم ابنة عمران ، وهو عبد الله ورسوله وكنيته ألقاها إلى مريم روح منه ، وهو آخر أنبياء الله ورسوله من بني إسرائيل وقد تعرض القرآن الكريم لتاريخ عيسى عليه السلام منذ حمله حتى رفعه الله إليه ، فلم ينقصه شيئا من صفاته ، ولم يعطه من الصفات إلا ما هو له .

فقال الله تعالى بشأنه :

(واذكر في الكتاب مريم إذ انتبذت من أهلها مكانا شرقيا ، فاتخذت من دونهم حجابا ، فأرسلنا إليها روحنا فتمثل لها بشرا سويا ، قالت إني أعوذ بالرحمن منك إن كنت تقيا ، قال إنما أنا رسول ربك لأهب لك غلاما زكيا ، قالت أنى يكون لى غلام ولم يمسسنى بشر ولم أك بغيا . قال : كذلك قال ربك هو على هين ولنجعله آية للناس ورحمة منا وكان أمرا مقضيا ، فحملته فانتبذت به مكانا قصيا ، فأجاءها المخاض إلى جذع النخلة قالت ياليتنى مت قبل هذا وكنت نسيا منسيا فناداها من تحتها ألا تحزنى قد جعل ربك تحتك سريا وهزى إليك بجذع النخلة تساقط عليك رطبا جنيا ، فكلى واشربى وقرى عينا فإما ترين من البشر أحدا فقولى إني هظوظ للرحمن صوما فلن أكلم اليوم إنسيا ، فأنت به قومها تحمله ، قالوا : يا مريم لقد جئت شيئا فريا ، يا أخت هارون ما كان أبوك امرأ سوء وما كانت أمك بغيا فأشارت إليه ، قالوا كيف تكلم من كان فى المهد صبيا ، قال إني عبد الله أتانى الكتاب وجعلنى نبيا ، وجعلنى مباركا أين ما كنت وأوصانى بالصلاة والزكاة ما دمت حيا ، وبرا بوالدتى ولم يجعلنى جبارا شقيا ، والسلام على يوم ولدت يوم أموت يوم أبعث حيا ، ذلك عيسى ابن مريم قول الحق الذى فيه يعمتون) .

(إذا قالت الملائكة يا مريم إن الله يشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى ابن مريم وجيها في الدنيا والآخرة ومن المقربين ، ويكلم الناس في المهد وكهلا ومن الصالحين ، قالت أنى يكون لى ولد ولم يمسسنى بشر . قال : كذلك الله يخلق ما يشاء ، إذا قضى أمرا فإنما يقول له كن فيكون) .

هذا هو تاريخ عيسى قبل النبوة ، قد أوجزه القرآن إيجازا شافيا يفنى جميع المصادر التاريخية ، لأن ذلك صدق لا يحتمل الكذب ، أما المصادر الأخرى فهي عرضة للكذب والتحريف ، ولا تخلو عن التزييف والتغيير .

وقد بين القرآن الكريم أن عيسى عهد من عباد الله ، لا يتميز^{عنه} غيره إلا من حيث ولا دته بلا أب ، وهذا لا يجعله إلها ولا يخرج منه من الإنسانية ، قاله سبحانه وتعالى خلقه وصوره في الرحم كما صور غيره من المخلوقات وأنه خلقه من غير أب كما خلق آدم من غير أب ولا أم ، ثم قال له كن فكان .

عن عبادة بن صامت رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : " من شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله وأن عيسى عبد الله ورسوله وكلمة ألقاها إلى مريم روح منه والجنة حق والنار حق أدخله الله الجنة على ما كان من العمل " .

يقول ابن جرير الطبري رحمه الله عند تفسير قوله تعالى : (ذلك عيسى ابن مريم

قول الحق الذى فيه يعترفون) .

« يقول الله تعالى ذكره : هذا الذى بينت لكم صفته وأخبرتكم خبره ، وهو قول الحق ، يعنى أن هذا الخبر الذى قصصته عليكم قول الحق والكلام الذى تلوتـه عليكم قول الله وخبره ، لا خبر غيره الذى يقع فيه الوهم والشك والزيادة والنقصان

(١) آل عمران ٤٥ - ٤٧ .

(٢) متفق عليه : البخارى كتاب الأنبياء ٤٧ وسلم كتاب الإيمان ٤٦ .

على ما كان يقول الله تعالى ذكره ، فقولوا في عيسى أيها الناس هذا القول
الذى أخبركم الله به عنه ، لا ما قالته اليهود الذين زعموا أنه لغير رشدة
وأنه كان ساحرا كذابا ، ولا ما قالته النصارى من أنه : كان لله ولدا ، وأن الله
(١)
لم يتخذوا ولدا ولا ينبغي ذلك له .

وقد شاء حكمة الله أن تبرز تلك المعجزة الخارقة ، بميلاد عيسى عليه
السلام من أم بلا أب ، لتظل آثار القدرة الربانية ماثلة أمام الأبصار بعظمة
(٢)
الواحد القهار .

ثانيا : ماهى دعوة عيسى عليه السلام ؟

إذا تتبعنا آيات القرآن الكريم وتدبرناها نجد أن عيسى عليه السلام دعا
بمادعا به الأنبياء والمرسلون قبله ، وهو الإيمان بالله وحده ، وما أنزل عليه
من الآيات البينات ، ونرى القرآن يوضح حقيقته ، وأنه بشر ، وأنه رسول مرسى
الله لهداية خلقه ، وأن رسالته كانت الدعوة إلى توحيد الله ، التوحيد فسى
العقيدة ، والتوحيد فى العبادة ، فالعبادة خالصة لله تعالى وحده ، والتوحيد
فى ذاته وصفاته ، ليست لصفاته مشابهة بالخلق بل هو منزّه عن الولد ، ودعوة
التوحيد المطلق تقرر أن الله وحده هو الخالق المقدر وهو الإله المعبود
وهى دعوة لا تشوبها شائبة وهى السمة العامة للأديان الربانية جميعا ، الأنبياء
كلهم دعوا إلى هذه العقيدة - كما تقدم - وكذلك أتباع الأنبياء الذين آمنوا بالحق .
وانها عقيدة الأولين والآخرين من المؤمنين .

وقد أخبر عيسى عليه السلام عن نفسه بأنه عبد الله أتاه الله الكتاب
وجعله نبيا فقال :

(١) جامع البيان ٦٢ / ١٦ .

(٢) انظر صفوة التفاسير : ٢ / ٢١٠ .

(١)

(يانى عبد الله أتانى الكتاب وجعلنى نبيا) •

ودعا إلى عبادة الله وحده لا شريك له ، وقد بين الله دعوته هذه بقوله :

(وقال المسيح يابنى إسرائيل اعبدوا الله ربى وربكم إنه من يشرك بالله فقد حرم

الله عليه الجنة ومأواه النار وباللظالمين من أنصار ، لقد كفر الذين قالوا إن الله

ثالث ثلاثة ومامن بالله إلا إله واحد ، وإن لم ينتهوا عما يقولون ليمسن الذين

(٢)

كفروا منهم عذاب أليم) وقال تعالى ذكره :

(يا أهل الكتاب لا تغفلوا فى دينكم ولا تقطعوا على الله إلا الحق ، إنما المسيح عيسى

ابن مريم رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم روح منة فآمنوا بالله ورسله ولا تقطعوا

ثلاثة انتهوا خير لكم إنما الله إله واحد سبحانه أن يكون له ولد ، له مافى السموات

(٣)

ومافى الأرض وكفى بالله وكيلًا) •

وأخبر عيسى عن حقيقة نفسه فقال يانى وإياكم عبيد الله فأعبدوه ، ولا تعبدوا

ربا سواه ، وإنى أوصيكم بأتباع الطريق المستقيم الذى أمر به ربى ، فإنه من سلك

هذا الطريق نجا ، ومن اتبعه اهتدى ، لأنه دين رب العالمين ، والحق الذى

أمر به أنبياءه •

قال الله عز وجل :

(ما كان لله أن يتخذ من ولد سبحانه إذا قضى أمرا فإنما يقول له كن فيكون

(٤)

وإن الله ربى وربكم فأعبدوه هذا صراط مستقيم) •

وهكذا بعث الله عيسى عليه السلام ليعيد للإنسانية كرامتها التى أهدرها

اليهود ، ويرد بنى إسرائيل إلى جادة الحق والصواب وليهذب أخلاقهم

وليربيهم على حب الخير ويحببهم به ، ويربيهم على البعد عن الشر ، وعبادة المال

(١) مريم : ٣٠ •

(٢) المائدة ٧٢ - ٧٣ •

(٣) النساء : ١٧١ •

(٤) مريم : ٣٥ - ٣٦ •

والبادة ، جاءهم يبشرونهم بوسالته ، ويدعوهم إلى أتباعه ، ويسعى في أن يردهم عن زيفهم ، ويصد هم عن ضلالهم ، ويبين لهم ما اختلفوا فيه من الحلال والحرام (١)

ويحل لهم بعض الذي حرم عليهم .

قال الله عز وجل :

(ولما جاءهم عيسى بالبينات قال : قد جئكم بالحكمة ، ولأبين لكم بعض الذي تختلفون فيه ، فاتقوا الله وأطيعون إن الله هو ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم) (٢)

وقد أتاه الله الكتاب فيه آيات بينات ، وتلقى من ربه الوحي وعلمه التوراة

والإنجيل . قال الله عز وجل :

(ويعلمه الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل) (٣)

وقال عز من قائل :

(وقفينا على آثارهم بعيسى ابن مريم مصدقا لما بين يديه من التوراة وأتينا الإنجيل فيه هدى ونور ومصدقا لما بين يديه من التوراة وهدى وموعظة للمتقين) (٤)

وقد شرع الله له مآشرع للأنبياء من الدين .

فقال تعالى :

(شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي أوحينا إليك ، وما وصىنا به إبراهيم

وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه) (٥)

وعن أبي هريرة رضى الله عنه أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

" أنا أولى الناس بعيسى ابن مريم فى الأولى والآخرة " قالوا : كيف يا رسول الله ؟

(١) انظر أحسن القصص على فكرى ص ١٣٨ .

(٢) الزخرف : ٦٣ - ٦٤ .

(٣) آل عمران : ٤٨ .

(٤) المائدة : ٤٦ .

(٥) الشورى : ١٣ .

قال : " الأنبياء إخوة من علات وأمهاتهم شتى ، ودينهم واحد فليس بنبي نبي " (١)
رواه مسلم .

ومعنى الحديث : أصل إيمانهم واحد أى إنهم متفقون فى أصول التوحيد
وهكذا فإن عيسى عليه السلام لم يكن إلا رسولا من رسل الله عز وجل فهو واحد من
هؤلاء الرسل الذين بعثوا بالدعوة إلى توحيد الله ، وإبطال عبادة الطاغوت :
وقد أيدته الله بمعجزات باهرة ، تخرس الألسنة ، وتقطع الطريق على منكرى
رسالته ، أعطاه الله معجزات تحرك القلوب الساكنة إلى الإيمان بالله الواحد
الأحد ، لو كان الدليل وحده يهدى النفوس الضالة والقلوب الشاردة إلى الإيمان
لكان ذلك كافيا ، ولكن قلوب القوم قد تحجرت وتجمدت ، فلم تصل الآيات
إليها ، حتى قالوا : قلوبنا غلف بل طبع الله عليها بكفرهم فلا يؤمنون إلا قليلا .
وقال تعالى مخبرا عن ذلك ، وعن تلك الدلائل التى أيد بها عبده مرسوله
عيسى عليه السلام :

(ورسولنا إلى بنى اسرائيل أنى قد جئكم بآية من ربكم ، أنى أخلق لكم من
الطين كهية الطير فأنفخ فيه فيكون طيرا بإذن الله ، وأبرئ الأكمه والأبرص ، وأحيى
الموتى بإذن الله ، وأنبئكم بما تأكلون وما تدخرون فى بيوتكم ، إن فى ذلك لآية
لکم إن كنتم مؤمنين) . وقال تعالى : (٢)

(قال عيسى ابن مريم : اللهم ربنا أنزل علينا مائدة من السماء تكون لنا عيدا
لأولنا وآخرنا وآية منك وارزقنا وأنت خير الرازقين قال الله : إني منزلها عليكم
(٣)
فمن يكفر بعد منكم فإني أعذبه عذابا لا أعذبه أحدا من العالمين) .

(١) كتاب الفضائل / ١٤٥ ومعنى " أولاد علات " الإخوة لأب من مهات شتى .

(٢) آل عمران : ٤٩ .

(٣) المائدة : ١١٤ - ١١٥ .

هذه النصوص وغيرها تثبت أن عيسى عليه السلام رسول أرسله الله إلى بني إسرائيل ليرشد هم ويدلهم على الطريق المستقيم ، والإيمان بالله وحده ، الإيمان بالوحدانية الكاملة ، الوحدانية بكل أنواعها وأشكالها وشعبها ، التوحيد في كل شيء ، التوحيد في الربوبية ، والتوحيد في الألوهية ، والتوحيد في الأسماء والصفات فخالق السماوات والأرض وما بينهما هو الله وحده لا شريك له ، يدل على ذلك بكل وضوح ما في الله علينا من أنباء صورة السؤال والجواب التي ستكون في محكمة العدل الربانية يوم الدين لعيسى عليه السلام أمام الخلائق ، قال الله عز وجل :

(وإن قال الله ياعيسى ابن مريم أنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله قال : سبحانك ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق إن كنت قلته فقد علمته ، تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك إنك أنت علام الغيوب ، ما قلت لهم إلا ما أمرتني به أن أعبدوا الله ربي وربكم وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم فلما توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم وأنت على كل شيء شهيد) .

ولكن مع دعوة عيسى قومه إلى التوحيد الخالص ، مقرونة بالمعجزات الباهرة نرى أكثر القوم يكفرون به وبالآيات التي أيده الله بها ولم يؤمن به إلا قليل من بني إسرائيل قال الله عز وجل :

(فلما أحس عيسى منهم الكفر قال من أنصاري إلى الله ؟ قال الحواريون نحن أنصار الله آمنا بالله وأشهد بأننا مسلمون) .

والمقصود أن عيسى عليه السلام لما أقام عليهم الحجج والبراهين استمر أكثرهم على كفرهم وضلالهم وعنادهم وطفيانهم فانتبذ من بينهم طائفة ، صالحة فكانوا لله أنصارا وأعوانا قاموا بمتابعته ونصرته ومناصحته . (١)

(١) المائدة : ١١٦ - ١١٧ .

(٢) آل عمران : ٥٢ .

(٣) انظر البداية والنهاية لابن كثير ٨٤ / ٢ .

٣ - موقف بنى إسرائيل من دعوة عيسى عليه السلام .

أهاب عيسى عليه السلام ببني إسرائيل أن يرجعوا إلى دين الله ويخلصوا له في العبادة وأن يصححوا ما أدخلوا في شريعتهم من تحريف وتبديل ، وقام يبلغهم أوامر الله ونواهيه كما كلفه الله ، ولم يكن ذلك إلا لإرادة الخير والاصلاح الدينى والاعتقادى .

ولقد لقي عيسى عليه السلام من اليهود تعنتا واستكبارا ، ولاقى أثنا دعوته متاعب وشدائد ، وخاصة من العلماء والكهان ورؤساء الدين ، فدخل معهم فى جدال طويل وممر حول المفاهيم العقيدية ، لأنهم - كما سبق لنا - حرفوا العقائد والشرائع من أصول الديانة الموسوية ، وخاض معهم فى هذه القضايا ، ودحض حججهم بالحجج الدامغة ، والبراهين الساطعة ، وأحج الكهنة والفريسيين بتعليقه وتجريحه إياهم فى طريقتهم وفضح ريائهم وخبثهم ، فأخرجهم ذلك إلى الكيد ضده والتدبير لقتله ، فلما اختمر هذا الأمر فى أنفسهم ، شكوا أمره إلى الوالى ، وزينوا شكواهم بما يستندعى اهتمام الوالى ، بأن ادعوا عليه أنه يقول : إنه ملك اليهود وأنهم لا يعرفون بملك سوى قيصر رومية فأرسل الوالى جندا للقبض على المسيح عيسى بن مريم ، فلما أتوا ولم يبق إلا القبض عليه ، والمسيح قد اهتم لهذا الأمر وخشى أن ينالوه بالأذى ، أنقذه الله من أيديهم ، وطهره منهم ، وألقى شبهة على شخص آخر ظم فيما بعد أنه تلميذه الخائن ، وعرقته الأناجيل بأنه يهودا الأسخريوطى - كما هو مشهور - وصار بحيث لا يشك من يراه فى أنه يسوع ، فأخذ وطلب وقتل (١) ونجا المسيح من شرهم .

(١) انظر مكاييد يهودية عبر التاريخ للأستاذ عبد الرحمن الميدانى ص ٣٢ .

والحقيقة التي لا مزية فيها أن عيسى لم يتدخل في شؤون الرومان ولا في سياستهم ، لأنه ما كان يدعو إلا إلى اصلاح يتعلق بالمسائل الدينية ولم يتجه إلى اصلاح الدولة ، ولم يدع إلى إقامة دولة دينية بعد .

فهم قد افتروا عليه كذبا ومهتانا ، رغبة في الانتقام ، ومخافة زوال مراكزهم القيادية في الشؤون الدينية كل ذلك جعلهم يكيدونه ويمكرون به عليه السلام فأغضبوا الحاكم الروماني ، وحرضوه عليه حتى حكم عليه بالإعدام صلبا ، وأصدر أمره بالقبض عليه لتنفيذ قتله ، وكان قادة اليهود الدينيون قد رأوا أن قتله ضروري للمحافظة على الشعب اليهودي ، فأصدر رئيس كهنتهم واسمه " قيافا " الفتوى باستباحة العمل على قتله ، إذ قال بشأنه : لأن يموت رجل واحد خير من أن يذهب الشعب بأسره ، فأجمع عظماء يهود وأخبارهم على العمل على قتله وتحريض الحاكم الروماني لتنفيذ صلبه لذلك لعنهم الله وفضب عليهم وطبع على قلوبهم فهم لا يفقهون . قال الله عز وجل :

(فيما نقضهم ميثاقهم وكفرهم بآيات الله وقتلهم الأنبياء بغير حق وقطعهم قلوبنا غلف ، بل طبع الله عليها بكفرهم فلا يؤمنون إلا قليلا ، وكفرهم وقطعهم على مريم بهتانا عظيما ، وقطعهم إنا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم ، وإن الذين اختلفوا في^{فيه} شك منه ما لهم به من علم الا أتباع الظن - (١) وما قتلوه يقيناً بل رفعه الله إليه وكان الله عزيزا حكيما) .

" الفصل الثاني "

- المسيحية بعد عيسى عليه السلام .
- ١ - العقيدة في عهد الحواريين .
- ٢ - بولس وتربيته للعقيدة المسيحية .
- ٣ - الإمبراطور الروماني (قسطنطين) وأخذه
بفكرة بولس بعد إعلانه الدخول في
النصرانية .

المحبة بدمعسي عليه السلام

١ - العقيدة في عهد الحواريين .

أ - من هم الحواريون ؟

الحواريون هم الذين اختارهم عيسى عليه السلام من بين السابقين الأولين من أتباعه ، وخاصة الذين اختارهم ليكونوا تلامذة له ، وهم الذين بادروا إلى الإيمان وتعلموا له وتعلموا منه ، وهم الرقة التي أظنت إيمانها بجرأة وسط جموع الكافرين . وقد أجابوا دعوة عيسى عليه السلام في حين كفرت به بنو إسرائيل ونصروه إذ ناصبه جمهور بنو إسرائيل العداء .
لقد ناداهم عيسى عليه السلام لما وجد من بنو إسرائيل الذين أرسله الله إليهم جحوداً لنبوته ، وتكذيباً لقوله وصداً عما دعاهم إليه من أمر الله ، فقال من أنصاري إلى الله وأعواني بحجة الله على المكذبين والمولين عنه دينه .

قال الله تعالى :

(فلما أحس عيسى منهم الكفر قال من أنصاري إلى الله ؟ قال الحواريون نحن أنصار الله آمنا بالله ، وأشهد بأننا مسلمون ، ربنا آمنا بما أنزلت وأتبعنا الرسول (١) فاكبتنا مع الشاهدين) .

فأجابوه بقلوبهم الصادقة ونياتهم الخالصة فقالوا : نحن مسلمون لأمر الله ومصدقون بنبوته ، وقائمون بنصرتك لأجل إظهار دين الله .

ولفظ " الحواري " يساوي لفظ " الأنصار " في جانب رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم يشبهون صحابة رسول الله الذين ناصروه في وقت كان يتطلع رسول الله فيه إلى من ينصره في دين الله .

جاء في الحديث ما يدل على هذا ، عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " ما من نبي بعثه الله عز وجل في أمة

قبل، إلا كان له من أمته حواريون وأصحاب يأخذونه بسنته ، ويقتدون بأمره ، ثم
إنها تخلف من بعدهم خلوف ، يقولون مالا يفعلون ، ويفعلون مالا يؤمرون ، فمن
جاهد هم بيده فهو مؤمن ، ومن جاهد هم بلسانه فهو مؤمن ، ومن جاهد هم بقلبه
فهو مؤمن ، وليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل * . رواه أحمد ومسلم (١)

إذن فالحواريون هم الذين كانوا يتقطعون للتلقى عنه ، وهم الذين قاموا بعد
رفعه بنشر تعاليمه وحفظ وصاياه مع رسل الدعوة من الذين آمنوا به .

لقد اختارهم عيسى لهذه المهمة الجليلة ، لصفاء قلوبهم ، وطهارة سريرتهم
وقد نفذوا المهمة التي اختارهم عيسى عليه السلام للقيام بها على أتم وجه ، حين
بشهم في القرى اليهودية إلا واحدا منهم ، فإنه اتهم بخيانة نبيه عيسى عليه السلام
وهو يهوذا الاسخريوطي ، وقد وقع عليه الصلب كما سبق بيان ذلك .

ب - عقيدة الحواريين .

منذ بعثة عيسى عليه السلام إلى ظهور بدعة بطرس كانت المسيحية في تلك الفترة
ديانة توحيد تدعو إلى عبادة الله الواحد الأحد ، وتقرر أن عيسى إنسان وابن
إنسان ، أرسله الله تعالى بشدين جديدين وشريعة جديدة ، كما أرسل رسلا من قبله
وكان الحواريين إمتدادا لعصر عيسى عليه السلام ، وكانت توجيهاته النبوية مازالت
حية في ذاكرتهم .

لقد سبق لنا أنه قد بشهم في حياته إلى القرى اليهودية ليدعوا الكفار بدعوة
التوحيد ، وأنهم قاموا بذلك حق القيام ، لذلك نرى القرآن الكريم يؤكد أن الحواريين
كانوا من أنصار الله ومن الداعين إلى عقيدة التوحيد ، ويأمر أتباع رسول الله محمد
صلى الله عليه وسلم أن يسلكوا مسلك الحواريين ، وأن ينصروا دين الله كما نصره أتباع

(١) أحمد في ١ / ٤٥٨ . ومسلم في كتاب الإيمان ص ٨٠ .

عيسى عليه السلام ، إذ يقول الله عز وجل :

(يا أيها الذين آمنوا كونوا أنصار الله كما قال عيسى ابن مريم للحواريين من أنصارى
إلى الله ؟ قال الحواريون نحن أنصار الله ، فأنت طائفة من بنى إسرائيل ، وكفرت
(١) طائفة ، فأيدنا الذين آمنوا على عدوهم فأصبحوا ظاهرين) .

فالله تعالى يحث أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم على أن يكونوا أنصار الله
كما كان الحواريو عيسى عليه السلام أنصار الله .

وهذا يدل دلالة واضحة على أن أصحاب عيسى عليه السلام كانوا موحدين حقيقة
ولم يكونوا مشركين .. كما صار النصارى فيما بعد - إنهم قد حافظوا على دين الله من
كيد المنافقين والوثنيين من الرومان ومن غيرهم ، وذبوا عنه حتى أبلوا في سبيل ذلك
بلاء حسنا ، لقد حملوا راية الإيمان ، واستشهد أكثرهم في سبيلها .

ومما يذكر في التاريخ أنهم تفرقوا في البلاد بعد رفع عيسى عليه السلام يدعون
إلى توحيد الله ودينه والإيمان بعبدته ورسوله ومسيحه ، فدخل كثير من الناس في
دينه مابين ظاهر مشهور ومختف مستور ، وأعداء اليهود في غاية الشدة والأذى لأصحابه
وأتباعه ، ولحق تلاميذ عيسى وأتباعهم من اليهود ومن الروم شدة شديدة من قتل
(٢) وعداب وتشريد وحبس وغير ذلك .

فالدعوة النصرانية في عهد الحواريين كانت دعوة نقية من مفاهيم الشرك والفلو والله
أعلم .

(١) الصفح : ١٤ .

(٢) انظر هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى لابن القيم الجوزية ص ١٦٨ .

٢ - بولس وتحريفه العقيدة المسيحية

الحديث في هذا الموضوع يشتمل على ثلاث نقاط :

الأولى التعريف ببولس ، والثانية دخوله في المسيحية ، والثالثة تحريفه

للعقيدة النصرانية .

النقطة الأولى : التعريف ببولس :

(١)

بولس هو ابن كيساوى البنيامينى " اليهودى " . وقد ولد بولس في مدينة

طرطوس من أعمال كليشيا في السنة العاشرة من الميلاد تقريبا وقد رباه والده

تربية دينية ، وخاصة على تعاليم الفريسيين ، ولما شب أرسله أبوه إلى اورشليم

ليدرس على يد حاخام وابن حاخام اليهودى " غملائيل " فتعلم على يد هذا

الكاهن تعليما محكما حتى فاق جميع أقرانه في العلم والمعرفة .

وقد ظن بعض علماء مقارنة الأديان أنه من أصل رومان ، واعتمدوا على ماورد

في سفر أعمال الرسل ، ولكن الاستدلال يماضى سفر أعمال الرسل فيه نظرا لأن

بولس لم يدع قبل ذلك أنه رومانى ، وإنما ادعى أنه رومانى لماخاف من سياط جنود

الرومان ، لأنه كان يعلم أنه يخلصه من وقع الضربات عليه .

جاء في سفر أعمال الرسل مايلى :

" فلما مدوه للسياط قال بولس لقائد المئة الواقف أيجوز لكم أن تجلدوا إنسانا

رومانيا غير مقضى عليه ؟ فإن سمع قائد المئة ذهب إلى الأمير وأخبره قائلاً انظر

ماذا أنت مزيع أن تفعل ، لأن هذا الرجل رومانى ، فجاء الأمير وقال له : قل لى

(١) انظر قصة الديانات سليما مظهر ص ٤٣٥ .

أنت روماني ، فقال : نعم ، فأجاب الأمير أما أنا فبمبلغ كبير اقتنيت هذه
الرَّعِيَّة فقال بولس : أما أنا فقد ولدت فيها ، ولوقت تنحى عنه الذين كانوا
(١)
مزعمين أن يفحصوه ، واختشى الأمير لما علم أنه روماني ولأنه قد قُيد .
هذا النص يدل دلالة واضحة على أنه ادعى أنه روماني لما رأى أن جسمه
سيضرب بالسياط فعمد إلى حيلة لعله يجد مخرجاً .

ولاشك أن أسرة شاول كانت من الجاليات اليهودية ، التي كانت تقطن في
الرومان ، وكانت لعائلته حقوق التبعية الرومانية ، وذلك إعمال خدمات قامت بها
(٢)
للمملكة أو لاعتاق من العبودية الشرعية ، إذا فلامانع من أن يكتسب بولس جنسية
الرومان ، ولكن جنسيته الأصلية والحقيقية هي أنه "يهودي" وهذا باتفاق
(٣)
المسيحيين .

ويقول عن نفسه : " فقد ولدت فيها ولم يقل أصل روماني ، وإنما أخبر
أنه ولد فيها ، لأن الرجل كان معروفاً بالحيل والمكر والخداع ، وعرف أنه لاجأ
من هذا المأزق إلا بهذه الطريقة ، فأسرع قائلاً : أنا روماني ، فبذلك تم له ما كان
يرمي إليه ، كما يفيد النص ، بدون أن يصيحه الأذى من الرومان .

وجاء في دائرة المعارف للبستاني أن بولس " كان يهودياً يونانياً أو هيلانياً
أي مولوداً خارج حدود فلسطين وكان إلى أن تنصر يهودياً متعصباً من طائفة
الفرسيين ولادة وتربية واعتقاداً ، والظاهر أن اسمه الأصلي اليهودي أي شاول
صار نسياً منسياً بعد تنصره بقليل ، وعرف باسم بولس اليوناني ، ولا نعلم سبباً لذلك
(٤)
ولا كون اسم بولس أطلق عليه قبل ارتداده . "

(١) الإصحاح ٢٢/٢٥ - ٢٩ .

(٢) انظر دائرة المعارف البستاني ١٩٩/٥ .

(٣) انظر محاضرات في النصرانية محمد أبوزهر ص ٨٤ .

(٤) ٦٩٩/٥ .

وجاء في كتاب معالم تاريخ الإنسانية مايلي : "وظهر للوقت معلم آخر عظيم
يعنده كثير من الثقات العصريين المؤسس الحقيقي للنصرانية - وهو شاول الخرطوسي
أو بولس - ويظهر أن شاول هو اسمه اليهودي ، وأن بولس اسمه الروماني
(١)
والراجح أنه يهودي المولد ، وإن كان بعض الكتاب اليهود ينكرون ذلك .
والذي أراه حقا هو أنه يهودي الجنس ، لما تقدم من الأدلة الواضحة .
وجاء في سفر أعمال الرسل أيضا ما يدل على أنه يهودي ، وكان ذلك لما
اشتكى إلى أمير مدينة أورشليم بسبب قيامه ببعض النشاطات المعادية فيها .
" وإن قارب بولس أن يدخل المحسكر قال للأمير أيجوز لي أن أقول شيئا
للك
فقال أتعرف اليونانية ؟ أفلمست أنت المصري الذي صنع قبل هذه الأيام فتنة
وأخرج إلى البرية أربعة آلاف الرجل من القطة ، فقال بولس : أنا رجل يهودي
طرطوسي من أهل مدينة غير دينية من كيليكية ، وألتمس منك أن تأذن أن أكلّم
الشعب ، فلما أذن له وقف بولس على الدوح وأشار بيده إلى الشعب ، فصار
سكوت عظيم ، فنادى باللغة العبرانية قائلا : أيها الرجال الإخوة والأيما
اسمعوا احتجاجي الآن لديكم فلما سمعوا أنه ينادي لهم باللغة العبرانية أعطوا
سكوتا أخرى ، فقال أنا رجل يهودي ، ولدت في طرسوس كيليكية ، ولكن
ربيت في هذه المدينة مؤديا عند رجلى غملائيل عن تحقيق الناموس الأبوي ،
(٢)
وكت غيروا لله كما أنتم جميعكم اليوم (٠٠٠٠٠) .

النقطة الثانية : دخول بولس في المسيحية .

إن عقل بولس كان من طراز شائع كثيرا بين اليهود ، وكان فيه من الذكاء
وشدة الانفعال أكثر مما فيه من الرماثة والظرف ، وكان فيه من الإحساس القوي

(١) معالم تاريخ الإنسانية هـ . ط ٢٠٥ / ٣ .

(٢) الإصحاح ٣٧ / ٢١ - ٤٠ ، والإصحاح : ١ / ٢٢ - ٤ .

والخيال أكثر مفايه من نزاهة الحكم ، والنظرة الموضوعية إلى الأشياء وكان قويا
(١)
فى العمل ، لأنه كان ضيق التفكير ، وكان نشيطا دائم الحركة لا يمل ولا يكل
وقد أوتى علما واسعا ، وعقلا ضيقا ، وكان قبل إعلانه الدخول فى المسيحية
من أعدائها ومن أشد اليهود حوبا لأتباع المسيح عليه السلام فى كل مكان
فيقتل من يقتل منهم ، ويحذب من يعذب ، ويسلم الرجال والنساء إلى السجون
وساحات التعذيب .

وكان بولس كما سبق بيانه من فرقة الفريسيين الذين كانوا يعادون المسيح
أشد العداة ، وكان تلميذا لأحد علماء اليهود وهو غملا ئيل الفريسي ، وكان
يجتهد فى سحواصم المسيح وأتباعه من الأرض ، وكان يدخل فى بيوت المسيحيين
ويغير عليهم فى الطرقات .

ولكن نرى بولس فجأة يتحول من عدو ولدود ، وخصم جبار عنيد للمسيحيين إلى
رسول داعية كريم لها ، لا يزال فى سبيلها كل ما يصيبه من الأذى .

وقد أحاط دخوله فيها بادعاءات غريبة جرت له ، وشاهدات خاصة فتحول
بغثة ، وصار داعيا من دعايتها ، ومعلمها الأولى وأخذ ينشربأنه يتلقى التعاليم
المسيحية إلهاما ، مع العلم بأنه ليس من تلاميذ المسيح عليه السلام ولا اجتمع به
ولا سمع منه ، وهاهى قصة دخوله فى المسيحية كما جاءت فى سفر أعمال الرسل
إن قال :

" أنا رجل يهودى ولدت فى طرسوس كيليكية ، ولكن ربيت فى هذه المدينة
مؤدبا عند رجل غملا ئيل عن تحقيق الناموس الأبوى .

وكنتم غيروا لله ، كما أنتم جميعكم اليوم ، واضطهد هذا الطريق حتى الموت
مقيدا ومسلما إلى السجون رجالا ونساء ، كما يشهد لى أيضا رئيس الكهنة ، وجميع

(١) انظر قصة الحضارة ولديورات ١١ / ٢٥٠ - ٢٥١ .

الشيخة الذين، إذ أخذت أيضا منهم رسائل للإخوة إلى دمشق ذهبت لأتقى
بالذين هناك إلى أورشليم مقيدين لكي يعاقبوا فحدث لي وأنا ذاهب ومتقرب
إلى دمشق أنه نحو نصف النهار بغتة أ برق حولي من السماء نور عظيم ، فسقطت
على الأرض ، وسمعت صوتا قائلا لي : شاول شاول ، لماذا تضطهدني ؟ فأجبت من
أنت ياسيد ؟ فقال لي أنا يسوع الناصري الذي تضطهده فقلت ماذا أفعل
يارب ، فقال لي الرب قم واذهب إلى دمشق وهناك يقال لك عن جميع ما ترتسب
لك أن تفعل ، وإن كنت لا أبصر من أجل بهاء ذلك النور اقتادني بيدي الذي
(١)
كانوا معي فجئت دمشق .

وجاء فيه أيضا ما يلي :

" أما شاول فكان لم يزل ينفث تهديدا وقتلا على تلاميذ الرب فتقدم إلى رئيس
الكهنة ، وطلب رسائل إلى دمشق إلى الجماعات حتى إذا وجد أناسا من الطريق
رجالا ونساء يسوقهم موثقين إلى أورشليم ، وفي ذهابه حدث أنه اقترب إلى دمشق
فيغتنم أ برق حوله نور من السماء ، فسقط على الأرض وسمع صوتا قائلا له : شاول
شاول لماذا تضطهدني ، فقال من أنت ياسيد ؟ فقال الرب أنا يسوع الذي تضطهده
صعب عليك أن ترفض مناخس فقال : وهو مرتعد ومتحير ، يارب ماذا تريد أن أفعل
(٢)
فقال له الرب ، قم وادخل المدينة فيقال لك ماذا ينبغي أن تفعل " .

وهكذا كان دخول بولس في المسيحية ، وأنه لم يدخل في الديانة النصرانية
عن طريق دعوة الحواريين ، ولا عن طريق دعوة تلاميذ الحواريين ، ولا عن طريق
البحث والاستدلال ، وإنما دخل بإدعاء أن عيسى عليه السلام هبط عليه بنوره فوسى
القصة المفتراة التي رواها لي دخل في المسيحية المفاهيم الباطلة التي أراد دسها فيها .

(١) الإصحاح ٢٢/٣ - ١١ .

(٢) الإصحاح ٩/١ - ٦ .

إن هذا الانقلاب المفاجئ^١ الغريب في عقيدة بولس مشارلدهشة من وقف على سيرته وحياته ، ولم يكن شاول بمعزل عن المسيحية يجهل المسيح ، بل كان على علم بها والمسيح نفسه ، وكان كافرا بهما ، حتى قال له الصوت كما يزعم : " لماذا تضطهدنى " ويسأل شاول الصوت بعد سقوطه على الأرض من النور العظيم من أنت ياسيد ؟ كيف عرف شاول وهو في تلك الحالة بعد إبطاره النور العظيم أن من يكلمه " سيد " الذى عرفه الرب ، وفى عرف المسيحيين من تلامذته الذين تذكرهم الأناجيل ، كيف عرف أنه الرب ؟ وإذا عرف أنه المسيح ، لأنه كان يضطهده ، فكيف يعترف له بالربوبية وإذا كان عارفاً أنه الرب فلماذا يقول سائلا من أنت ؟^(١) "

على كل فالذى يظهر من كلام بولس دسه فكرة ربوبية المسيح ثبته السلام الذى كان يقول فيه وفى أمة قولا عظيما في المسيحية^٢ .

وبمع ذلك فإن تلاميذ المسيح والمسيحيين لم يصدقوا بولس على أنه دخل في دينهم وأنه آمن بإيماناً صادقا ، وخاف منه التلاميذ ، لأنهم كانوا يعرفون ماضيه في الكفر بالديانة المسيحية ، وسحارته لها وسحابة معتقها .

وقد حاول بولس أن يتصل بتلاميذ المسيح بجد واجتهاد ، ولكنهم رفضوا أن يقبلوه ، إلا برنابا فإنه شهد له بالإيمان وزكاه أمامهم ، وذكر لهم ما حدث له في الطريق ، الحادثة التى نقلته من الكفر الخصام إلى المسيحية .

جاء في سفر أعمال الرسل ما يلي :

" ولما جاء شاول إلى أورشليم حاول أن يلتصق بالتلاميذ ، وكان الجميع يخافونه غير مصدقين أنه تلميذ ، فأخذه برنابا وأحضره إلى الرسل وحدثهم كيف أبصر الرب في الطريق ، وأنه كلمه ، وكيف جاهر في دمشق باسم يسوع " .^(٢)

(١) الديانات والعقائد في مختلف العصور أحمد عبد الغفور عطار : ٢٦٠ / ٣ .

(٢) الإصحاح ٩ / ٢٦ - ٢٨ .

ومن ذلك اليوم صار بولس داعية كبير في نشر النصرانية ، وأصبح ذا حركة داعية في الدعاية للمسيحية ، وأخذ يطوف في البلاد ينشئ الكنائس ، ويلقى الخطب ويكتب الرسائل حتى صارت رسائله معتمدة أكثر من بقية الرسائل النصرانية ، فهي تشتمل على مبادئ في الاعتقاد ، وبعض انشراح العملية ، وغدت المسيحية الحاضرة مطبوعة بطاعة ، كما سيتبين لنا في الفقرة الثالثة .

النقطة الثالثة : بولس وتحريفه للمسيحية .

إن من طبيعة اليهود وسجيةهم عبر تاريخهم معادات الأديان السماوية التي أنزلها الله على رسله لهداية البشرية وإخراجها من الظلمات إلى النور فمان رسالة تنزل من الله إلا وهم يكيدونها ويتريصون لها الدوائر لقد حرقوا التوراة كما سبق بيانه ، وحرقوا الإنجيل كما سنعرف بإذن الله تعالى .

إن معادات الدين طبيعة ورثتها اليهود خلفا عن سلف فهي موجودة فمن هو هؤلاء الأحفاد كما كانت موجودة في أولئك الآباء والأجداد ، ومن الطبيعي إذا أن يحدث من هؤلاء ما حدث من أولئك .

إن ممارسة العداء للدين والتعدي على تعاليمه وعلى أصحابه عمل يهودي طوال تاريخهم .

لقد حرص هؤلاء اليهود على قتل أنبياء الله ورسله ، وكانوا ممن هموا يقتل نبي الله عيسى عليه السلام ، ولما نجى الله عيسى من كيدهم ، وانتهت قصته بدأت قصة أخرى ، وتجهيز آخر بدأت مرحلة أخرى ، وهي مرحلة إزالة العقيدة التي جاء بها ، لأن القوم لا يريدون الكف عن الشر والفساد في الأرض ، فواصلوا المسيرة ودفَعوا عجلة الفساد إلى الأمام ، وراحوا يتآمرون ضد دين الله بوساطة رجل منهم ومن كبار علمائهم ، ذلك هو "بولس" إن بولس كان يهوديا معاصرا للمسيح عليه السلام وكان أشد اليهود عليه خلافا ، وعدوانا - كما سبق بيان ذلك - فلما انتهت

دور المسيح ورأى أن أتباعه مازالوا يكثرون سرا ، ورأى أن في هذا خسرا يهود
اليهود اعتنق النصرانية نفاقا وألبسها أثوابا زائفة سخ بها هذه الدعوة الكريمة
مسخا شنيعا ، حتى جعلها تلبس لباس الوثنية التي كانت سائدة في روما وغيرها
من بلاد أوروبا .

لقد قام بولس بتحريف المسيحية نيابة عن قومه باتفاق أو بدون اتفاق منهم
وقد قام به تعصبا ليهوديته ، وسلك في ذلك سلك الذي رآه موصلا إلى هدفه .
وعلى فرض صحة الدعوى التي ادعاها بولس ، فإنها لا تصلح ستندا طيبا أو
دينيا لإثبات التعاليم التي أخذ ينشرها من عنده على أنه يتلقاها بالإلهام^{بالإلهام} فمن غير
إقترانه بمعجزة ربانية تصدق مدعيه مرفوضا شرعا وعقلا ، ولا يؤمن بالتباسة بالآ وهام
ووساوس الشيطان وتبليساته ، وإلا أمكن كل ضال مضل أن يدعى أنه يتلقى عن ربه
بالإلهام تعاليم للناس ، والأفكار التي لا تعتمد على الإدراك الحسى أو التجربة
أو الخبر الصادق أو الاستنتاج العقلى المؤيد بالبرهان أو الوحي الربانى المؤيد
بالمعجزات المقرونة بالتحدى ، أفكار مرفوضة بل هى أوهام ، ولا بد أن تقع فيها
أخطاء كثيرة فاحشة فى التصور العقدى أو التشريع الدينى ، وانحرافات جذرية فى
كل المفاهيم ، إذ ليس لها أساس منطقى على يمكن الوثوق به .

ويلاحظ أن تعليماته التي أدخلها فى المسيحية مقتبسة من الفلسفات التي
كان قد درسها قبل إعلانه تنصره ، ومن مفاهيم يهودية ومن وثنيات كانت شائعة
معروفة ، وأنه أدخل مزيجا من ذلك فى النصرانية وألبس لباس الدين الربانى الموحى
به ، وهذا المزيج هو الذى عرف فيما بعد بالنصرانية البولسية .

يقول الدكتور أحمد شلبى : " يرى كثير من الباحثين أن عداوة بولس للمسيحية
هى التي دفعته ليتظاهرها بالدخول فيها ، وليستمر فى حربها بسلاح جديده
سلاح التهديم من الداخل بإفساد معالمها وطمس مظاهرها ومسخها فهو قد

دخلها في الظاهر ليأخذ من اعتناقه الظاهري لها سلاحاً يطعن بها به ، ومثل
(١)
ذلك كثير في تاريخ الأديان .

وقد ذكر بعض علماء النصارى المنابع التي استقى بولس منها مذهبهم
ونصرانيته الجديدة .

يقول ول ديورانت : " من حقاً أن نعتقد أن بعض المبادئ الدينية
(٢)
والأخلاقية الرواقية اليونانية انتقلت من البيئة المدرسية في طرطوس إلى
مسيحية بولس ، وكانت طرطوس كما كان في معظم المدن اليونانية أتباعاً للأرقية
وغيرها من العقائد الخفية ، يعتقدون أن الله الذي يعبدونه قد مات من
أجلهم ، ثم قام من قبره ، وأنه إذا دعى بإيمان حق ، وصحب الدعاء الطقوس
الصحيحة استجاب لهم وأنجاهم من الجحيم ، وأشركهم معه في موهبة الحياة
الخالدة المباركة ، وهذه الأديان الغامضة الخفية هي التي أعدت اليونان
(٣)
لاستقبال بولس ، وأعدت بولس لدعوة اليونان .

فمن غير المستبعد أن يكون بولس قد أخذ فكرة الفداء والتضحية ، وتكفير
خطايا البشر من تلك الوثنية .

يقول ول ديورانت في مكان آخر :

" لقد أنشأ بولس لاهوتاً لا نجد له إلا أسانيد غامضة أشد الغموض في أقوال المسيح
وكانت العوامل التي أوجت إليه بالأمس التي أقام عليها ذلك اللاهوت هي انقباض
نفسه وندمه ، والصورة التي استمال إليها المسيح في خياله ، ولعله قد تأثر

(١) مقارنة الأديان : المسيحية ص ٨٦ .

(٢) الرواقية مدرسة فلسفية أسسها زيتون (٢٠٠ ق م) انظر الموسوعة العربية
الميسرة ، وقصة الفلسفة اليونانية أحمد أمين وزكي نجيب محمود

ص ٢٠٠ .

(٣) قصة الحضارة : ٢٥٠ / ١١ .

ينبذ الأفلاطونية والرواقية للمادة والجسم واعتبارها شراً وخبثاً ولعله تذكر السنة
(١)
اليهودية والوثنية سنة التضحية القداثية للتكفير عن خطايا الناس .

"ومن الراجح جداً أنه تأثر بالشرائية إذ هو يستعمل عبارات عجيبة الشبه
بالعبارات المشرائية ، ويتضح لكل من يقرأ "رسائله" المتنوعة جنباً إلى جنب مع
الأناجيل أن ذهنه كان مشبعاً بفكرة لا تبدو قط بارزة قوية ، فيمانقل عن يسوع من
أقوال وتعليم .

ولامراً في أن بولس تعلم على أساتذة من اليهود بيد أنه كان متبحراً فليس
(٢)
لاهوتيات الإسكندرية الهلينية ، وكانت لغته الإغريقية .

لقد كانت مصر وآسيا الصغرى ، وبلاد يونان تؤمن بالآلهة من زمن بعيد
تؤمن بـ "أوزيريس ، وأتيس ، وديونيش" التي ماتت لتفتدى يموتها بنى الإنسان
وكانت ألقاب مثل سوتر "المنقذ" واليوتريوس "المنجى" تطلق على هذه الآلهة ،
وكان لفظ كريوس "الرب" الذى سمي به بولس المسيح هو اللفظ الذى تطلقه الطقوس
اليونانية - السورية على ديونيش الميت المفتدى ، ولم يكن فى وسع غير اليهود من
أهل أنطاكية وسواها من المدن اليونانية الذين لم يعرفوا عيسى بجسمه ، أن يؤمنوا
به إلا كما آمنوا بألهتهم المنقذين ، ولهذا ناداهم بولس يقوله : "هوذا سر
أقوله لكم" وأضاف بولس إلى هذا اللاهوت الشعبى المؤسسى بعض الأراء الصوفية
الغامضة ، كانت قد ذاعت بين الناس بعد انتشار سفر الحكمة ، وفلسفة فليسوف .
من ذلك قول بولس : إن المسيح هو "الحكمة الله" و"ابن الله الأول" بكر
كل خليفة فإنه فيه خلق الكل ، الكل به وله قد خلق ، الذى هو قبل كل شئ
وفيه يقوم الكل ، وليس هو المسيح المنتظر "الميسا" اليهودى الذى سينجس

(١) المصدر السابق ٢٦٣/١١ - ٢٦٤ .

(٢) معالم تاريخ الإنسانية هـ . ج طز ٣٠ / ٧٠٥ - ٧٠٦ .

(١)

إسرائيل من الأسر ، بل كلمة الله الذى سينجى الناس كلهم بموته ” .

ويقول ولز : ” أوتى بولس قوة عقلية عظيمة ، كما كان شديد الاهتمام بحركات زمانه الدينية ، فكان على علم واسع باليهودية وديانة مشرا وديانة الاسكندرانية فنقل إلى المسيحية كثيرا من معتقداتهم ومصطلحاتهم ، ولم يهتم بتوسيع فكرة عيسى الأصلية وتنميتها وهى فكرة ” ملكوت السموات ” ولكنه علم الناس أن عيسى لم يكن المسيح الموعود وحسب ، بل إنه ابن الله ، نزل إلى الأرض ليقدم نفسه قربانا ، ويصائب تكفيرا عن خطيئة البشر ، فموته كان تضحية مثل مات الضحايا القديمة من الألهة فى أيام الحضارات البدائية من أجل خلاص البشر ويقول بولس إلياس اليسوعى : ” لا نكبر أن شهادة القديس بولس أو كرازته تتسم بسحته الخاصة ، لأنها تحمل جزءا من حياته من حياة إنسان تثقف ثقافة عبرية وهلينية عالمية ، فتغذى طويلا من سحر النبوات والمزامير وتشبع من منطق أرسطو ونظريات أفلاطون ، ثم اهتدى إلى معرفة يسوع المسيح بظهور روحى خاص مباشر من قبله (٢) فوقف على خدمة نفسه “.

ويقول ولز : ” كان بولس صاحب نظرية دينية وسعلما يعلم الناس قبل أن يسمع يسوع الناصرى بزمان طويل ، وهو فى رواية العهد الجديد بيدوبادئ ذى بدء فى إهاب الناقد المرير ، والخصم العنيد والمضطهد الناشط للناصرين ” النصارى ” جميعا ولم يوفق كاتب هذه السطور إلى العثور على بحث فى آراء بولس الدينية قبل أن يصبح من أتباع يسوع ، ولا بد أنها كانت أساسا لأرائه الجديدة ، وإن لم تزود عن قاعدة انطلاق لها ، كما أن أسلوب تعبيرها وطريقتها أسبغت بالتحقيق

(١) قصة الحضارة : ٢٦٤ / ١١ - ٢٦٥ .

(٢) انظر المسيحية أحمد شلبي ص ٧٥ نقلا عن مصدر أجنبى .

(٣) يسوع المسيح شخصه تعالىمه ص ١٨١ .

على مبادئه لونا خاصا ، وإنا نكاد نتخبط في نفس الظلمات حول تعاليم غملا ئيل

(١)

الذي يقولون إنه معلم اليهود الذي كان بولس يجلس عند قدميه .

بهذه النقول المتعددة والمتنوعة من علماء النصارى نعرف أن ثقافة بولس

كانت ثقافة يونانية رومانية وأرفية وغيرها من الفلسفات الوثنية التي كانت موجودة

في تلك الفترة ، ولما تنصر وصارت له سلطة كبيرة في النصرانية نقض ماشاء أن ينقضه

من الدين ، وشرع للناس ما رأى أن يشرع لهم ، معالماً يأتي به عيسى عليه السلام ، وأخذ

ينشر ويشيع في المسيحية أفكاراً جديدة ، يستمدّها من تلك الفلسفات وتلك العقائد

الوثنية ، لذلك نرى لوقا يقول : بعد دخول بولس المسيحية : " وللوقت جعل

(٢)

يكرز في المجامع بالمسيح أن هذا ابن الله .

فهو دعوة الوثنية ، ولذا قوبلت دعوته بالترحيب من الوثنيين الرومانيين

والحكومة الرومانية ، وانتشرت أفكاره وآراؤه في الغرب بين الوثنيين واليونانيين .

وأخذ بولس يتلاعب بأصول الدين بتحريف وتغيير مفاهيمها ، ويضع رسائله

ويرسلها إلى أقطار البلاد ليثبتها تلاميذه في الناس يعلمون الناس ما هو مكتوب فيها .

والحق أن بولس كان يعيش بعقل روماني وفلسفة يونانية ، لذلك ابتدع فسي

شأن عيسى عليه السلام اللاهوت والناسوت ، وكانت النصارى قبله كمتهم واحدة

وهي أن عيسى عليه السلام عبد ورسول مخلوق مصنوع ، وأن الله هو ربه وخالقه

ولا يختلف اثنان منهم في ذلك ، فأتى بولس بهذه الفكرة الجديدة على المسيحية

وصار أول من أفسد دين المسيحية وكان مكاراً ، فأراد أن يجمع اليهود الذين

آمنوا بالمسيح والرومان الوثنيين على دين واحد ، وأيضا اليونانيين أصحاب الفلسفة

فأخذ من كل نحلة من نحل هؤلاء فكون فكرة جعلها فيما بعد ديناً سماوياً - لكس

(١) معالم تاريخ الإنسانية ٣/ ٢٠٥ - ٢٠٦ .

(٢) سفر أعمال الرسل ٩/ ٢٠ .

يرضى هؤلاء جميعا ، ويتفقوا على دين وثنى غير مقبول عند الله تبارك تعالى
وهذا كل ما يهدف اليه بولس اليهودى .

وقد كان يقول عن نفسه : " فإنى إنا كنت حرا من الجميع استعبدت نفسى
للجميع لأريج الأكرين ، فصرت لليهود كيهودى ، لأريج اليهود ، وللذين تحت
الناموس كأنى تحت الناموس ، لأريج الذين تحت الناموس ، وللذين بلاناموس
كأنى بلانا موسى مع أنى لست بلانا موسى لله ، بل تحت ناموس المسيح ، لأريج
الذين بلاناموس ، صرت للضعفاء كضعيف لأريج الضعفاء ، صرت لكل كل شئ^(١)
لأخلص على كل حال قوما ، وهذا أنا أفعله لأجل الإنجيل لأكون شريكا فيه " .
فبهذا جمعهم على دين جديد يقبل به الجميع ويجد فيه ميله وأهـواه
إن قد أدخل فى تعاليم دينه أخلاطا بعا عند الجميع ، وهذا اعتراف منه ، وليس
تقولا عليه كما سبق ، فإذا ألاجوز أن يتظاهر بولس بالمسيحية كما تظاهر بغيرها
فالأمر ممكن الوقوع ، لقد تظاهر بأنه يهودى ليكسب اليهود ، وأنه بلا دين ليكسب
الذين بلا دين وهلم جرا .

أما الدين الصحيح فلا يقبل بمثل هذه المجاملات على حسابه ، وخاصة أن
هذا الرجل يدعى أنه رسول من رسل عيسى عليه السلام ، فكان عليه
أن يتقيد بتعاليم الدين الصحيح الذى جاء به ، لا أن يساير الباطل والكفر
طمعا فى الإيمان ، لأن الخاية الشريفة إنما يفضى إليها بالوسائل الشريفة
فالإيمان لا يتوصل اليه بالكفر ، ولكن بولس تجاوز كل هذه الأمور بحرية تامة
ومعقل ماكر ، فتغلب على العرف والعادة والسنن الكونية ، فكون المسيحية ضد
الدين الذى جاء به عيسى عليه السلام ، وأجبر المسيحيين على التسك بها
وأخذها .

جاء في رسالة أهل رومة مايلي :

" وللقادر أن يشيك حسب إنجيلي والكرازة بيسوع المسيح حسب إعلان الشر الذي كان مكنها في الأزمنة الأثرية ، ولكن ظهر الآن وأعلم به جميع الأمم بالكتب النبوية (١) حسب أمر إله الأثرى لإطاعة الإيمان " .

ولقد استطاع بولس أن يحرف في جوهر الديانة المسيحية دون أن يستخضع أحد معارضته من آراءه الباطلة ، لأنه أتى عن طريق لا يتصور أحد أنه يجوز الكذب فيه حيث زعم أنه يتلقى التعاليم من المسيح تلقيا إلهاميا روحيا ، وصدقه في ذلك فأدخل في المسيحية ما أدخل ، وحرف فيها ما حرف وكاد لدين الله أيما كيد . (٢)

يقول عن نفسه في رسالته إلى أهل غلاطية :

" بولس رسول لا من الناس ولا بإنسان بل يسوع المسيح والله الأب الذي أقامه من الأموات " . (٣)

ولم يكنف بولس بالقاء الخطب والمحاضرات والمواعظ في الناس بل كان يكتب رسائل ويرسلها إلى أصدقائه ، وينسب إليه أربع عشرة رسالة ، ويفضل هذه الرسائل أصبح لبولس في تاريخ المسيحية وعقائدها وشرائعها شأن كبير حتى إن المسيحية الحاضرة لتنسب إليه أكثر مما تنسب إلى غيره ، وتستمد معظم أصولها وتعاليمها من رسائله ، وحتى إن كلمة " الرسول " إذا أطلقت لا يراد بها في اصطلاحهم إلا بولس ، كما يطلقون عليه كذلك لقب " الرسول الكبير " . (٤)

وطى هذا فإن المسيحية تعتمد عليه وطى رسائله أكثر من اعتمادها على غيرهما ونفوذها وتأثيره على اللاهوت المسيحي أعظم وأبقى أثرا من أي كاتب أو مفكر مسيحي آخر .

(١) الإصحاح : ٢٥ / ١٦ .

(٢) /زمكايد يهودية عبر التاريخ ص ٣٦ .

(٣) الإصحاح الأول ١ .

(٤) انظر الأسفار المقدسة على عهد الواحد وافي ص ١٠٢ .

يقول الشيخ محمد أبوزهرة :

ونسارع فنقول مقالة النصارى عبد الأحد * :

"إن بولس يبجل ويعظم رجلا اسمه عيسى أميت ومات ، وحى فقط ، وأن خمس عشرة رسالة من كتب العهد الجديد تحمل اسم الرسول المشار إليه ، فلامحل للحيرة ، إذا قلت إن المؤسس الحقيقي للمسيحية الحاضرة هو بولس ، فإن شاول الشاب الطرسوسى من سبط بنيامين ، ومن مذهب الفريسيين وتلميذ أحد علماء الدهر عضو مجلس صانهدرين المدعو غملا لاثيل . . . الذى كان يجتهد فى محو اسم عيسى وأتباعه من الأرض ، والذى رأى أخيرا عدوه النصارى فى السماء لا معا داخل الأنوار وقت الظهور أمام دمشق اهتدى وسمى باسم بولس وهو الذى وضع أساس العيسوية " .
(١)

ولكن هل هذه الرسائل كلها ماثوقة عند النصارى ؟ وقد ظهر للمحدثين من علماء النصارى المشتغلين فى الوقت الحاضر فى شؤون ديانتهم وأسفارها أن من هذه الرسائل ثلاث رسائل ماثوقة بصحتها وصحة نسبتها إلى بولس ، وهى : رسالته إلى الرومان ، ورسالته إلى أهل كورنثوس ، وأربع رسائل مقطوعة بعدم صحة نسبتها إليه ، وهى : رسالته إلى أهل أفسس ، ورسالته إلى تيموثاوس ، ورسالته إلى تيطس ، وأن مابقى من هذه الرسائل مشكوك فى صحة نسبتها إليه .

إن الكنيسة لم تكن تعتمد على هذه الرسائل جميعا إلا فى سنة ٣٦٤ ، أما قبل ذلك فكان بعض هذه الرسائل موضع الشك فى نسبتها إلى بولس عند كثيرين من المسيحيين ، حتى إن مجمع نيقية المنعقد سنة ٣٢٥ ، وهو من أكبر مجامعهم (٢) " المسكونية " لم يعترف برسالة بولس إلى العبرانيين ، واعتبرها مزيفة مدسوسة عليه .

(١) محاضرات فى النصرانية ص ٨٨ - ٨٩ .

(٢) نوال الأسفار المقدسة : ١٠٢ .

ورسائل بطرس هي التي تتعرض في صورة مفصلة لكثير من عقائد الديانة المسيحية
وشرائعها وعباداتها ، وتوجه قسما كبيرا من عنايتها إلى توضيح العقيدة وتقدير
الوهية المسيح ونوته لله تعالى ، وبعد التلخيص .

وقد كان بطرس ينسب هذه الرسائل والأراء تارة إلى عيسى وتارة إلى نفسه
ويعترف بأنها منه ، كما هو مذكور في رسالته كورنثوس الأولى في قوله :
" وأما المتزوجون فأوصيهم لا أنا بل الرب أن لا يفارق المرأة زوجها ، وإن فارقته
فلتبت غير متزوجة ، أو لتصلح زوجها ، ولا يترك الرجل امرأته ، وأما الباقون
فأقول لهم أنا لا الرب إن كان أخ له امرأة غير مؤمنة وهي ترضى أن تسكن معه
(١)
فلا يتركها " .

والخلاصة أن المصادر المسيحية الموجودة الآن هي أو أكثريتها الساحقة من
عمل بطرس أو من عمل مريدية وماسوي ذلك فقليل .

(٢)

« ويبدو أن يدالعبت بذلك القليل فتركته لا يؤيد ولا يعارض »

ويكفي ماسبق لنا من شهادات مؤرخي الغرب ومفكريه ومارأينا في أسفارهم
المقدسة " عندهم " لندرك مدى التحريف والتشويه الذين أدخله بطرس على العقيدة
الصحيحة ، التي جاء بها المسيح رسول الله عليه السلام ، حتى صارت عقيدة
التثليث بعد أن كانت عقيدة التوحيد .

وهذا يكون بطرس قد أدى رسالته في إفساد دين الله الذي جاء به عيسى عليه
السلام .

(١) الإصحاح ١٠/٧ - ١٢ .

(٢) المسيحية أحمد شلبي ص ٨٦ .

٣ - الإمبراطور الرومانى (قسطنطين)

وأخذه بفكرة بولس بعد إعلانه الدخول فى النصرانية

ولد قسطنطين بن قسطنس أو قسطنطيوس فى حوالى عام ٢٨٠م فى مدينة تيسوس فيما يدعى اليوم بيوغسلافيا ، وكان والده ضابطا كبيرا فى الجيش الرومانى (١) ثم صار بعد ذلك قيصرا على بولونى ، وكان وثنيا كسائر قواد الرومان .

أما أمه هيلانة فقد كانت نصرانية صنت نصرانى ، فعشقها أبوه وتزوجها ، فولدت له قسطنطين ، ولم يعرف عنه الشئ الكثير فى حياته قبل وفاة أبيه لكنه ظهر لما توفى أبوه وورث هو ملك أبيه ، فتاريخه الحقيقى يبتدئ من توليه البلاد قيصرا ، لكن شيخ الاسلام ابن تيمية يقول :

ولدت هيلانة قسطنطين فتربى ب " الره " وتعلم حكم اليونانيين ، وكان غلاما حسن الوجه ، قليل الشر ، وديما محبا للحكمة ، وكان غلاما هادئا كثير العلم والخير . (٢)

إلا أننى لم أجد عند مؤرخى النصرى ما يفيد ذلك .

يقول هـ . ج ولزا : " ولنا نعرف إلا أقل القليل عن شخصيته أو حياته الخاصة (٣) ، إن لم تهين لنا المقادير فى زمانه مؤرخا مثل بولوتارك أو سويتونيوس . دخوله فى النصرانية :

اختلف المؤرخون وطما الأديان فى تاريخ دخول قسطنطين النصرانية واتسعت رقعة اختلافهم اتساعا يصعب منه الوفاق بينهم أو ترجيح بعض الأراء على بعض .

(١) انظر قصة الحضارة ١١ / ٣٨٢ .

(٢) انظر الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ٣ / ١٢ - ١٩ .

(٣) معالم تاريخ الإنسانية ٣ / ٧١٧ .

يقول ابن حزم الظاهري :

رد قسطنطين ملك الرومان كان سبب تنصره أن أمه هيلانة كانت بنت نصراني فعشقها أبوه وتزوجها ، فولدت له قسطنطين فربته على النصرانية سرا ، فلما مات أبوه ووطى هو أظهر النصرانية بعد أعوام كثيرة من ولايته^(١)

وهذا الرأي يدل على أن قسطنطين ولد على النصرانية أو على الأقل ترس

عليها .

ويقول ول ديوانت : "لقد اعتنقت أمه هيلانة الدين المسيحي حين طلقها قسطنطينوس" والد قسطنطين " ، ولعلها أفضت على ولدها بفضائل المسيحية ولكنه لا يرى أنه تنصر حقيقة ، كما هو واضح من كلامه فيما بعد^(٢) .

ويرى بعضهم أنه لم يولد مسيحيا ، ولكنه تنصر مبكرا قبل مجمع نيقية بأعوام

كثيرة .

يقول ابن القيم الجوزية : " فلما سمع أهل رومية بقسطنطين ، وأنه مفيض للشر محب للخير ، وأن أهل مملكته معه في هدو وسلام ، كتب رؤساؤهم إليه يسألونه أن يخلصهم من عبودية ملكهم ، فلما قرأ كتبهم اغتم غما شديدا ، ومضى متحسيرا لا يدري كيف يصنع ، قال سعيد بن البطريق : فظهر له على ما يزعم النصارى نصف النهار في السماء " صليب " من كوكب مكتوب حوله " بهذا تغلب " فقال لأصحابه رأيتم ما رأيتم ؟ قالوا نعم ، فأمن حينئذ بالنصرانية ، وقال ابن تيمية : فأمن ذلك الوقت بالنصرانية ، وذلك لست سنين من بعد موت أبيه^(٣) .

(١) الفصل في الملل والأهواء والنحل ٥/٥ .

(٢) قصة الحضارة ١١/٣٨٧ .

(٣) هداية محياري ص ١٧٢ ، الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ٢/٩٩ .

وهذا الكلام كان قبل مجمع نيقية ب " خمس عشرة سنة " من رياسته .

ويرى المؤرخ الإنجليزي ه . ج . ، ولز والدكتور ميكل هارت الأمريكى أن

قسطنطين تنصر قبل مجمع نيقية بأعوام كثيرة إلا أنه اختار أن يعمد وهو على

فراش الموت ، وأنه قد تنصر قبل ذلك بكثير .

ويقول ول ديورانت : " وقيل أن يمضى عام واحد على اعتناق قسطنطين

المسيحية حدث فيها انشقاق شديد الخطورة كاد يقضى عليها فى ساعة

النصر . ذلك أن دوناتس أسقف قرطاجنة يؤيده قس اسمه كاسه ومزاجه كمزاجه

أصر على أن الأساقفة الذين أسلموا الكتاب المقدس لرجال الشرطة الوثنيين قد

فقدوا بعلمهم هذا أهليتهم لمنصبهم وسلطتهم ، وأن شعائر التعميد ورسامة

القساوسة التى تجرى على أيد هؤلاء الأساقفة باطلة ، وأن صحة العشماء

الروانى يقف بعضها على الحالة الروحية للقائم بخدمته " .

ثم ذكر رفض الكنيسة بهذا رأى والخلاف الذى حدث لسبب ذلك بين الأساقفة

فسمع ذلك قسطنطين ، ثم دعا^٥ إلى مجمع يعقد فى أرييس ، وكان ذلك فى عام

٣١٤ م ، وهذا يؤكد أن قسطنطين كان مسيحياً قبل مجمع نيقية " .

وهناك فريق من العلماء يرى أنه لم يعتنق النصرانية إلا عند مانام على فراش

الموت ، والذى شهد على ذلك هو المؤرخ النصارى يوسيبوس إن يقول : إن قسطنطين

(١) التعميد إعلان دخول المسيحية .

(٢) انظر : معالم تاريخ الإنسانية ٢ / ٣ ٧١ ، والمائة الأولى ص ٩١ .

(٣) قصة الحضارة ١١ / ٣٩١ .

(٤) انظر محاضرات فى النصرانية ١٥٤ .

عند حين كان أسير الغراش وأن الذي عمده هو ذلك المؤرخ نفسه ، وقد كان
(١)
له صديقا * .

وأنا أرى أنه لا ثمرة في هذا الخلاف من حيث النتيجة ، لأنه سواء أكان مطوذا
في النصرانية أو دخل فيها قبل مجمع نيقية أو بعده ، فإنه لم يعتنق المسيحية
الصحيحة التي بشر بها المسيح عليه السلام ، وإنما اعتنق نصرانية بطرس ، والتي
تقريباً طوهية المسيح ، لذلك لا أتمتع نفسي في ترجيح قول على قول .
إن أن هناك فريق من علماء النصارى يرى أن قسطنطين لم ينتصر حقيقة
وإنما هذا من غفلة المسيحيين حين اعتبروه رجلاً مؤمناً بالمسيحية .

يقول ول ديورانت :

« ترى هل كان قسطنطين حين اعتنق المسيحية مخلصاً في عمله هذا ؟ وهل
أقدم عليه عن عقيدة دينية ، أو هل كان ذلك العمل حركة بارعة أملت بها عليه
حكيمته السياسية أكبر الظن أن الرأي الأخير هو الصواب وما من شك
في أنه تأثر بماناله من انتصارات في المعارك الحربية التي خاض غمارها استظلالاً
بلواء المسيح وصليبه ، ولكن المشكك وحده هو الذي يحتال هذا الاحتيال على
استخدام مشاعر الإنسانية الدينية لنيل أغراضه الدينية ولما كان يعدد
اعتناقه دينه الجديد يخضع لما تتطلبه العبادات المسيحية من شعائر وطقوس
ولو كان مسيحياً حقاً لكان مسيحياً أولاً وحاكماً سياسياً بعدئذ ، ولكن الآية
(٢)
انعكست في حال قسطنطين فكانت المسيحية عنده وسيلة لا غاية »

(١) انظر محاضرات في النصرانية ١٥٤ .

(٢) قصة الحضارة ١١ / ص ٣٨٧ .

في عهد قسطنطين الإمبراطور الروماني وقع اختلاف شديد في أوساط
النصارى حول ألوهية المسيح وعدم ألوهيته واشتد خلافهم حتى وصل إلى درجة
أنه لم يتمكن أحد من الوفاق بينهم، وعظم قسطنطين بهذا الخلاف وهذا التنازع
بين رعيته ، ورأى أنه ربما يؤدي إلى زعزعة أركان الدولة وتسهيل للغزاة اقحام
البلاد ، وإذا لم توقف هذه الخصومات ، فأراد أن ينهي هذا الخلاف بين
النصارى بحسن نية أو يغيرها ، فأمر أن يعقد مجمع في سنة ٣٢٥ ميلادية
بنيقية ، فعقد مجمع ديني عام يضم ممثلين لجميع الكنائس في العالم المسيحي
للفصل في أمر هذا الخلاف ولتثبيت الرأي الذي يتفق مع الصواب ، ولتقرير
العقيدة الصحيحة التي يعتنقها المسيحيون فيما يتعلق بألوهية المسيح وغيرها
من الأمور العقيدية والتشريعية .

وقد اجتمع في هذا المؤتمر حوالي (٢٠٤٨) ثمانية وأربعون ألفا أسقف
ولم يتفقوا على رأى واحد إلا ثمانية عشر وثمانمائة أسقف ، فإنهم اتفقوا على
رأى واحد وهو " ألوهية المسيح " والعدد الباقي كانوا على آراء مختلفة ، فلم
ينصت إليهم قسطنطين ولم يلتفت إلى أقوالهم ، وإنما أخذ أقوال من يقول بألوهية
المسيح عليه السلام ، وعقد لهم مجلسا خاصا وأعطاهم ثقته الكاملة ، وجلس في
وسطهم وأخذ خاتمه وسيفه وقضيبه ، فدفعه إليهم ، وقال : قد سلطتكم
اليوم على ملكتي لتصنعوا ما ينبغي لكم أن تصنعوا معافيه قوام الدين وصلاح
المؤمنين ، فباركوا الملك وقلدوه سيفه ، وقالوا له : أظهر دين النصرانية
وزب عنه ، ووضعوا له أربعين كتابا فيها السنن والشرائع ، منها ما يصلح للملك
أن يعلمه ويعمل به ، ومنها ما يصلح للأساقفة أن يعطوا به . (١)

(١) محاضرات في النصرانية : ص ١٥٠ .

وقد انتهت قرارات مؤتمر نيقية إلى إثبات ألوهية المسيح ، وتكفير كل من يخالف ذلك ، مثل أريوس ومن هذا حذوه وكل من يذهب إلى أن المسيح إنسان مخلوق ، وقرر أيضا إحراق جميع الكتب التي لا تقر ألوهية المسيح وتحريم قراءتها ، واعتمدت هذه القرارات على مرسوم إمبراطوري أمر بتنفيذ تلك المقررات والغريب الذي يعجز العقل عن إقراره هو كيف قبل النصارى أن يقرر لهم هذا الملك دينهم وعقيدتهم ، ويقوم بترجيح الآراء بعضها على بعض مع أنه ليس قسيسا ولا عالما من العلماء ، بل هو حديث عهد بالمسيحية ؟

وهذا قام قسطنطين بدمور كبير في إرساء قواعد نصرانية بولس ، وأجبر بقية النصارى الذين كانوا ينكرون مذهبه على هذه الديانة ، وذلك خسر المسيحيون دنيا جليلا ، لأن دينهم الجديد صار ديننا وثنا مسخ دين المسيح ومسح أهله ، وكان أكثر مسخاله وتحريفه هو هذا الملك قسطنطين .

يقول هـ - ج . ولز المؤرخ الإنجليزى :

ومن الضروري أن نستطفت نظر القارئ إلى الفروق العميقة بين مسيحية نيقية هذه التامة التطور وبين تعاليم يسوع الناصرى ، فإن المسيحيين جميعا يعتقدون أن الأول تنطوى على الثانية وتحتويها احتواء تاما ، على أن هذه مسألة تخرج عن مجالنا ، فمن الواضح تماما أن تعاليم يسوع الناصرى تعاليم نبوية من الطراز الجديد الذى ابتدأ بظهور الأنبياء العبرانيين بيد أن مسيحية القرن الرابع الكاملة التكوين ، وإن احتفظت بتعاليم يسوع فى الأناجيل كنواة لها ، كانت فى صلبها "ديانة كهنوتية" من طراز مألوف للناس من قبل منذ آلاف من السنين .

ويقول فى مكان آخر :

"وشمة أمر هام جدا علينا أن نلاحظه ونسجله ، وهو الدور الذى لعبه الإمبراطور فى تثبيت المسيحية ، فلم يقتصر الأمر على أن قسطنطين الكبير هو

الذى دعا لاجتماع مجمع نيقية ، بل ، إن كل المجامع العظيمة ، ومنها اثنا
بالقسطنطينية (٣٨١ ، ٥٥٣) وواحد بافيسوس (٥٣١ هـ) وخلقسدون
(٤٥١) جمعتها كلها يد الإمبراطور ، الجلى الذى لا خفاء فيه أن قدرا
(١)
كبيرا من تاريخ المسيحية فى ذلك العصر يشف عن روح يسوع إن لم يزد .

يقول دوابرا الإريكى فى كتابه الدين والعلم :

" دخلت الوثنية والشرك فى النصرانية بتأثيرات المنافقين الذين تقلدوا
وظائف خطيرة ومناصب عالية فى الدولة الرومانية بتظاهروهم بالنصرانية ، ولم
يكونوا يحشفون بأمر الدين ، ولم يخلصوا له يوما من الأيام ، وكذلك كان
قسطنطين ، فقد قضى عمره فى الظلم والفجور ، ولم يتقيد بأوامر الكنيسة الدينية
والأقليا فى آخر عمره سنة ٣٣٧ .

إن جماعة النصرانية ، وإن كانت قد بلغت من القوة بحيث ولت قسطنطين
الملك ، لكنها لم تتمكن من أن تقطع دابر الوثنية وتقطع جرثومتها ، وكان نتيجة
اختلطت
كفاحها أن يهادئها ، ونشأ من ذلك دين جديد تتجلى فيه النصرانية والوثنية
(٢)
سواء يسوا .^(٢)

وهذا نستطيع أن نجزم ونقطع ونقول أن قسطنطين قد أثبت نصرانية
بولس الوثنية ونصر مذهبها وجعلها هى دين النصرانية الحقة وأقرب ذلك عطاء
العرب ومفكره كما سبق ذلك .

(١) معالم تاريخ الإنسانية ٢٢٠ / ٣ - ٢٢١ .

(٢) نقلا عن كتاب ماذا خسر العالم بإنحطاط المسلمين لأبى الحسن الندوى

"الباب الثالث"

- محاولات اليهود إفساد عقائد المسلمين .
- الفصل الأول : محاولاتهم في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم .
- الفصل الثاني : محاولاتهم فيما بعد عصر الرسول صلى الله عليه وسلم .

الفصل الأول :

محاولاتهم في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم .

١ - حالة سكان المدينة أثناء هجرة رسول الله

صلى الله عليه وسلم .

٢ - أمثلة من محاولاتهم .

الباب الثالث

الفصل الأول : محاوراتهم في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم .

١ - حالة سكان المدينة المنورة أثناء هجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم

عليه وسلم إليها :

كان سكان المدينة المنورة قبل هجرة النبي صلى الله عليه وسلم إليها

ينقسمون إلى ثلاثة أقسام ، وهم :

أ - أهل الكتاب ، وهم من اليهود ، ويتكونون من ثلاث قبائل وهم : بنو

قينقاع ، بنو النضير ، وبنو قريظة .

ب - وثنيون جاهليون ، وهم العرب ، من الأوس والخزرج الذين لم

يسلموا بعد .

ج - مسلمون الذين استجابوا لدعوة الإسلام .

وكان سكان المدينة المنورة يعيشون على النظم القبلية ، لكل قبيلة

زعيمها ورئيسها .

وقد كان هذا النظام يفرض عليهم أن يتناصروا فيما بينهم لمحاربة

الآخرين ، سواء كانوا ظالمين أو مظلومين ، وقد تكون على سبيل التفاخر

بالأنساب دون أن يكون هناك أي سبب يجبرهم على ذلك ، ويحصل من

جراً ذلك التفاخر والتقاتل والإبادة من كلا الجانبين للآخر من غير هدف

منشود .

والذي ينبغي أن يلفت إليه النظر هو أن اليهود لم يكونوا من السكان

الأصليين في المدينة ، وإنما هاجروا إليها من الشام ، ولا يبعد أنهم

قد قصدوا الهجرة إليها لما كانوا يقرءون في كتبهم من البشائر بالنبي

صلى الله عليه وسلم الذي سيظهر الله به دينه ، ويفتح له ممالك الأرض

لأنهم لما وجدوا من صفاته وصفات دار الهجرة في كتبهم غلب على ظنهم

(١)

أنها المدينة أو ماحولها ، فتعمدوا أن يجعلوا فيها لأنفسهم مركز إقامة .

وسياتى ما يؤيد هذا رواية عن محمد بن سيرين ، بيانا لقول الله

عز وجل : " فلما جاءهم ماعرفوا كفروا به " الآية ٨٩ البقرة .

وكان اليهود يمارسون سياستهم المتوارثة فيهم فى المدينة المنورة بعد

استقرارهم فيها ، ليكون لهم الفوز والمغنم ، وهى سياسة الدس والوقعة

بين الأوس والخزرج حتى أغروا صدورهم بالعداوة والبغضاء ، وأصبح كل

فريق على استعداد وتحفز للمقاتل والحرب ، وذلك أمن اليهود من

عداوتهم ، وأخذوا يزيدون فى تجارتهم ، وفى ثرواتهم ، لكى يستعيدوا

ما كان لهم من مال ودار وعقار .

ومن هؤلاء اليهود من كان يقيم داخل المدينة وهم بنو قينقاع ومنهم

من كان يقيم فى ضواحي المدينة وهم بنو النضير ومنو قريظة .

وقد قسم اليهود أنفسهم بادئ ذى بدئ إلى مجموعات تعساون

العناصر العربية المتناصرة والمتحاربة والمتنافرة ، وكان ذلك حين تحالفت

طائفة من يهود بنى قينقاع مع الخزرج ، وتحالفت بنو النضير ومنو قريظة

مع الأوس ، حتى تطور الصراع بين الجانبين ، وكان اليهود فى بعض

الأحيان يقاتل بعضهم بعضا ، نظرا إلى إنحياز قسم منهم لبعض العرب

وإنحاز القسم الآخر لخصومهم من العرب يستلزم مناصرة كل حليف لحليفه

والهدف الحقيقى لليهود هو إضعاف العرب جميعا ، وتزيقهم وتظليل

أعداءهم .

(١) انظر مكائد يهودية ، غير التاريخ للأستاذ عبد الرحمن حبنسك

الميدانى ص ٣٨ .

لقد تحدث القرآن الكريم عن هذه الحوادث في قوله تعالى :
(وإن أخذنا ميثاقكم لا تشفون دماءكم ولا تخرجون أنفسكم من دياركم
ثم أقررت وأنتم تشهدون ، ثم أنتم هؤلاء تقتلون أنفسكم وتخرجون فريقا
منكم من ديارهم تظاهرون عليهم بالإثم والعدوان ، وإن يأتوك أسارى
تفادوهم وهو محرم عليكم إخراجهم ، أقتلون بنيون ببيع الكتاب وتكفرون ببعض
فما جزاء من يفعل ذلك منكم إلا خزي في الحياة الدنيا ويوم القيامة يسردون
(١)
إلى أشد العذاب وما الله بغافل عما تعملون) .

روى ابن جرير الطبري رحمه الله بسنده عن ابن عباس رضي الله عنهما
أنه قال : " ثم أنتم هؤلاء تقتلون أنفسكم وتخرجون فريقا منكم من ديارهم
تظاهرون عليهم بالإثم والعدوان " أي إلى أهل الشرك حتى سفكوا دماءهم
معهم ، وتخرجوهم من ديارهم ، فقال : أنبئهم الله من فعلهم ، وقد
حرم عليهم في التوراة سفك دماءهم وافترض عليهم فيها فداء أسراهم
فكانوا فريقين ، طائفة منهم من بنى قينقاع حلفاء الخرج ، وبني النضير
وبني قريظة حلفاء الأوس فكانوا إذا كانت بين الأوس والخرج حرب خرجت
بنو قينقاع مع الخرج ، وخرجت النضير وقريظة مع الأوس يظاهرون كل من
الفريقين حلفاء على إخوانه ، حتى تسافكوا دماءهم بينهم ، وأيديهم
التوراة يعرفون منها ما عليهم ومالههم ، والأوس والخرج أهل الشرك يعبدون
الأوثان لا يعرفون جنة ولا نارا ، ولا بعثا ولا قيامة ، ولا كتابا ولا حراما
ولا حلالا ، فإذا وضعت الحرب أوزارها اقتدوا أسراهم تصديقا لما في
التوراة وأخذوا به بعضهم من بعض ، يفتدي (بنو قينقاع) ما كان في أيدي

الخزج منهم ، ويطلبون ما أصابهم من الدماء وقتلوا من قتلوا منهم

(١)

فيما بينهم ، مظاهره لأهل الشرك عليهم .

وكان اليهود يتحدثون قبل بعث النبي صلى الله عليه وسلم عن نبي يبعث في الجزيرة العربية ، وردت صفاته في كتبهم وتنبؤاتهم ، وكانوا يهددون الأوس والخزج ويحذرونهم ببعثه ، وأنه إذا بعث يؤمنون به ، ويقاطون أهل الشرك معه ويقتلونهم قتل عاد وإرم . قال ابن اسحاق : وحدثني عاصم بن عمر بن قتادة عن رجال من قومه قالوا : إن مادعانا ، إلى الإسلام ، مع رحمة الله تعالى وهداه لما كنا نسمع من رجال يهود ، كنا أهل شرك وأصحاب أوثان ، وكانوا أهل كتاب ، عندهم علم ليس لنا وكانت لا تزال بيننا وبينهم شرور ، فإذا قلنا منهم بعض ما يكرهون ، قالوا لنا : إنه تقارب زمان نبي يبعث الآن نقتلكم معه قتل عاد وإرم ، فكنا كثيرا مانسبع منهم ذلك .

وكانت العلاقة بين الأوس والخزج سيئة للغاية ، واليهود كان لهم باع كبير في اشغال الحرب بين هذين الحيين العربيين ، لأنهم كانوا يرون أن مصلحتهم تقتضي ذلك ، فالعرب إذا صارت كلمتهم متفقة ربما يلتفتون إلى ما يكيد لهم اليهود ، فتكون يدهم عليهم . لذلك كانوا حريصين دائما على القضاء على وحدة العرب . فجاء رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم ، والمدينة حالها هذه ، فأراد أن يهدئ وضعها الأمي ، فأزال أولا ما كان بين الأوس والخزج من العداة ، ثم آخى بينهم وبين المهاجرين ، فصار الأنصار والمهاجرون قوة فعالة وجيشا

(١) جامع البيان في تأويل آي القرآن ٣٩٢/١ .

مرهباً في قلب المدينة المنورة ، وأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم
ينظم حياة المدينة سياسياً واجتماعياً واقتصادياً .

فلما رأى اليهود هذه القوة الهائلة حولهم ، بادروا إلى حسن
استقبال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ظناً منهم أن في مقدورهم
استمالته إليهم ، وادخاله في حلفهم والاستعانة به على تحقيق
أطماعهم ، ليسودوا الجزيرة العربية ، ويسخروا رسول الله صلى الله
عليه وسلم ودعوتيه لمصلحتهم .

وقابلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بمساحة وكرم ، لحسن طباعه
وربّ تحيتهم بمثلها آتلاً توثيق صلاته بهم ، وكتب الوثيقة الدستورية
المشهوره التي تضمنت فيما تضمنته مآلليهود وماعليهم في دولة الاسلاميه
في المدينة .

وكان لليهود قوة مافي شمال الحجاز ، قد تعادل نفوذ قريش
في جنوة وكان هذا النفوذ يعتمد على السياسة الاقتصادية .
فلقد كان بنو قينقاع وبنو النضير وبنو قريظة يملكون زمام التجارة والزراعة
في المدينة وماحولها .

ولما وادعهم رسول الله صلى الله عليه وسلم في الوثيقة التي أشرت
إليها أقرهم على دينهم وأموالهم ، وشرط لهم ، واشترط عليهم .
وقد ذكر ابن اسحاق نص هذه الوثيقة التي كتبها رسول الله صلى الله
عليه وسلم فمناها مايلي :

” وإن اليهود ينفقون مع المؤمنين ما داموا محاربين ، وإن يهود
عوف أمة من المؤمنين ، لليهود دينهم ، وللمسلمين دينهم ، مواليهم

(١)

وأنفسهم ، إلا من ظلم وأثم ، فإنه لا يوتغ (يهلك) إلا نفسه وأهل بيته .
ثم ذكر أنه كتب لجميع البطون اليهودية مثل هذه الصحيفة ، وختم
الصحيفة بقوله : " وإن على اليهود نفقتهم وعلى المسلمين نفقتهم
وإن بينهم النصر على من حارب (أهل) هذه الصحيفة ، وإن بينهم
النصح والنصيحة ، والبر دون الإثم ، وأنه لا يأثم امرؤ بحليفه ، وإن -
النصر للمظلوم ، وإن اليهود ينفقون مع المؤمنين ماداموا محاربين
(٢)
وإن يثرب حرام جوفها لأهل هذه الصحيفة " .

بهذه الحكمة النبوية وهذه الروح السمة عاش سكان المدينة مدة
من الزمن في جو هادئ وطمأنينة والسكينة .

وبدأ الإسلام ينتشر في عرب المدينة انتشارا سريعا ، ورأى اليهود
أن هذا الحدث العظيم ، ليس لهم مصلحة فيه ، وأن الإسلام أصبح
القوة الوحيدة في المدينة ، وأصبح يقف أمام مطامعهم وصار المسلمون
يفهمون حقيقة اليهود ، ورأى اليهود أيضا أن الإسلام وحده بين
الأوس والخزرج ، وكان اليهود يستغلون النعرات الجاهلية لينفذوا
منها إلى غاياتهم ومطامعهم ، ولكن الآن لا سبيل لهم إلى ذلك ، فماذا
يفعلون إذا لم يستردوا قوتهم التي بدأت تتلاشى أمام وحدة المسلمين
مع أنهم كانوا ينتظرون هذا الرسول وهذا النبي كما قال تعالى :

(ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم وكانوا من قبل يستفتحون
(٣)

على الذين كفروا فلما جاءهم ماعرفوا كفروا به فلعمنة الله على الكافرين) .

(١) و (٢) سيرة ابن هشام ١٠٨/٢ .

(٣) البقرة : ٨٩ .

لكنهم كانوا يظنون أنه من نسل إسرائيل ، وكانوا من قبل مبعثه يستفتحون على خصومهم العرب ، فلما عرفوا أنه من نسل اسماعيل حرقوا صفته في التوراة ، وكذبوه ، وتألّبوا عليه كاتألبوا من قبل على عيسى عليه الصلاة والسلام ، مع أن النبي صلى الله عليه وسلم كان قد فسّح صدره لهم وغفا عنهم مرارا ، إلا أن القوم هم كما وصفهم ابن منهم .

يقول عبد الله بن سلام بعد إسلامه سرّا :

" وكنتم إسلامي من يهود ، ثم جئت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت له : يا رسول الله ، إن يهود قوم بهت ، وإنّي أحب أن تدخلني في بعض بيوتك ، وتفيتني عنهم ، ثم سألتهم عني ، حتى يخبروك كيف أنا فيهم ، قيل أن يعلموا بإسلامي ، فإنهم إن علموا به بهتوني وعابوني قال فأدخلني رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض بيوته ودخلوا عليه فلكموه وسألوه ، ثم قال لهم : أي رجل الحصين بن سلام فيكم ؟ قالوا : سيدنا وابن سيدنا وحبرنا وعالمنا ، قال : فلما فرغوا من قتلهم خرجت عليهم ، فقلت لهم : يا معشر يهود ، اتقوا الله واقبلوا ما جاءكم به فوالله إنكم لتعلمون أنه لرسول الله ، تجدونه مكتوب عندكم في التوراة باسمه وصفته ، فإنّي أشهد أنه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأومن به وأصدقّه وأعرفه ، فقالوا كذبت ، ثم واقموا بي ، قال : فقلت لرسول الله صلى الله عليه وسلم : ألم أخبرك يا رسول الله أنهم قوم بهت ، أهل (١) غدر وكذب وفجور ؟ : : " .

هذه هي حقيقتهم ، فهل من كان على هذا الوضع يبقى أميناً على العهد وهل يؤمن مكره وخداعه ؟ فلا إذا .

(١) سيرة ابن هشام : ١١٨/٢ . وروى القصة أيضا الإمام أحمد في المسند ١٠٨/٣ والإمام البخاري في كتاب التفسير سورة ٦٠/٦٠ .

ومن هنا بدأ اليهود يتآمرون على الإسلام وعلى المسلمين خفية
وفى بعض الأحيان يكيدون كيذا ظاهرا ، وذلك إذا سمحت لهم الفرصة
فهى سلسلة متصلة من الخيانات والمؤامرات، إنهم ماكانوا يلبثون حتى
يعودوا سيرتهم الأولى من الخيانة والعداوة والبغضاء ، وقد كانوا
كذلك رغم مهادنة الإسلام لهم ، وتأمينهم على أموالهم مع احتفاظهم
بديانتهم التى كانوا يمارسونها فى حرية تامة والسبب فى ذلك أنهم
كانوا يرون فى الدعوة الإسلامية زوال سلطانهم الدينى والمادى فكانوا
يبدون لرسول الله صلى الله عليه وسلم خلاف ما يظنون ، أنهم
سيرتهم الأولى مع أنبياء الله ورسوله وأتباعهم .

(أنكما جاءكم رسول بما لا تهوى أنفسكم استكبرتم ففريقا كذبتم وفريقا

(١)

تقتلون) .

قام اليهود بكل ما عندهم من القوة المعنوية والمادية بمحاربة الإسلام
والعقيدة الإسلامية الجديدة التى جاء بها محمد رسول الله صلى الله
عليه وسلم ، لقد قاموا بمحاولات عديدة ، وفى الأول نقضوا العهد الذى
كان بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم تحالفوا مع أعدائه
من المشركين مع أنهم يدركون أن نصرته عليهم فرض وواجب ، ثم بدأوا
يحاولون تشكيك رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما ينزل عليه بأرائهم
الفاسدة وأسئلتهم المتعنتة وتشكيك المسلمين فيما يسمعون من نبيهم
صلى الله عليه وسلم ، وذلك لأنهم لما روا أن عدد المسلمين يزداد على
شكل لم يكونوا يتوقعونه فبدأوا يكيدون لرسول الله صلى الله عليه وسلم

ولد عوته مستعملين سلاح التهديم والدسياسة والتفاق لعلمهم يضعفون من هذا الدين الجديد الذى بدأ .. بخيفهم ، فسدوا من أحبارهم من أظهر إسلامه ومن استطاع أن يجلس بين المسلمين ، وهو يظهر التقوى والصلاح ثم لا يلبث الغينة بعد الغينة بيدى الشكوك والريب ، ويلقى على رسول الله صلى الله عليه وسلم من الأسئلة ما يظن أنه يزعزع أنفوس المسلمين وعقيدتهم وإيمانهم برسالاته التى يدعو إليها ، كما استعملوا فى غرضهم هذا جماعة من الأوس والخزرج الذين أسلموا نفاقا أيضا ، ليوقعوا بين المسلمين . لقد وصلوا عليهم ليل نهار سرا وعلى نية ، وسلوكوا طريق الجدل والإنكار والتحريف والتشكيك ، وتبليس الحق بالباطل وكل سلك يوحى إليهم به معلمهم إبليس ، وحاولوا بليلة أفكار المسلمين وتشتيت أذهانهم ، ولكن باءت - بحمد الله - كل محاولاتهم فى عهد رسول الله بالفشل ، وقبـد رد الله كيدهم فى نحورهم .

(١)

(ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين)

٢ - أمثلة من محاولاتهم :

المثال الأول :

حاولوا فتنة رسول الله صلى الله عليه وسلم عن بعض ما أنزل الله عليه وصرفه عن الحق الذى جاءه من عند رب العالمين . قال تعالى : (وأن احكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله إليك ، فإن تولوا فاعلم أنما يريد الله أن يصيبهم ببعض ذنوبهم ، وإن كثيرا من الناس لفاسقون أفحكم الجاهلية يبغون ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون .^(٢))

(١) آل عمران : ٥٤ .

(٢) المائدة : ٤٩ - ٥٠ .

روى ابن اسحاق عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال : « قال كعب بن أسية وعبد الله بن سوريا وشاس بن قيس : اذهبوا بنا إلى محمد لعلمنا نقتله عن دينه ، فجاءوه ، فقالوا : يا محمد ، إنك قد عرفت أنا أحبار اليهود ، وأشرافهم وساداتهم وأنا إن اتبعناك اتبعتنا يهود ولم يخالفونا ، وأن بيننا وبين قومنا خصومة ، فنحاكمهم إليك فتقضى لنا عليهم ونؤمن بك ، فأبى ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأفزل الله فيهم (١) وأن احكم بينهم بما أنزل الله إلى قوله : (لقوم يوقنون) » .

لا شك أنها محاولة هدفها صرف النبي صلى الله عليه وسلم عن الهدى وعن الطريق المستقيم ، وأن يحكم بغير ما أنزل الله عليه ، فهو لا يربح مخطر عظيم على مقام النبوة والرسالة ، وهو مقام لا يصح فيه الاجتهاد والعمل بالرأى مادام والله فيه حكم ثابت .

وأمام هذا العرض المغرى الخبيث من أحبار يهود لم يكن من الرسول صلى الله عليه وسلم إلا أن يعتصم بموقف النبوة ، وأن يتمسك بما تفرضه عليه الرسالة الربانية ، ومن أجل ذلك رفض عرضهم ، وأبى أن يحكم بينهم إلا بالحق إذا تحاكموا إليه .

المثال الثانى :

محاولة قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم :

هذه المرة عادوا إلى جرائم أسلافهم الكبرى الذين قتلوا زكريا ووطده يحيى صلاة الله وسلامه عليهما ، وحاولوا قتل عيسى عليه السلام لولا أن

(١) أسباب النزول للسيوطى ص ٧٣ .

نجاه الله من شرهم ، وهاهم اليوم يحاولون قتل خاتم الأنبياء والمرسلين محمد صلى الله عليه وعلى إخوانه وسلم ، والهدف هو القضاء على هذه العقيدة الربانية ، لأن قتل صاحب الرسالة قتل لها ، وقد حاولوا ذلك مرتين :

الأولى : مارواه ابن اسحاق أن رسول الله صلى الله عليه وسلم " خرج إلى بني النضير يستعينهم في دية ذينك القتيلين من بني عامر الذين قتلها عمرو بن أمية الضمري ، للجوار الذي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم عقد لهما ، ^{قال} كما حدثني يزيد بن رومان ، وكان بين النضير وبين بني عامر عقد وحلف ، فلما أتاها رسول الله صلى الله عليه وسلم يستعينهم في دية ذينك القتيلين ، قالوا نعم ، يا أبا القاسم نعينك على ما أحببت ، مما استعنت بنا عليه ، ثم خلا بعضهم ببعض فقالوا إنكم لن تجدوا الرجل على مثل حاله هذه - ورسول الله صلى الله عليه وسلم إلى جنب جدار من بيوتهم قاعد - فمن رجل يعلو على هذا البيت فيلقى عليه صخرة ، فيريحنا منه ؟ فانتدب لذلك عمرو بن جحاش بن كعب ، أحدهم فقال : أنا لذلك ، فصعد ليلقى عليه الصخرة ، كما قال ورسول الله صلى الله عليه وسلم في نفر من أصحابه ، فيهم أبو بكر وعمر وعلى رضوا الله عنهم ، فأتى رسول الله الخبر من السماء بما أراد القوم فقام وخرج راجعا إلى المدينة ، فلما استلبث النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه - ، فقاموا في طلبه ، فلقوا رجلا مقبلا من المدينة ، فسأله عنه فقال رأيت داخل المدينة . فأقبل أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم حتى انتهوا إليه ، فأخبرهم الخبر ، بما كانت اليهود أرادت من الغدر به

(١)

وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالتهيؤ لحربهم والسير اليهم .

الثانية : محاولتهم قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ما

انتهى من غزوة خيبر .

جاء في سيرة ابن هشام مايلو :

« فلما اطمان رسول الله صلى الله عليه وسلم أهدت له زينب بنت الحارث امرأة سلام بن مشكم شاة مصلية (مسمومة) وقد سألت أى عضو من الشاة أحب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ف قيل لها : الذراع ، فأكثرت فيها من السم ، ثم سمت سائر الشاة ، ثم جاءت بها ، فلما وضعتها بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم تناول الذراع فلاك منها مضغة فلم يسفها ، ومعه بشر بن البراء بن المعرور ، قد أخذ منها كما أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم فأما بشر ساغها ، وأما رسول الله صلى الله عليه وسلم فلفظها ثم قال : إن هذا العظم ليخبرنى أنه مسموم ، ثم دعا بها فاعترفت ، فقال ما حطك على ذلك ؟ قالت : بلغت من قومي ما لم يخف عليك فقلت إن كان ملكا استرحمت منه وإن كان نبيا فسيخبر ، قال فتجاوز عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم ومات بشر من أكلته التى أكل ، ثم قال ابن اسحاق : وحدثنى مروان بن عثمان بن أبى سعيد بن معلى ، قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد قال : فى مرضه الذى توفى فيه ، ودخلت أم بشر بنت البراء بن المعرور تعوده يا أم بشر إن هذا الأوان وجدت فيه انقطاع أبهرى من

(١) السيرة النبوية لابن هشام : ١٠٨/٣ .

(٢) الأبهر عرق من عرقين يخرجان من القلب ومنها تنشعب الشرايين كلها .

الأكلة التي أكلتها مع أخيك بخير . قال : فإن كان المسلمون ليرون
(١)
رسول الله صلى الله عليه وسلم مات شهيدا مع ما أكرمه الله به من النبوة

المثال الثالث :

سؤالهم رسول الله صلى الله عليه وسلم سؤال التعنت لبليلة

أفكار المسلمين :

كان اليهود أهل كتاب وعلم ، وكان العرب على عكس من ذلك ،
وكان أهل الكتاب يعرفون أن الأمور المغيبات قد استأثر الله بعلمها
ولم يكشفها لأحد من خلقه لا ملك مقرب ولا نبي مرسل ومع ذلك فقد
جعلوا يسألون رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الساعة ويدعون أنهم
يعلمون وقتها ، ليكشفوا أمام الناس عدم علم الرسول به بغية أن
يفتنوهم عن الإيمان به ويصدوهم عن الإسلام .

قال الله تعالى مخبرا عن ذلك :

(يسألونك عن الساعة أيان مرساها قل إنما علمها عند ربي لا يجليها
(٢)
لوقتها إلا هو ، ثقلت في السموات والأرض لا تأتيكم إلا بغية) .

وأخرج ابن جرير الطبري رحمه الله وغيره عن ابن عباس رضي الله عنهما
قال : " قال خمل بن أبي بشير وصموئيل بن زيد لرسول الله صلى الله
عليه وسلم : أخبرنا متى الساعة إن كنت نبيا كما تقول ، فإننا نعلم متى هي
(٣)
فأنزل الله (يسألونك عن الساعة أيان مرساها) الآية .

(١) السيرة النبوية لابن هشام ٢١٨/٣ . وروى البخاري في كتاب الطب ٥٥

(٢) الأعراف : ١٨٧ .

(٣) أسباب النزول للسيوطي ص ٨٤ .

وخمل وصموئيل حبران من أحبار اليهود ، يدركون حقيقة أن علم الساعة عند الله تبارك وتعالى ، إنما هو مطلب من مطالب التعنست فهم يعلمون علم اليقين أن وقت قيام الساعة ، وقت أخفاء الله عن جميع الخلق في السموات والأرض ، فلا يعلم به نبي مرسل ولا ملك مقرب ولكمهم يريدون أن يشككوا المسلمين ، في رسالتهم وأن يزعموا عقيدتهم ويبلبلوا أفكارهم ويشتتوا أذهانهم ، وإنما يعلمون أن محمدا صلى الله عليه وسلم وسائر رسل الله لا يملكون أن يحددوا متى تقوم الساعة وأنه لو حدد لهم ذلك أحد يقول إنه نبي لكان كذابا ولم يكن رسولا .

المثال الرابع :

استغلال يهودى في شأن ناقطة النبی صلى الله عليه وسلم حين ضلت :

أظهر الله نفاق زيد بن اللصيت بما بدا منه في لحن القول من دس -
حقير على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ليلقى الشك في نفوس المسلمين
وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ضلت ناقته فاستغل هذا
اليهودى المنافق ذلك لبليلة أفكار المؤمنين .

جاء في سيرة ابن هشام خلال الحديث عن غزوة تبوك ما يلي :

قال ابن اسحاق : ثم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم سار حتى
إذا كان ببعض الطريق ضلت ناقته ، فخرج أصحاب رسول الله صلى الله
عليه وسلم في طلبها ، وعند رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل من
أصحابه ، يقال له عمارة بن حزم وكان عقبيا بدريا وكان في رحله
زيد بن اللصيت القينقاعى ، وكان منافقا فقال : وهو في رحل

(١) انظر مكاييد يهوديه عبر التاريخ ص ٦٠ .

عمارة ، وعمارة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أليس محمد يزعم أنه نبي ، ويخبركم عن خبر السماء ، وهو لا يدري أين ناقتة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وعمارة عنده : إن رجلاً قال : هذا محمد يخبركم أنه نبي ، ويَزعم أنه يخبركم بأمر السماء وهو لا يدري أين ناقتة ، وأنى والله ما أعلم إلا ما علمنى الله ، وقد دلى الله عليهم — وهى فى هذا الوادى فى شعب كذا وكذا قد حبستها شجرة بزمامها (١) فانطلقوا حتى تأتونى بها ، فذهبوا فجاءوا بها * .

فبطلت بذلك مقالة زيد بن اللصيت ، وأظهر الله صدق نبوة رسوله محمد صلى الله عليه وسلم ، ورد كيد الكافرين والمنافقين فى نحورهم ، وتأكدت ثقة المسلمين بنبيهم بعكس ما دبر الخائنون المنافقون .

فهذه كانت محاولة تشكيك المسلمين فى رسالة نبيهم ، ولكن الله عز وجل فضح مكروهم ، وأبطل مقالتهم وخيب مسعاهم .

المثال الخامس :

محاولات إضلال المسلمين :

حاول اليهود إضلال المسلمين عن سواء السبيل بعد أن هداهم الله تبارك وتعالى . وقد سلكوا فى ذلك سبلا شتى ، من ذلك :
أ - تدبير خطة الدخول فى الإسلام على سبيل النفاق ، ثم الخروج منه والارتداد عنه سخطة عليه لأغراض فى نفوسهم لفتنة المسلمين

(١) انظر ١٢٣/٤ - ١٢٤ .

عن دينهم ، وزلزلة عقيدتهم ، وردهم عن دينهم ، واحداث الشقة والخلاف في صفوف المسلمين حتى يفقدوهم ما هم عليه من طمأنينة وسكينة ، ويحدثوا فيهم القلاقل والاضطراب ، ويقذفوا في قلوبهم الشك والحيرة .

وقد بين الله سبحانه وتعالى خطتهم هذه بقوله في شأنهم :
(وقالت طائفة من أهل الكتاب آمنوا بالذي أنزل على الذين آمنوا وجه
(١)
النهار واكفروا آخره لعلهم يرجعون) .

، ان في هذه الآية كسفا للمهدف الأساسي الكامن وراء أعمال أهل الكتاب ، وهو الرغبة الشديدة والمطحة في إضلال المسلمين عن دينهم وتشكيكهم في عقيدتهم ، فالإيمان وجه النهار أي أوله والكفر به آخره طريقة مكررة خبيثة للاغراء بالكفر ، فإن إظهار الإسلام ، ثم الخروج منه والرجوع عنه ، يوقع بعض ضعاف النفوس والعقول وغير المتثبتين من حقيقة دينهم وطبيعته في بلبلة واضطراب ، لاسيما الأميون الذين كانوا يظنون أن أهل الكتاب أعرف منهم بطبيعة الديانات والكتب ، فإذا رأوهم يؤمنون به ثم يرتدون عنه حسبوا أنهم إنما ارتدوا بسبب اطلاعهم على باطل أو نقص في هذا الدين ، فتأرجحوا بين اتجاهين ، فلم يكن لهم ثبات على حال ، وهذه المحاولة ربما تكون أكثر مكرًا وأشد أثراً على نفوس الضعفاء .

والظاهر أن اليهود قد وجدوا أن طريق الجدل والإنكار والتحريف لم يحقق لهم ما يريدون من صرف الناس عن العقيدة الإسلامية فلجأوا إلى هذه المكيدة الخبيثة لعلها تؤثر على بعض المسلمين .

قال ابن كثير : " إن هذه مكيدة أرادوها ليلبسوا على الضعفاء من الناس أمر دينهم ، وهو أنهم اشتدوا بينهم أن يظهروا الإيمان أول النهار ، ويصلوا مع المسلمين صلاة الصبح ، فإذا جاء آخر النهار ارتدوا إلى دينهم ليقول الجبهة من الناس ، إنما ردهم إلى دينهم اطلاعهم على نقص وعيب في دين المسلمين ، ولهذا قالوا :
(١)
(لعلمهم يرجعون) وقال مجاهد : " يعني اليهود صلت مع النبي صلى الله عليه وسلم صلاة الصبح ، وكفروا آخر النهار مكرًا منهم لـيـروا الناس أنه قد بدت لهم الضلالة منه بعد أن كانوا اتبعوه " .
وقال ابن عباس رضي الله عنهما : " قالت طائفة من أهل الكتاب :
إذا لقيتم أصحاب محمد أول النهار فآمنوا به وإذا كان آخره فصلوا
(٢)
صلاتكم ، لعلمهم يقطون هؤلاء أهل الكتاب وهم أعلم منا " .
وقال القرطبي رحمه الله تعالى : " ومعنى الآية : أنه قال بعضهم لبعض اظهروا الإيمان بمحمد في أول النهار ثم اكفروا به آخره ، فإنكم إذا فعلتم ذلك ظهر لمن تبعه ارتياب في دينه ، فيرجعون عن دينه
(٤)
إلى دينكم ، ويقطون إن أهل الكتاب أعلم به منا " .
ب - الإضلال عن طريق التبليس وكتمان الحق :

قال الله تعالى :

(يا أهل الكتاب لم تبسوا الحق بالباطل وتكتُمون الحق وأنتم تعلمون) (٥)

(١) و (٢) و (٣) تفسير ابن كثير ١ / ٣٧٣ .

(٤) الجامع لأحكام القرآن ٤٠ / ١١١ .

(٥) ال عمران ٧١ .

وقال عز وجل :

(١)

(ولا تلبسوا الحق بالباطل وتكتموا الحق وأنتم تعلمون) .

هذه هي بعض ضلالاتهم التي حاولوها ورسول الله صلى الله عليه وسلم بين المسلمين ، حاولوا ليس الحق وتخليطه بالباطل ، وذلك لا خفائه وكتمانهم وتضييعه في غمار الباطل عن قصد وعظم ، هذه هي طرائقهم التي اعتادوها .

لقد حرفوا في المعاني والألفاظ ، وخلطوا الحق بالباطل تضليلاً وتزييفاً ، وكتموا ما يتعلق بالإسلام ونبي الإسلام ما هو موجود في كتبهم . يروي عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه قال لعبد الله بن سلام : أتتعرف محمداً كما تعرف ولدك ؟ قال نعم ، وأكثر ، نزل الأمين من السماء على الأمين في الأرض بنعمته فعرفته ، وإني لا أدري ما كان من أمه .

يقول ابن جرير الطبري رحمه الله تعالى عند قوله تعالى : " ولا تلبسوا الحق بالباطل وتكتموا الحق وأنتم تعلمون " (٣) .

" تأويل الآية . . . : ولا تخلطوا على الناس أيها الأحياء من أهل الكتاب ، في أمر محمد صلى الله عليه وسلم وما جاء به من عنده ربه ، وتزعمون أنه مبعوث إلى بعض الأمم دون بعض ، أو تنافقوا في أمره وقد علمتم أنه مبعوث إلى جميعكم ، وجميع الأمم غيركم ، فتخلطوا بذلك الصدق بالكذب ، وتكتموا به ما تجدونه في كتابكم من نعتة وصفته ، وأنه رسول إلى الناس كافة ، وأنتم تعلمون أنه رسول ، وأن ما جاء به

(١) البقرة : ٤٢ .

(٢) انظر تفسير ابن كثير ١ / ١٩٤ .

(٣) البقرة : ٤٢ .

، اليكم فمن عندى ، وتعرفون أن من عهدى الذى أخذت عليكم فسى
(١)
كتابكم الإيمان به وما جاء به والتصديق به * .

ولا تقولوا لا نجد فى التوراة صفة محمد صلى الله عليه وسلم ، أو حكم
كذا أو تمحوا ذلك أو تكتبوه على خلاف ما هو عليه .

وقال محمد بن سيرين : نزلت عصابة من ولد هارون يثرب لما أصاب
بنى اسرائيل ما أصابهم من ظهور العدو عليهم والذلة ، وتلك العصابة
هم حملة التوراة يومئذ ، فأقاموا ييثرب يرجون أن يخرج محمد صلى الله
عليه وسلم بين ظهرانهم ، وهم مؤمنون ومصدقون بنبوته ، فمضى
أولئك الآباء وهم مؤمنون ، وخلف الأبناء وأبناء الأبناء فأدركوا محمدا
صلى الله عليه وسلم فكفروا به وهم يعرفونه ، وهو معنى قوله : (فلما
(٢)
جاءهم ما عرفوا كفروا به) .

وهل هناك تلبيس وكتمان وتضليل أكبر من تلبيس وكتمان صفات رسول
الله صلى الله عليه وسلم ، مع أنهم يجدونه مكتوبا عندهم فى التوراة
والإنجيل ، إنها نية وقصد فاسد كائن فى ضمائرهم ووجدانهم ، وكشف
الله حرصهم على تضليل المسلمين وإخراجهم عن دينهم فقال تعالى :
(٣)
(ودت طائفة من أهل الكتاب لو يضلونكم وما يضلون إلا أنفسهم وما يشعرون)

المثال السادس :

اثارتهم الشكوك حول تحويل القبلة .

كان اليهود يقولون قبل تحويل القبلة عن النبى صلى الله عليه وسلم :

(١) جامع البيان : ٢٥٦/١ .

(٢) البقرة : ٨٩ .

(٣) آل عمران : ٦٩ .

انه يخالفنا^{شم} يتبع قبلتنا ، ولولا نحن لم يدر أين يستقبل ، فلما تحولت
(١)
القبلة أخذتهم العزة بالإثم واستوحشوا وادعوا أنه لا يجوز النسخ، عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال : « لما صرفت القبلة عن الشام إلى الكعبة وصرفت في رجب على رأس سبعة عشر شهرا من مقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ، أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم رفاعة بن قيس وقردم بن عمرو ، وكعب بن الأشرف ، ونافع بن أبي نافع ، وحجاج بن عمرو ، وحليف كعب بن الأشرف ، والربيع بن الربيع بن الحقيق ، وكان ابن أبي الحقيق ، فقالوا : يا محمد ، ما لك عن قبلتك التي كنت عليها وتزعم أنك على ملة إبراهيم ودينه ؟ ارجع إلى قبلتك التي كنت عليها نتبعك ونصدقك ، وإنما يريدون فتنته عن دينه ، فأنزل الله فيهم :
(سيقول السفهاء من الناس ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها قل لله المشرق والمغرب يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم ، وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا ، وما جعلنا القبلة التي كنت عليها إلا لنعلم من يتبع الرسول من ينقلب على عقبيه) » .
ويقول ابن جرير الطبري : « وكان سبب ذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم صلى نحو بيت المقدس مدة تبلغ سبعة عشر شهرا ، ثم أراد الله تعالى صرف قبلة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم ، إلى المسجد الحرام فأخبره عما اليهود قائلوه من القول عند صرف وجهه ووجه أصحابه شطوره

(١) انظر تفسير النيسابوري للحافظ المفسر المقرئ نظام الدين الحسن

بن محمد الحسين : ٢ / ٢٢ على هامش تفسير ابن جرير الطبري .

(٢) جامع البيان : ٣ / ١ .

(١)

وما الذى ينبغى أن يكون من رده عليهم من الجواب ؟

ثم لما يئسوا من صرف الرسول وأصحابه عن قيلتهم أشاعوا الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حيث قالوا : قد عاد الرجل والسى طريقة آبائه ، واشتاق إلى دينهم ، وطويت على قيلتنا لكنا نرجس أن يكون هو صاحبنا الرسول المنتظر المبشر به فى التوراة .

والهدف الذى كانوا يقصدون إليه واضح إن كانوا يريدون فتنة الرسول صلى الله عليه وسلم والمسلمين من وراءه عن دينهم ، وفتنة من تدخل عقله هذه الأقوال السقيمة ، مع أن هؤلاء اليهود يعلمون من كتبهم صدق الرسول صلى الله عليه وسلم وصدق ما يبلغه عن ربه ، ومن ذلك أن الكعبة هى القبلة بأمر الله ، ولكنهم يثيرون الشبهات لا يقاع الفتنة بين المسلمين ، والدليل على ذلك قوله تعالى :

(الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم ، وإن فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون) (٣)

قال ابن جرير الطبرى رحمه الله قال أبو جعفر : " وقوله (ليكتمون الحق) وذلك الحق هو القبلة التى وجه الله عز وجل إليها نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم ، يقول : (فول وجهك شطر المسجد الحرام) التى كانت الأنبياء من قبل محمد صلى الله عليه وسلم يتوجهون إليها ، فكتمها اليهود والنصارى ، فتوجه بعضهم شرقا وبعضهم بيت المقدس ورفضوا ما أمرهم الله به .

(١) المصدر السابق ٣ / ٢ .

(٢) انظر النفاق والمنافقون لإبراهيم على سالم ص ٩٠ .

(٣) البقرة : ١٤٦ .

وروى عن ابن زيد فى قوله : (الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه
(١)
كما يعرفون أبناءهم) قال : اليهود يعرفون أنها هى القبلة ، مكة »
ثم ذكر روايات كثيرة عن السلف كلها تدل على هذا المعنى ، وقد
اقتصرت على هذه لئلا يحصل التكرار فى المسألة .

وقال القرطبى رحمه الله فى قوله تعالى (وإن الذين أوتوا الكتاب)
» يريد اليهود والنصارى (ليعلمون أنه الحق من ربهم) يعنى
تحويل القبلة من بيت المقدس ، فإن قيل : كيف يعلمون ذلك وليس
من دينهم ولا فى كتابهم ، قيل عنه جوابان :
أحدهما : أنهم لما علموا من كتابهم أن محمدا صلى الله عليه وسلم
نبي عظموا أنه لا يقول إلا الحق ولا يأمر إلا به .
الثانى : أنهم لما علموا من دينهم جواز النسخ وان جده بعضهم
(٢)
فصاروا عالمين بجواز القبلة .

* * * *

(١) جامع البيان ٢ / ٢٦ .

(٢) الجامع لأحكام القرآن ٢ / ١٦١ .

• الفصل الثاني •

• محاولات اليهود إفساد عقيدة المسلمين فيما بعد

عصر رسول الله صلى الله عليه وسلم

- ١ - عبد الله بن سبأ ودوره في محاولة إفساد عقيدة المسلمين •
- ٢ - الفرق الباطنية ودورها في إفساد عقيدة المسلمين •

الفصل الثاني : محاولات اليهود إفساد عقيدة المسلمين فيما بعد عصر رسول الله صلى الله عليه وسلم .

١ - عبد الله بن سبأ ودوره في محاولة إفساد عقيدة المسلمين :

استمر اليهود في محاولات إفساد عقيدة المسلمين بعد عصر النبوة وكانت خطة الدخول في الإسلام نفاقاً من خططهم الخبيثة التي كانوا يسلكونها منذ فجر الإسلام ، واستمروا يسلكونها عبر تاريخ المسلمين وإن وسائلهم لم تتغير كما أن أهدافهم لم تتغير .

فالدخول في الإسلام نفاقاً ، وتبليس الحق بالباطل ، وإظهار التقوى والصلاح أثناء ذلك ، كل ذلك كان من أساليبهم .

وقصة نفاق اليهود قصة طويلة في كل أدار تاريخهم .

كان اليهود ينتظرون الفرص السانحة ليتمكنوا من إفساد عقيدة المسلمين فلم يظفروا في عهدى أبي بكر وعمر رضى الله عنهما بما أرادوا حتى جاء عهد عثمان بن عفان رضى الله عنه ، فاستغلوا سماحته ولينه وعطفه كما تذكر كتب التاريخ ، فدخل بعض منهم الإسلام ظاهراً وعمل من المكاييد وهو بين المسلمين ما كان يعجز عن عمله لو ظل في يهوديته ، ومن بين الذين دخلوا الإسلام في تلك الفترة (عبد الله بن سبأ) الذي قام بمقام به بولس اليهودى الذى أدخل في النصرانية ألوهية عيسى عليه السلام ، إلا أن هذا الأخير لم تعش أفكاره ، كما عاشت مبادئ بولس . ذلك أن الظروف الاجتماعية قد كانت مختلفة تماماً ، بسبب أن القرآن كان محفوظاً عند المسلمين ، ومكتوماً أيضاً على أشياء محفوظة من الجلود

والرقاع والألواح والعسب والأكتاف والصحف ، وغير ذلك مما كان يكتب عليه
شئ .

والقرآن خير حارس للعقيدة الإسلامية ، وما يتعلق بها ، ولم يكن
الإنجيل كذلك ، وإن ضاع في وسط الأحداث المؤلمة التي أصابت
المسيحيين في ذلك الوقت .

وعبد الله بن سبأ هذا يهودى ، يمانى من أهل صنعاء ، عاصر عثمان
وعليا ، ويقال : إنه أسلم في زمان عثمان رضى الله تعالى عنه ، ثم
تنقل في بلدان المسلمين ، يحاول تضليلهم ، فبدأ بالحجاز ثم انتقل
إلى البصرة ثم إلى الكوفة ثم إلى الشام ، فلم يقدر على ما يريد عند
أحد من أهل الشام ، فأخرجوه حتى أتى مصر فاعترف فيهم ، وقد كان
على دين اليهود ، وأراد بدخوله في الإسلام إفساد عقيدة المسلمين .
وقال المحققون من أهل السنة : إن ابن السوداء كان على هوى
دين اليهود ، وأراد أن يفسد على المسلمين دينهم بتأويلاته في على
وأولاده ، لكى يعتقدوا فيه ما اعتقدت النصارى في عيسى عليه السلام .
وقد انتسب إلى الرافضة حين وجدهم أعرق أهل الأهواء في الكفر وفساد
ضلالته في تأويله .^(٢)

وقال ابن عساكر في تاريخه : « كان أصله من اليمن وكان يهودياً
فأظهر الإسلام ، وطاف بلاد المسلمين ليلفتهم عن طاعة الأئمة
ويدخل بينهم الشرور ، ودخل دمشق لذلك » .^(٣)

(١) اعترف فيهم : أى طالت إقامته فيهم .
(٢) انظر تاريخ الأمم والملوك للطبرى : ٣ / ٣٢٨ ، والفرق بين
الفرق للبغدادى ص ٢٢٥ .
(٣) لسان الميزان لابن حجر العسقلانى ٣ / ٢٨٩ .

وقام عبد الله بن سبأ بإشعال نار الفتنة في صفوف المسلمين عن طريق جماعة لم تدخل بشاشة الإيمان قلوبهم ، ولم يكن لهم حظ من فهم العقيدة الإسلامية فهما صحيحا سليما ، وإن لم يتخلصوا من الأفكار التي كانت محيطة في بيئتهم ، والتي تأثروا بها قبل الإسلام فاتصل بأولئك الناس ، وحرش بعضهم على الأمراء ، وأغرى بعضهم ببعض وأشعل الفتنة ، وأنزل بالعالم الإسلام نارا ظلت متأججة مئات من السنين ، وما زالت تتأجج حتى اليوم .

وكان عبد الله بن سبأ هو الذي ألّب أهل مصر والكوفة والبصرة على عثمان رضي الله تعالى عنه ، حتى اغتالوه ، لأنه كان يذيع بين الناس أن عثمان قد اغتصب الخلافة ، من صاحبها وهو على رضي الله عنه . ولقد أتى عبد الله هذا بأفكار وأكاذيب تتضمن تحريف العقيدة الإسلامية وإخراجها من أصولها القرآنية ، فقد نادى بمبادئ ليست من دين الله الحق في شيء ، وإنما هي عقائد يهودية كما سيتضح لنا .

وقد أسس جمعية سرية في أوساط المجتمع الإسلامي ، وهي جمعية مختصة بالقضاء على الإسلام ، وتقويض الدولة الإسلامية ، ونسف عقيدتها من أساسها بإدخال باطل مفترى إلى أصولها .
العقائد التي جاء بها عبد الله بن سبأ :

١ - الرجعة :

بث عبد الله بن سبأ فكرة أن الأرواح إذا ماتت سترجع إلى الدنيا مرة أخرى ، ومناء على ذلك قال يرجعة رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الدنيا بعد ماتوفاه الله إلى دار الآخرة ، فقال :
" عجب من يزعم أن عيسى عليه السلام يرجع ويكذب بأن محمدا

" صلى الله عليه وسلم " يرجع . وقد قال الله عز وجل :

(١)

(إن الذي فرض عليك القرآن لرادك إلى معاد) .

فمحمد أحق بالرجوع من عيسى " عليه السلام " فقبل ذلك عنه ، ووضع

(٢)

للناس الرجعة فتكلموا فيها " .

وقد كان يخاطب الناس في هذه القضية بطريقة ماهرة فيها نوع من

الحوار البارد الذي لا يغضب المخاطب بأول وهلة ، وكان يقول : أليس

قد ثبت أن عيسى بن مريم سيعود إلى هذه الدنيا ؟ فيقول : الرجل

" المسكين " نعم ، فيقول له : فرسول الله " صلى الله عليه وآله وسلم "

أفضل منه ، فلم تنكر أن يعود إلى هذه الدنيا ؟ وهو أشرف من عيسى

(٣)

بن مريم عليه السلام .

بهذه الطريقة الماهرة يقنع الناس برجعة رسول الله صلى الله عليه

وسلم ، وهو تضليل واضح للذين لم تستقر في قلوبهم العقيدة الصحيحة

والذين ليس لهم حظ من العلم والمعرفة .

وزعم بعد ذلك رجعة علي رضي الله عنه ، فقد قال لما قيل له :

" إن عليا قتل : " إن جئتمونا بدماغه في صرة لم نصدق بموته ، لا يموت

(٤)

حتى ينزل من السماء ويملك الأرض بحذاقيرها " .

(١) القصص : ٨٥ .

(٢) تاريخ الأمم والملوك للطبري : ٣ / ٣٧٨ .

(٣) انظر البداية والنهاية لابن كثير ١٦٧ / ٧ .

(٤) الفرق بين الفرق للبغدادي ص ٢٢٤ .

وقال : لو أتيتمونا بدماعه ألف مرة ماصدقنا بموته ، ولا يموت حتى
(١)
يملاً الأرض عدلاً كما طئت جوراً .

وكان يكذب بقتل على تكذيباً غريباً جداً ، حتى قال : لو أقام أحد
على قتله سبعين عدلاً ماصدقناه ، ولعلمنا أنه لم يمت ولم يقتل ، وأنه
لا يموت حتى يسوق العرب بعصاه ويطلق الأرض .

وزعم أن المقتول لم يكن علياً ، وإنما كان شيطاناً تصور للناس فى
صورة على ، وأن علياً صعد إلى السماء كما صعد عيسى بن مريم عليه
السلام ، وقال : كما كذبت اليهود والنصارى فى دعواها قتل عيسى
" عليه السلام " كذلك كذبت النواصب والخوارج فى دعواها قتل على ، وإنما
رأت اليهود والنصارى شخصاً مصلحاً شبيهاً بعيسى عليه السلام ، وكذلك
القائلون بقتل على ، رأوا قتيلاً يشبه علياً ، فظنوا أنه علي ، وعلي قد
صعد إلى السماء ، وأنه سينزل إلى الدنيا ، وينتقم من أعدائه وهو
(٢)
عندهم المهدي المنتظر .

وفكرة الرجعة لها عند اليهود أصل ، فهم يعتقدون أن النبي " إيلياس "
صعد إلى السماء ، وسيعود فيعيد الدين والقانون .
(٣)

وزعمت السبائية أتباع عبد الله بن سبأ أن فى على جزءاً إلهياً ، ولا يجوز
أن يستولى عليه الموت ، ويقولون : إنه فى السحاب ، وأن الرعد صوته
والبرق تبسمه ، ومن سمع من هؤلاء صوت الرعد ، قال : عليك السلام
(٤)
يا أمير المؤمنين .

(١) انظر محاضرات الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ١٣٩٩ هـ ص ٢١١
د / سعدى الهاشمى .

(٢) انظر الفصل لابن حزم ٤ / ١٨١ .

(٣) فاضله فى العهد القديم « إيليا » انظر المجلد الثانى ١١ / ١١ .

(٤) انظر الفروع بين الفروع ص ٢٢٣ .

والذى لا شك فيه أن دعوة الرجعة قويت برفض شديد من جانب المسلمين ، ولم يقبلها إلا المنافقون ، وضعاف العقيدة ، والذين دخلوا الإسلام نفاقا فى البداية ، لذلك كان تأثيرها فى الفكر الإسلامى أقل من تأثير دعوة بولس فى النصرانية .

٢ - الوصية :

بث عبد الله بن سبأ فكرة أنه يجب أن يكون لكل نبي وصى ، وقام بإشاعة هذا الفكرة بين المسلمين ، بغية إفساد عقيدتهم ، وبغية إفساد مبدأ (وأمرهم شورى بينهم) و (وشاورهم فى الأمر) . قال : «إنه كان ألف نبي ولكل نبي وصى ، وكان على وصى محمد صلى الله عليه وسلم ثم قال : محمد صلى الله عليه وسلم خاتم الأنبياء ، وعلى خاتم الأوصياء ثم قال بعد ذلك : ومن أظلم ممن لم يجز وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ووثب على وصى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وتناول أمر الأمة ، فعلى أحق من غيره فى الخلافة» .^(١)

« وقد كان يقول وهو فى اليهودية فى يوشع بن نون : إنه وصى موسى عليهما السلام ، مثل ما قال فى على ، وهو أول من أظهر القول بالنص بإمامة على رضى الله عنه ، ومنه انشعبت أصناف الغلاة من الشيعة» .^(٢)

وهذا يعتبر أول من أشاع فكرة الوصية لعلى رضى الله عنه ، وأنه خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم على أمته بعد وفاته بالنص .

(١) تاريخ الأمم والملوك ٣ / ٣٧٨ .

(٢) الملل والنحل شهرستانى : ١ / ١٧٤ .

وزعم أنه رأى فى التوراة أن لكل نبي وصيا ، وأن محمداً صلى الله عليه وسلم خير الأنبياء ، وأن علياً خير الأوصياء .

٣ - قوله بنبوته على رضى الله تعالى عنه بعد ذلك :

زعم عبد الله بن سبأ أن علياً نبي من أنبياء الله ، وهذا تدرج منه إلى مرحلة أخرى وهى التى سنبينها فيما بعد ، إن شاء الله تعالى وقال :^(١) إنه أفضل خلق الله بعد محمد صلى الله عليه وسلم ، وهو معصوم . وقال عبد القاهر البغدادي فى السبائية :^(٢) كيف يكون من فرق الإسلام قسمين يزعمون أن علياً كان إلهاً أو نبياً .

٤ - قوله بالوهمية على رضى الله عنه .

لم يكف عبد الله بن سبأ بقوله : إن على بن أبى طالب أحق بالخلافة من غيره ولا بقوله : إنه نبي بل ارتقى فى الافتراء حتى جعله إلهاً وقال لعلى : أنت ، أنت ، يعنى إلهه ، وقال : وقد كان ألقى فى روعى أنك أنت الله ، وأنى نبي ، فقال له أمير المؤمنين : ويلك قد سخر منك الشيطان ، فارجع عن هذا ثكلت أمك وتب ، فأبى فحبسه واستتابه ثلاثة أيام ، فلم يتب فنفاه إلى المدائن .

ومرة قال : إن علياً فيه الجزء الإلهي أو هو الإله ، وأخرى قال : حلّ فى على جزء إلهي ، واتحد بجسده فيه ، وهه كان يعلم الغيب ، إن أخبرنا بالملاحم ، وصح الخبر ، وهه كان يحارب الكفار ، وله النصر والظفر ، وهه قلع باب خير ، وعن هذا قال : والله ما خلعت باب خير

(١) الفرق بين الفرق ص ٢٢٣ .

(٢) المصدر السابق ص ٢٢٦ .

بقوة جسدانية ، ولا بحركة غذائية ، ولكن فعلته بقوة ملكوتية ، وزعموا أن هذا الكلام يدل على أن فيه جزءاً إلهياً ، وقال : هذا المعنى مما كان يعرفه ويعتقده الصحابة رضى الله عنهم أجمعين ، وإن كانوا على خلاف مراده . هذا عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، كان يقول فيه : حين فقأ عين واحد بالحد فى الحرم ، ورفعت القصة إليه : ماذا أقول : فى يد الله فقأت عيناً فى حرم الله ؟ فأطلق عمر اسم الإلهية عليه (١)
لما عرف منه ذلك .

ولما قالوا لعلى مشافهة : استعظم الأمر وأمر بنار فأجبت وأحرقهم بالنار ، فجعلوا يقطون وهم يرمون فى النار : الآن صح عندنا أنه الله لأنه لا يعذب بالنار إلا الله ، وفى يقول على رضى الله عنه :
(٢)
لما رأيت الأمر أمراً منكراً ، أجبت نارا ودعوت قنبراً ، ومن أتباع عبد الله بن سبأ من كان يقول : إن الإله حل فى على وفى الأئمة من بعده وهذا القول يوافق بعض الديانات القديمة التى كانت تقول : بحلول الإلهية فى بعض البشر ، وإن روح الإله تتناوب الأئمة إماماً بعد إمام كما يقول المصريون القدماء : فى الفراغة .
(٣)
ومنهم من يقول : وإن الإله تجسد فيه .

فهؤلاء أوجبوا الإلهية لغير الله عز وجل ، بذلك لحقوا بالنصارى واليهود الذين نهجوا هذا المنهج وكفروا أشنع الكفر .

(١) انظر الملل والنحل للشهرستانى : ١ / ١٧٤ .

(٢) انظر الفصل ٤ / ١٨٦ .

(٣) انظر تاريخ المذاهب الإسلامية : ١ / ٤٢ .

٥ - زعمه أن القرآن جزء من تسعة أجزاء :

قال الذهبي : قال الجوزجاني : زعم " عبد الله سبأ " أن القرآن جزء من تسعة أجزاء وطمه عند علي " رضى الله تعالى عنه " فنهاه علي (١) بعد ما هم به . وقالوا : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كتم تسعة أعشار الوحي ، سبحانه اللهم هذا بهتان عظيم ، ولقد رد علي مقالتهم هذه أحد أئمة أهل البيت وهو حسن بن محمد بن الحنفية ففى رسالته التى سماها ب " الإرجاء " والتى رواها عنه الرجال الثقات عند الشيعة فيقول :

ومن قول هذه السبئية هدينا لوى ضل عنه الناس ، وطم خفى عنهم ، وزعموا أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كتم تسعة أعشار الوحي ، ولو كتم صلى الله عليه وآله وسلم شيئا مما أنزل الله عليه لكتم شأن امرأة زيد ، وقوله (تبتغى رضا أزواجك) . وهذا كلام واضح يدل على تشكيكهم فى صحة القرآن وكماله وإثبات الخيانة لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو اعتقاد باطل فى حق القرآن ، ويكفر قائله كفرا بواحا .

٦ - زعمه أن دابة الأرض التى ذكرت فى القرآن هى على رضى الله عنه .

قال الله تعالى : (وإذا وقع القول عليهم أخرجنا لهم دابة من الأرض تكلمهم أن الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون) .

(١) ميزان الاعتدال للذهبي ٤٢٦/٢ .

(٢) التحريم : ١ .

(٣) انظر محاضرات الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة فى عام ١٣٩٨ -

١٣٩٩ هـ د / سعدى الهاشمي .

(٤) النمل : ٨٢ .

وقالوا :^(١) لما بويج على بن أبي طالب رضى الله عنه خطب الناس ، فقام اليه عبد الله بن سبأ ، فقال له : أنت دابة الأرض ، فقال له : اتسق الله فقال له : أنت الملك ، فقال : اتق الله ، فقال له : أنت خلقت الخلق وسطت الرزق ، فأمر بقتله ، فاجتمعت الرافضة ، فقالت دعه وأنفه إلى سباط المدائن .

وجاء في تفسير مجمع البيان في تفسير القرآن للشيخ أبي علي الفضل بن الحسن الطبرسي من أكابر علماء الإمامية في القرن السادس ما يلي :

” قال رجل لعمار بن ياسر يا أبا اليقظان ، آية في كتاب الله أفست قلبى ، قال عمار آية هي ؟ فقال هذه الآية ، فأية دابة الأرض هذه ، قال عمار : والله ما أجلس ولا أكل ولا أشرب حتى أريتها ، فجاء عمار مع الرجل إلى أمير المؤمنين صلى الله عليه وسلم ، وهو يأكل تمرًا وزيداً ، فقال يا أبا اليقظان هلم فجلس عمار يأكل معه فتعجب الرجل منه فلما قام عمار قال الرجل سبحان الله خلعت أنك لا تأكل ، ولا تشرب حتى ترينيتها ، قال عمار أريتها إن كنت تعقل .

والذى بيد ومن هذه الرواية أنها من تأثيرات السبائين ومن قصصهم

الموضوعة في حق على رضى الله عنه .

٧ - زعمت السبائية أن روح القدس تنتقل في الأئمة :

قالوا : إن روح القدس كانت في النبي صلى الله عليه وسلم كما كانت في عيسى عليه السلام ، ثم انتقلت إلى علي ثم إلى الحسن ثم إلى الحسين

(١) تهذيب تاريخ ابن عساكر ٢ / ٤٣١ .

(٢) ٢٣٤ / ٢

وهي جمعية سرية سياسية ، ودينية في نفس الوقت ، وديانتها
(١)
مؤلفة من اليهودية والوثنية والمسيحية والإسلام . وقد وضعها
قوم تطابقوا - وكان في قلوبهم بغض للإسلام ، وبغض للنبي صلى
الله عليه وسلم .

وهم من اليهود والفلاسفة والملحدين والمجوس ، ليسلخوا الناس
عن الإسلام بعد قوته ، وبعثوا دعاة إلى الأفاق والأطراف ليدعوا
الناس إلى هذا المذهب المشئوم ، لعل القوة ترجع إليهم ويظل دين
محمد صلى الله عليه وسلم : فأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون .
ومن المعروف أن الباطنية قد وضع جذورها المنافق اليهودي
المشهور " عبد الله بن سبأ " المقلب بابن السوداء الذي قال بحلول
إله في بعض مخلوقاته ، والذي آله عليا كما سبق بيان ذلك .
هذه الفرقة استحدثت أصولها من تلك الفكرة الإلحادية ، وهي
تعتبر من أخطر الحركات الهدامة التي أنشئت في المجتمع الإسلامي
قديما وحديثا ، لأنها جمعية أسست على غرار الجمعيات اليهودية
التي لا يعرف أغراضها ودستورها إلا زعمائها الأقلون ، وقادة أفكارها
المقربون إلى زعيمها .

وتعتبر هذه الجمعية من النكبات التي نزلت بالمسلمين قديما
وحديثا ، وأعطت صورة بشعة عن المسلمين والإسلام أمام العالم بأسره
للدعاية اليهودية العالمية النيل من الإسلام ومن المسلمين .

يقول ابن الجوزي : « قال أبو حامد الطوسي : الباطنية قوم يدعون
(٢)
الإسلام ويميلون إلى الرفض ، وعقائدهم وأعمالهم تباين الإسلام »

(١) انظر دائرة المعارف للبستاني ٦٢٧/٣ .

(٢) تبليس إبليس ص : ١٠٤ .

وقد سبق بيان أن الذى أسس هذه الجمعية رجل يهودى ، وأضيف هنا أن اسمه ميمون القداح ، وقد ذكرت الدوائر السننية أن ميمون القداح وابنه عبد الله بن ميمون يهوديان من الفرقة العيسوية اليهودية وهى إحدى الفرق الأولى من طائفة القرائين ، فإنهما أنشأ مذهب الباطنية لتقويض دعائم الإسلام .
(١)

وقد كان لأسرة القداح مكان مرموق فى تاريخ الدعوة الباطنية فى دورها الأول ، وما زالت الدعوة الباطنية تعترز بهذه الأسرة ، وقد اختلف المؤرخون فى أصل هذه الأسرة ، فمنهم من يقول : إنها أسرة يهودية - كما تقدم لنا كلام ابن الجوزى - تستر بالإسلام لتتال منه ومنهم من يقول : إنها فارسية ، ولذلك أشارت حياة ميمون القداح وأسرته وعلاقتها بالباطنية عاصفة من النقاش التاريخى الذى استمر إلى عصرنا هذا .

وقد اعتبر البعض أن ميمون القداح هو المؤسس الفعلى للحركة الباطنية ، وأن أئمة هذه الحركة هم من أولاده وأحفاده ، وقالوا : كان ميمون يهودياً ديسانياً عمل على تهديم الدين الإسلامى ونشر الإلحاد والزندقة فى أوساط المجتمع الإسلامى .
(٢)

والذى أراه حقاً - والله أعلم - أنه كان من سلالة اليهود ، ذلك أنه لم يختلف من حيث الطبع والخطة عن سلفه اليهودى ابن سبأ ، والحق على الإسلام ، والكيد لتقويضه والتخطيط لتنفيذ مؤامراتهم العدائية للإسلام والمسلمين كما سيتضح لنا فيما بعد ، إن شاء الله تعالى ، فهو

(١) انظر الإفحام لأفدة الباطنية الطغام يحيى بن حمزة علوى ص ٥٠ .

(٢) انظر البداية والنهاية لابن كثير ١١٦/١١ .

أمر لا يخفى على المسلم ، وهذا مما يؤكد يهوديته .

يقول ابن الأثير : " لقد اختلف العلماء في صحة نسبه ، منهم من
نسبه إلى العلويين ، ومنهم من ينسبه إلى اليهود ، ثم قال : وزعم
الأ مير عبد العزيز صاحب كتاب تاريخ أفريقية والمغرب أن نسبه معرق في
(١)
اليهود ، ونقل عن جماعة من العلماء وقد استقصى ."

ويقول محمد بن الحسن الديلمي : " وقيل أصل هذه الدعوة الملحونة
التي استهوى بها الشيطان أهل الكفر والعصيان والطغيان ظهور ميمون
القداح في الكوفة سنة ست وسبعين ومائة سنة من التاريخ ^{الهجري} فنصب
الملعون للمسلمين الحبائل ونفى لهم الفوائد ، ولبس الحق بالباطل
(٢)
(ومكر أولئك هو يسور) ، وكان الملحون عارفاً بالنجوم معطلا لجميع العلوم
فجعل أصول دعوته الاختصاص لعلو بالتقديم والإمامة ليستر بجلالة
الإسلام وجهه علي وأولاده عليهم السلام كفره العظيم وإفكه القديس
والإحاده المبين ، والطعن على جميع الصحابة والتابعين ، وكان الملحون
يعتقد اليهودية ويظهر الإسلام ، وكان يخدم لاسماعيل بن جعفر
الصادق عليه السلام ، وكان حريصاً على هدم شريعة الإسلام ، لمافى
اليهود من عداوة النبي صلى الله عليه وسلم ، وكان قد خرج في أيام قرمط
(٣)
ولذلك نسبوهم إلى القرامطة ، لأنهما اجتماعاً وعملاً ناموساً يدعون إليه ."

(١) الكامل في التاريخ ٢٦ / ٨ - ٢٧ .

(٢) فاطر : ١٠ .

(٣) النشرات الإسلامية ص ٤ .

تسميتهم بالباطنية :

ذكرت كتب التاريخ أنهم سموا بذلك ، لأنهم ادعوا أن لظاهر القرآن والحديث بواطن تجرى من الظاهر مجرى اللب من القشر ، وأنهم بصورتها هذه توهم الجاهل صورا جليلة ، وهى عند العقلاء رموز وإشارات إلى حقائق خفية ، وأن من تقاعد عقله عن الغوص على الخفايا والأسرار والبواطن والأغوار وقع بظواهرها كان تحت الأغلال التى هى تكليفات الشرع ، ومن ارتقى إلى علم الباطن انحط عنه التكليف ، واستراح من أعبائه قالوا : وهم المرادون بقوله تعالى :

(١)

(يضع عنهم إصرهم والأغلال التى كانت عليهم) .

وإرادهم أن ينزعوا من العقائد موجب الظاهر ليقدروا بالتحكم بدعوى

الباطن على إبطال الشرع ، واستدلوا أيضا بقوله تعالى :

(٢)

(فضرب بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب) .

وفرضهم من هذا إبطال حقائق الشرع فيما وضعوا من ذلك ، وهو أمر

يوجب الانسلاخ من الدين .

وقيل : إنهم سموا بذلك ، لأنهم يقولون : وإن الإمام مستور ، وقيل :

إنهم سموا بذلك لستر أئمتهم ولستر أنفسهم ، واستخفائهم عن أعين الناس (٣)

الذين كانوا يطمعونهم ، وقيل غير ذلك .

عقائد الباطنية :

١ - معتقدهم فى التوحيد :

إن التوحيد لدى الباطنية أمر مضطرب ، ليس مستقرا على كيفية

(١) الأعراف : ١٥٧ .

(٢) الحديد : ١٣ .

(٣) انظر تلبيس إبليس ص ٩٩ .

معينة ، ولا على قاعدة ثابتة ، فمرة يفهم من كلامهم أنهم يحاولون إثبات
الله وإثبات وحدانيته لاشريك له ، حيث قالوا : "إن الله سبحانه
وتعالى منزّه عن الصفات والأسماء ، لاشريك له ، وأنه تعالى ليس آيسا
وليس ليسا ، وهوليس من جنس العقول حتى تدركه العقول ، ولا بجسم
حتى يراه البصر ، ولا يحل في جسد ، وأنه تعالى لا يعرب عنه بلفظ
قول ولا يعقد ضمير ، ولا يدخل تحت اسم ولا صفة ، ولا يرمز باليسه
بالإشارة ، ولا يقال عليه حق ولا قادر ، ولا عالم ولا عاقل ، ولا كامل ولا تام
(١)
ولا فاعل ، ولا يقال : له ذات ، .

وعلى ذلك حملوا جميع الأسماء والصفات التي تتعلق ~~بها~~ بذات الله
سبحانه وتعالى .

وقالوا : إن الإلهية ليس بشيء مما يدرك بعقل أو نفس ، ولا مما يحكم
عليه بوهم أو حس ، إلا لما تضطر الأنفس عند الإقرار إلى القول بأنه الله
الذي لا اله الا هو ، ولا معبود سواه ، وتوحيده تعالى هو معرفة
حدوده تعالى ، وسلب الإلهية عنه ، وسلب الأسماء والصفات عنه
لأنه تعالى لا يقال عليه ما يقال على مخترعاته .

وقالوا : " وكان طريق التوحيد والتمجيد من جهة إثبات الصفات له
مؤدى إلى الكذب على الله تعالى والافتراء عليه بنسب مالا يليق به إليه
وإجرائه مجرى ما دونه من مخترعاته ، وكان أصدق ما يعتمد عليه فى
(٢)
التوحيد والتمجيد ضد إثبات الصفات هو نفيها عنه .

(١) راحة العقل للكرمانى ص ٣٤ .

(٢) المصدر السابق ص ١٤٧ .

وهذا الكلام يدل على أنهم يعترفون بوجود الله سبحانه وتعالى وإن كان مفهومهم لله تعالى مختلف عن مفهوم المسلمين - ولكننا بجانب ذلك نرى الكرمانى وهو أحد دعائهم المشهورين ينكرو وجود الله سبحانه وتعالى إذ يقول :

"إنه تعالى إن كان أيسا " أى موجودا " فلا يخلو أن يكون إما هو آيس ذاته أو غيره آيسه ، واطل أن يكون هو مؤيسا لذاته إن يقتضى ذلك أنه لم يكن أيسا ، وذلك آية الاستحالة والحدوث (١) بأنه لم يكن فكان ، واطل أن يكون غيره آيسه فتأول عليه ."

وقال الإمام يحيى العلوى :

" وقالوا: إن جميع الأسماء كلها منفية عنه ، وكأنهم يتطلعون على الجملة لنفى الصانع وهو غايتهم وقصاراهم ونفيتهم .

ولكنهم لو قالوا : إنه معدوم لن يقبل منهم ، ولم يسمع قولهم واشمازت خواطر المتقبلين لدعوتهم ، بل منعوا الناس من تسميته موجودا ، وهو صريح النفى مع تغيير العبارة ، وتحذلقوا فسموا هذا النفى تنزيها ، وسموا مناقضة تشبيها حتى تعيل القلوب إلى قبوله (٢) ويضعوا آذانهم إلى سماعه " .

وهكذا فى الحقيقة أنهم يريدون إلغاء وجود الله سبحانه وتعالى بحيلة ، فهم ملاحدة ماديون يتظاهرون بذكر اسم الله ، ثم يلفنون كل صفة وتصور عنه حتى صفة الوجود ، فإثبات الله سبحانه وتعالى

(١) المصدر السابق ١٣٣ ، وانظر أيضا دائرة المعارف الإسلامية

٣ / ٣٨١ - ٣٨٢ .

(٢) مشكاة الأنوار الهادمة لقواعد الباطنية الأشرار ص ٦٩ - ٧٠ .

عندهم اثباتا حقيقيا يقتضى شركة بينه وبين سائر المخلوقات والموجودات
فى الجهة التى أطلق عليه سبحانه ، وذلك تشبيهه عندهم ، ومرة أخرى
نراهم يعتقدون أقبح من هذا الذى تقدم ذكره ، فيقولون : بالهين
قديمين ، لا أول لوجودهما ، وهما العقل والنفس أو السابق والتالى
وزعموا أن المراد بقوله تعالى : الرحمن الرحيم ، أو العلى العظيم
والقلم واللوح ، هما السابق والتالى ، فالقلم هو السابق لأنه يفيض
واللوح التالى لأنه مستفيد .

ومرة قالوا : بالهة عدة ، وهى : العقول العشرة حيث إنهم
أعطوها صفات الألوهية ، وزعموا أن كلا منها يعلم ما كان وما سيكون
وهذه لا ريب أنها صفة الإله .

واللهان أو الأكهة بزعمهم تقوم بتدبير هذا العالم ، ومن ذلك
(١)
تدبير الكواكب السبعة والطبائع الأول .

كما أنهم نسبوا خلق العالم إلى السابق بواسطة التالى لا بنفسه .
يقول الإمام يحيى العلوى فى معرض حديثه عن الباطنية فى اعتقادهم
فى الإلهيات :

” اعلم أن لهم فى الإلهيات وفى حال المبدع وصفته مقالة شنيعة
وهذه يانات باطلة ، وكفريات مسترقة من الثنوية والمجوس فى قولهم :
بالهين مع تبديل عبارة النور والظلمة بالسابق والتالى ، ومنترعة من
كلام الفلاسفة ، حيث قالوا : إن المبدأ الأول علة لوجود العقل على
سبيل اللزوم ، ولهذا يقولون إن السابق علة لوجود التالى ، وإن السابق
خلق العالم بواسطة التالى ، ثم قال :

(١) انظر الفرق بين الفرق ص ١٦٩ .

» وقد اتفقت أقاويل نقلت المقالات عنهم من غير تردد أنهم
(١)

قائلون بالهين قديمين ، لا أول لوجودهما من حيث الزمان» .

وأيضاً قالوا : يقدم العالم ، بمعنى أنه لا ابتداء لوجوده

وإن كانوا يطلقون عليه الحدوث ، على قرب مذهب الفلاسفة

في أنه محدث بمعنى أنه موجود من غيره ، لا بمعنى أنه موجود بعد

العدم .

ومن أقوالهم الشنيعة قولهم : على يحيى ويميت ، وهى قضية

لا تشبه على الجاهل ، فكيف على العاقل والعارف ، ذلك لأن علياً

في حال حياته ما كان يقدر على هذا فكيف بعد مماته ، وأيضاً ثبت

أن الأعداء كانوا ينالون منه في حال الحرب النزال الكبير حتى قتله

عدو الله عبد الرحمن بن ملجم ، والإله لا ينال عدوه منه منالاً .

وقال صاحب كتاب "البلاغ" وهو من دعائهم في معرض حديثه

عن النبي صلى الله عليه وسلم :

" ونسب لهم ما كفوا إلى إله لا يعرفونه ، ولا يعقلونه ولا يحصلون منه
(٢)

إلى شيء أكثر من اسم بلا جسم ولا معنى أى : ما أمرهم به من تكاليف

نسبه إلى إله لا يعرفون عنه شيء فهو لا شيء .

وهذا يدل على كفرهم بالله سبحانه وتعالى وإنكار حقيقة الألوهية

لله تعالى الواحد الأحد .

(١) مشكاة الأنوار ص ٦٩ ، وانظر تاريخ الدعوة الاسماعيلية مصطفى

غالب ص ٥٦ .

(٢) انظر النشرات الإسلامية ص ٧٣ .

وذكر صاحب دائرة المعارف البستاني ، أنهم يعبدون الفرج فقال :
ان المشهور عنهم أنهم يعبدون الفرج ، على أن الأصح أنهم يعظمونه
ويتخذونه قبلة في صلاتهم ، والمرأة التي تصلح لذلك ينبغي أن تكون
لها صفات مخصوصة عندهم ، وهم يجلسونها على منبر عند العبادة
(١)
ويتقدم كل منهم في نمته فيسجد لها . وعلى كل حال مهما يكن الأمر
فان اعتقادهم في ذات الله باطل وكفر ، وان أظهروا بعض الأحيان
أنهم يؤمنون بالله الواحد الأحد بمثل إيمان المسلمين أو بما يقرب منه .

٢ - معتقد هم في النبوات :

ان الأنبياء عندهم مفترون كذابون ودجالون ، طلاب زعامة دينية
ويستخدمون الحيل الخادعة التي تسحر عيون الناس ، فترهبهم أمورا خارقة
للعادة ، فيؤثرون بها على العامة .

قال عبد القاهر البغدادي :

" حكى بعض من كان قد دخل في دعوة الباطنية ، ثم وفقه الله تعالى
لرشده ، وهداه إلى حل أيمانهم ، أنهم لما وثقوا منه بأيمانه قالوا له :
ان المسمين بالأنبياء ، كنوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد صلى الله
عليهم وسلم ، وكل من ادعى النبوة كانوا أصحاب النواميس ، ومخاريق
أحبوا الزعامة على العامة ، فخدعوهم بنيران نجات واستعبدوهم بشرائعهم ."
لذلك نراهم ينكرون المعجزات ويفضونها رفضا باتا .

كما أنهم أنكروا وجود الملائكة في السماء وأنها تنزل بالوحي من الأمر
والنهي ، وزعموا أن الذي يعتقد أنه الناس في كون الملائكة في السماء

(١) انظر دائرة المعارف للبستاني ٦٢٢/٣ - ٦٢٨ .

(٢) الفرق بين الفرق ص ٢٨٨ .

، إنما هو شياطين وأبالسة يلبسون على مخالفيهم من بينهم الأنبياء. هذا هو مذهبهم الحقيقي في النبوات ، لكنهم لما وجدوا أن إعلان هذا يعرضهم لمشكلات كثيرة لدى جماهير المسلمين ، قالوا : بما قاله الفلاسفة ، فزعموا أن النبي عبارة عن شخص فاضت عليه من السابق بقوة التالى قوة قدسية صافية وأن جبريل عبارة عن العقل الفاعل عليه لا أنه شخص معين^(١) يحمل رسالة ربانية إلى الرسول صلى الله عليه وسلم وزعموا أن القرآن هو تعبير محمد عن المعارف التى فاضت عليه من العقل فسمى كلام الله مجازا لا أنه منزل عليه من الله سبحانه وتعالى بواسطة وزعموا أن هذه القوة الفاضلة على النبي صلى الله عليه وسلم لا تفيض عليه فى أول أمره ، وإنما تترى كالنطفة التى لا تستكمل نموها إلا بعد تسعة أشهر .

وقد اعتبروا الأنبياء مصيبة على البشرية حيث زعموا أنهم ثبت لديهم أن جميع الأنبياء كذبوا وخرفوا على أممهم ، وقالوا : وأعظم كل بليية علينا " محمد صلى الله عليه وسلم " فإنه نبغ من العرب الطغام فخدعهم بناموسه ، فبذلوا أموالهم وأنفسهم ونصروه ، وأخذ ممالكنا . وزعموا أيضا أن الأنبياء يتلقون الوحي من فلك عطارد ، وهذا الفلك هو منبع المعارف .

وقد اعتبروا الشرائع التى جاء بها الأنبياء أنها ظلم عليهم جاء فى رسائل إخوان الصفا ما يلى :

- (١) انظر القرامطة لابن الجوزى ص ١٤٦ .
(٢) أوغاد الناس ودينهم انظر القاموس المحيط فصل الطام ب ب الميم ص ١٤٦ .
(٣) القرامطة لابن الجوزى ص ٣٢ .

" أصبحنا في الدنيا معذبين في صورة المنعمين ، ومجبورون في صورة المختارين ، ومغرورين في صورة المغبوطين ، أحرارا كراما في صورة العبيد ، مهانين ، مسلط علينا خمسة أحكام يسوموننا سوء العذاب ينفذون أحكامهم علينا شئنا أو أبينا ليست لنا حيلة في الخروج عن أحكامها ، ولا دفع سلطانها ولا الخلاص من جورهم ، إلى الممات " .

ثم ذكروا الثالثة من تلك الأحكام فقالوا :

" أما الثالثة فهو هذا الناموس ، وأحكامه وحدوده ، وأوامره ونواهيه ووعيده وزجره ، وتهديده وتوبيخه ، إن خرجنا من أحكامه فضرب الرقاب والحدود ، وإن فررنا منه لم نجد لذة العيش ولا صلاح الوجود في الوحدة ، وإن دخلنا تحت أحكامه ، فمانقاس من الجهد والبلوى في إقامة حدوده ، أكثر مما يحصى ، من ألم الجوع عند الصيام ، وتعب الأبدان عند القيام للصلاة ومقاساة برد الماء عند الطهارات ، ومجاهدة شح النفوس عند إخراج الزكاة والصدقات الواجبات ، ومشقة الأسفار والأحكام عند قضاء الحج والجهاد ، ومانقاس من الألم عند ترك اللذات والشهوات المحرقات ، وإن لم نأتمر ولم ننته ، فالحدود والأحكام بحسب الجنائيات ، ومع هذه كلها " كلاسوف تعلمون ثم كلا سوف تعلمون كلا لتعلمون علم اليقين لترون الجحيم ثم لترونها عيين اليقين ثم لتسألن يومئذ عن النعيم) .

(١)

فهذه حالنا ليس لنا منها خلاص ، ولا نجاة إلى الممات " .

والخلاصة أنهم يجحدون النبوات وينكرون المعجزات ، ويزعمون أنها من قبل الشعوذة والطلسمات ، وزعموا أن النبوة مادة ترد عن السابق

على قلب من وقعت به للتالى عناية ، وأنه إنما يأتى منه ما يقال إنسه
معجزة لمعرفته بخواص الأشياء وطبائعها ويطعنون على الأنبياء صلوات
الله عليهم أشنع الطعن خصوصاً محمداً صلى الله عليه وسلم ويسمونـه
(١)
زعيم الأمة المنكوسة .

٣ - معتقدهم فى المعاد والجنة والنار :

قالوا : المعاد معناه : عود الشئ إلى أصله ، وهو أى المعاد
عودة النفس إلى أصلها ، وهى اتحادها بالنفس الكلية وخروجها من
الجسد الذى حبست فيه ، وهم يعتقدون بطلان المعاد والقيامة على
الوجه الذى يعتقدـه المسلمون ، ويعلم من دين الأنبياء صلوات الله
وسلامه عليهم أجمعين بالضرورة يقول الشريف يوسف الحسينى :
"إن المؤمن إذا توفى تصفى من جسمه صفوة هيكل على شبه ذلك
الشخص ، ويبقى واقفاً عند باب إمام عصره ، وهكذا يكون خلاص جميع
(٢)
المؤمنين ، فإذا توفى إمام عصره يصفى منه شبهه الإمام " .

وجاء فى رسائل إخوان الصفا ما يلى :

"فلاتكن يا أخى ممن ينتظر بعث الأجساد ، ويؤمل نشر الأبدان
فإن ذلك ظلم عظيم فى حقك ، إذا كنت تتوهم ذلك ، ولكن إن استوى
لك ، فكن من الذين ينتظرون بعث النفوس ، ويؤملون حياتها ووصولها
إلى عالمها الروحانى ودارا لقرارها الحيوانى " ويعتبرون رد النفوس
الطيبة إلى أجسادها بعد مفارقتها إياها موتاً لها ، إن قالوا فى ذلك :

(١) النظر للنشرات الإسلامية ص ٣٥ - ٣٦ .

(٢) المصدر السابق ص ٣٧ .

" واعلم يا أخى أن رد النفوس الناجية إلى الأجسام الفانية فى التراب من الرأس ، ربما يكون موتاً لها فى الجهالة واستغراقاً فى ظلمات (١) الأجسام ، وحبساً فى أسرار الطبيعة ، وغرقاً فى بحر الهيطى ، وزعموا أن نظام الحياة ، وتعاقب الليل والنهار ، وتولد الحيوانات لا ينقص أبداً . "

وأولوا القيامة بأنها رمز لخروج الإمام ، وأنكروا الحشر والنشر والجنة والنار أن يكون على الوجه الذى يعتقد به المسلمون ، فجسم الإنسان عندهم بيلى ولا قيمة له بعد ذلك ، والروح إن صفت بمجانبية الهوى والمواظبة على العبادات ، وغذت بالعلم استعدت بالعودة إلى وطنها الأصلي ، وكمالها بموتها ، إن به خلاصها من ضيق الجسد ، وأما النفوس المنكوسة المغموسة فى عالم الطبيعة المعرضة عن طلب رشدتها من الأئمة المعصومين ، فإنها أبداً فى النار على أنها تتناسخ فى الأبدان الجسمانية ، وكلما فارقت جسداً تلقاها آخر ، واستدلوا بقوله تعالى :

(٢)
(كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلوداً غيرها ليذوقوا العذاب) .

جاء فى رسائل إخوان الصفا ما يأتى :

" واعلم يا أخى أيدك الله وإيانا بروح منه أن من أجل نتائج العقول وأشرف وجدانها ، الآراء الجيدة والاعتقادات الصحيحة المصلحة لنفوس معتقديها ، وذلك أن الآراء الجيدة والاعتقادات الصحيحة

(١) رسائل إخوان الصفا ٣ / ٣٠١ .

(٢) النساء : ٥٦ .

معينة لنفوس معتقديها على الانبعاث من نوم الغفلة ، ومن رقدة
الجهالة ومحيرة من موت الخطيئة ، ومنجية لها من نيران جهنم وعذاب
الهاوية : عالم الكون والفساد ، وموصلة إلى نعيم الجنان ففى دار
الحيوان : عالم الأفلاك وسعة السموات ثم اعلم أن جهنم لها
طبقات كثيرة ، وهى الأهواء المختلفة ، والجهالات المتراكمة الستى
(١)
النفوس فيها محبوسة ومعها موقوفة * .

ومن هذا قالوا ليس فى الأعمال ثواب ولا عقاب ، لافى هذا العالم
ولا فى الآتى ، وإن كان موجودا ، وليس هناك جحيم أبدى ، ولكن
النفس تعود ثانية إلى الأرض بالتناسخ إلى أن تعرف الإمام الموجود فى
العصر الذى عادت فيه إلى الأرض ، وتأخذ عنه المعارف الدينية .
وغرضهم من هذه التأويلات انتزاع المعتقدات الظاهرة من نفوس
الناس حتى تبطل الرغبة والرغبة ، وتبطل حقائق الشرع التى وردت -
النصوص فى تحقيقها .

قال عبد القاهر البغدادي :

« وذكروا فى كتبهم إبطال القول بالمعاد والعقاب ، وذكروا فيها
أن الجنة نعيم الدنيا ، وأن العذاب إنما هو اشتغال أصحاب الشرائع
بالصلاة والصيام والحج والجهاد » .
(٢)

وقد طعنوا فى رسول الله صلى الله عليه وسلم وفى المسلمين ففى
اعتقادهم أمر المعاد وما يتعلق به من جزاء وحساب ، وإن قالوا :
« حذرهم - يعنون النبى صلى الله عليه وسلم - على قدر سخافة عقولهم

(١) ٣ / ٣١٤

(٢) الفرقة بسم الفرقة ٨٠ ح .

بملا يدرية أبدا من الرجوع من القبور ، والقيامة والعقاب حتى استعبدهم عاجلا واستدفع بهم شر أعدائه ، وجعلهم له فى حياته وذريته ممن بعده خولا وعبيدا ، واستباح بذلك أموالهم ، وجعلهم له وذريته ملكا دائما ، وشأنا عظيما ، ومودة فى قلوب الجبال ، فقال : (قل لا أسألكم عليه أجرا إلا المودة فى القربى) فكان أمره معهم نقدا وأمرهم معه نسيئة ، لأنه وعدهم الثواب بعد موتهم فى الآخرة ، ودخول الجنة (١) والحرور العين ، وهذا ممالا يروونه أبدا ولا يمكن الوفاء به .

٤- معتقدهم فى القرآن :

سبق ذكر زعمهم بأن القرآن تعبير النبى صلى الله عليه وسلم عن المعارف التى فاضت عليه من العقل ، وطى هذا فإنهم يذهبون إلى أنه من كلام البشر ، وأن تركيب حروفه ومعانيه حصلت بالقياس من النفس الكلية إلى نفس النبى صلى الله عليه وسلم الجزئية ، فصاغ هذه الكلمات ، وليس من كلام الله تعالى فى الحقيقة واستدلوا بقوله تعالى :
(٢)
(إنه لقول كريم) .

ومرة أخرى نراهم يذهبون إلى أنه نزل من الله على رسول الله صلى الله عليه وسلم بلفظه ومعناه الظاهر للناس ، أما أسرارهِ التأويلية الباطنية فقد خص بها عليا والأئمة من بعده ، انظر هذا التناقض .
وزعموا أن للقرآن ظاهرا وباطنا ، وأن المراد بباطنه لا ظاهره المعلوم من اللغة ، والتمسك بظاهره معذب بالمشقة فى الاكتساب

(١) النشرات الإسلامية ص ٧٨ .

(٢) التكويم : ١٩ .

(٣) انظر راحة العقل للكرمانى ص ٣٩ .

مواطنه مؤد إلى ترك العمل بظاهره ، وأن العمل بظاهره خاص
بالعامة دون الخاصة .

(١)

وجوزوا أن تحدث في القرآن الزيادة والنقصان .

هـ - معتقدهم في الإمامة :

يرى أهل السنة والجماعة أن الأمة هي مصدر السلطة ، فمن
حقها أن تباع أحد أعضائها وتسلم هذه السلطة إليه ، إذا اعتقدت
أنه أهل لذلك ، فيصبح هذا العضو حينئذ إماما ، ولكن الشيعة
تزعم أن الإمام يقوم بمهمة دينية مفوضا من قبل الله ، وذلك مثل
المهمة التي يقوم بها الرسول ، فليست الأمة هي التي تفوض إليه
القيام بهذه المهمة ، وإنما الله تبارك وتعالى هو المصدر الحقيقي
للسلطة .

ويعتبرون الإمام أسمى رجل من بين البشر إذ أن الله - في زعمهم
اختاره ليكون حارسا على هذه الوديعة المقدسة التي أودعها إياها
لذلك كان الإمام يجب أن يكون معصوما ، لأنه المحافظ على الشريعة
ويرون أنه لا وسيلة غير ذلك لضمان المحافظة على نصوص الشريعة والصدق
في تفسيرها .

لذلك قالوا : إن الإمامة حق إلهي .

هذا مبدأ الإمامية عموما ، لكن ما العلاقة بين الإمامية والباطنية ؟
وهل نظرتهم في هذا الأساس متفقة أم مختلفة؟ والذي أرى أنه لما أراد
الباطنية أن يفسدوا الإسلام ، لم يجدوا طريقا يسلكون إليه

(١) انظر دائرة المعارف البستاني ٣ / ٦٣١ ، والنشرات الإسلامية

ويسيرون به، إلا طريق الإمامية ، من هنا كان شعارهم شعار الإمامية
شعار الوصية والرجعة والغيبة وغير ذلك .

يقول ابن الجوزي : قالت الباطنية : " وأعظم كل بلية علينا محمد
صلى الله عليه وسلم - فإنه نبخ من العرب الطعام فخدعهم بناموسه ، فبذلوا
أموالهم وأنفسهم ونصروه ، وأخذوا ممالكنا ، وقد طالت مدتهم ، والآل
قد تشاغل أتباعه ، فمنهم من هو مقبل على كسب الأموال ، ومنهم من
هو مقبل على تشييد البناء ، ومنهم من هو مقبل على الملاهي ، وطماؤهم
يتلاعبون ، ويكفر بعضهم بعضا ، وقد ضعفت بصائرهم ، فنحن نطمع
في إبطال دينهم ، إلا أننا لا يمكننا محاربتهم لكثرتهم فلا طريق إلا إنشاء
دعوة في الدين والانتفاء إلى فرقة منهم ، وليس فيهم فرقة أضعف عقولا -
من الرافضة ، فندخل عليهم ، بذكر ظلم سلفهم الأشراف من آل نبيهم
ودفعهم عن حقهم وقتلهم وما جرى عليهم من الذل لنستعين بها على
إبطال دينهم ، فتناصروا وتكاتفوا وتوافقوا وانتسبوا إلى اسماعيل بن
جعفر الصادق (١) .

من هنا بدأ ميمون القداح ومن معه عملية الفساد في الأرض اتباعا
لأستاذ الكبير عبد الله بن سبأ .

لقد تطورت فكرة الوصية التي أملاها عليهم ابن سبأ ، فرأوا أن -
الإمامة ثبتت بالنص ، وأن الأرض لن تخلو من إمام معصوم قط قائم بالحق
يرجع إليه في تأويل الظواهر وحل الإشكال في القرآن والأخبار مساوينا
للنبي في العصمة .

(١) انظر تلبيس إبليس لابن الجوزي ص ١٠٤ .

وهذا الإمام إما أن يكون ظاهراً مكشوفاً ، وإما أن يكون مستوراً
باطناً ، فإذا كان الإمام ظاهراً جاز أن يكون حجته مستوراً وإذا كان
الإمام مستوراً فلا بد أن يكون حجته ودعائه ظاهرين .
(١)

وقالوا : إن الأئمة تدور أحكامهم على سبعة ، كأيام الأسبوع والسموات
السبع والكواكب السبع .

والنقباء تدور أحكامهم على اثني عشر ، ويرون أن من مات ولم يعرف
الإمام مات ميتة جاهلية .
(١)

والإمام عندهم يجب أن يكون في أولاد الحسين عليه السلام وأحفاده .
وقالوا : والخلفاء الشرعيون لعلى ، هم الوارثون لمكانته السامية
وعلموه ومناقبه الروحية الخاصة ، وهم جميعاً من ذريته المباشرة من
زوجته فاطمة ، وهم إذاً حفيد الرسول صلى الله عليه وسلم : الحسن ثم
الحسين ومعه سلسلة الأئمة العلويين ، وكل واحد منهم وصى سلفه
يعين بالنص عليه بتكليف من الله ، ويوصى بأن يكون خليفته الشرعى فى
إمامة المسلمين ، وهذا الترتيب قدره الله مقدماً بالنسبة إلى كل زمن
وقدره النبى صلى الله عليه وسلم على أنه تشريع إلهى ، وكل نظام آخر
للخلافة يعد عندهم اغتصاب من الناحية الدينية ، وانتهاكاً لسلامة
الهداية الدينية للأمة الإسلامية من الناحية الروحية ، لأن الإمام فى كل
عصر هو وحده - بما له من عصمة وحق إلهى - صاحب الحق فى الهداية
لأمة وتوجيهها فى كل أمرها الدينية .

وقالوا : إن إمامة الأئمة عليهم السلام ، ليست متعلقة بإثبات
المثبتين إياها ، فتبطل إذا لم يثبتوها ، بل إمامتهم ثابتة أثبتها المثبتون

أم لم يثبتوها ، فهي ثابتة ، والله سبحانه وتعالى أثبتها؛ ولكن

(١)

للدّالين عليها والداعين إليها ، وإن كانوا وسائط فيما بين الأئمة .

وقالوا : لا يجوز ولا يتصور خروج إمامين في زمان واحد بل يستظهر

الإمام بالدعاة وهم الحجج ، ولا بد للإمام من اثني عشر حجة أربعة

(٢)

منهم لا يفارقونه .

ويعتقدون أيضا وجود الفيض الإلهي من المعرفة التي يفيض الله

بها على الأئمة ، فيجعلهم بمقتضى إمامتهم فوق الناس قدرا ، وفوق

الناس علما ، فهم قد اختصوا بعلم ليس عند غيرهم ، وأن عندهم علما

بالشريعة قد أوتوه فوق مدارك الناس .

والأئمة تجب طاعتهم سواء أكانوا ظاهرين معروفين أو كانوا مخفيين

مستورين ، لأنه إن لم يظهر في جيل فإنه لا بد أن يظهر في جيل من

الآجيال .

وقالوا : إنه يعلم الغيب ، وإن العلم يتصل به من مدبر عالم الكون

وهو يعلم ما يحدث في الأرض .

وقالوا : إن الإمام ليس مسؤولا أمام أحد من الناس ، وليس لأحد

من الناس أن يخطئه مهما يأت من الأفعال ، بل يجب عليهم أن يصدقوا

كل ما فعله خيرا لا شرف فيه ، لأن عنده من العلم مالا قبل لأحد بمعرفته

ومن هذا قرروا أن الأئمة معصومون لا بمعنى أنهم لا يرتكبون الخطايا

التي نعلمها بل على معنى أن ما نسميه نحن خطايا قد يكون عندهم من

(٣)

العلم ما ينير السبيل لهم فيه ويكون سائغا لهم ، وليس بسائغا لسائر الناس .

(١) انظر مجموعة الرسائل الكرمانى ص ١١٤ - ١١٥ .

(٢) القرامطة لابن الجوزي ص ٦٠ .

(٣) تاريخ المذاهب الإسلامية محمد أبو زهرة ص ٦٣ .

وقد زعم الكرمانى : أن الإمام قائم مقام الرسول ، فيما يتعلق به من أمر الدين كله ، فإذا كان النبى معصوماً وجب أن يكون الإمام (١) أيضاً معصوماً ، فالإمام عنده معصوم عصمة ذاتية .

فهذا اعتقادهم فى الأئمة ، لكن الذى أرى فى قولهم هذا أى عصمة الأئمة ، وأنهم يعلمون الغيب ، مع بطلان هذا القول عقلاً وشرعاً ، أنهم يدركون بطلان قولهم هذا ، وإنما غرضهم تضليل المسلمين الضعفاء الذين لا حول لهم ولا قوة فى رد المشككين والمنافقين فى هذه الأمور ، ولا أتصور أن يكون المفكرون فيهم لاسيما الأولون منهم يعتقدون بفكرة الإمام المعصوم .

٦ - الظاهر والباطن :

ومن أصول مبادئهم أن لكل لفظ ورد فى الشرع ظاهراً وباطناً وأن لكل معنى فى الشرع ظاهراً وباطناً ، وأن الباطن هو اللب ، وأن - الظاهر هو القشر .

ونتيجة لهذا المبدأ أخذوا يفسرون النصوص الشرعية ويفسرون المعانى الشرعية حتى المتواترة منها حسب أهوائهم ، فقالوا : للشرائع باطن ولا يعرفها إلا الإمام أو من ينوب منابه ، وكذلك ، قالوا : - كما سبق فى الحشر والنشر وغيرهما مما يتعلق بأمور المعاد ، وقالوا : كلها أمثلة ورموز لبواطن ، فمعنى الغسل عندهم : تجديد العهد على الإمام ومعنى الطهور : التبرؤ من كل مذهب خالف الباطنية ، ومعنى الصلاة الدعوة إلى الإمام ، ومعنى الزكاة : بث العلم لمن يتزكى ، ومعنى الصوم : كتمان العلم عن أهل الظاهر ، وكذلك كتمان المذهب عنهم ، ومعنى

(١) انظر راحة العقل ص ٣٥ .

الحج : طلب العلم الذى تشد رحائل العقل إليه ، ثم قالوا بعد ذلك :
بتفضيل الباطن على الظاهر ، وخطوا من قدر الظاهر حتى جعلوه موضع
السخرية والاستهزاء .

فكان الأئمة يفهمون طلبتهم من الطبقة العليا ، أن الظاهر متناقض
(١)
ومعوج ، وأن أهل الظاهر هم أهل الكفر بل هم أهل الشرك .

بهذه الطريقة حاولت الباطنية أن تفسد مفاهيم المصطلحات الإسلامية
التي جاء بها القرآن والسنة النبوية ، والتي يتفق المسلمون على
معانيها كالنبوة والرسالة ، والملائكة والمعاد والجنة والنار ، والفرض
والواجب ، والحلال والحرام ، فقد ابتدعوا لكل مصطلح منها مفهوما
مخالفا للحقائق الإسلامية الأساسية التي تعبر عنها هذه الكلمات .

يقول الإمام يحيى بن حمزة العلوي : " اعلم أنهم لما عجزوا عن صرف
الخلق عن التصديق بالقرآن والسنة ، وأعياهم الأمر فإبطال حكم الشريعة
وهدم قواعد الملة وتعفية آثارها ، عمدوا إلى صرفهم عن المراد بظواهر
هذه الأمور إلى مخاريف وزخرفوها وتهويسات من تلقاء أنفسهم لفقوها
ليستفيدوا لما اقترفوه من أنفسهم إلى إبطال ظواهر الشريعة ، وبما اختلقوه
وزخرفوه من التأويلات انقياد أكثر الخلق لمتابعتهم ، وموالاةهم .

(٢)

ويعلمون أنهم لو صرحوا للخلق بالنفس المحض والتعطيل الصـ
والتكذيب المحض ، لم يثقوا بانقياد أحد لضلالاتهم ، ولا بإصفاة شخص
واحد لجهالاتهم ، ولكانوا أول المقتولين ، ولذهبت دماؤهم هــ
وأموالهم طمعا .

(١) انظر النشرات الإسلامية ص ٨ .

(٢) هكذا فى الأصل ولعل الصواب هو : النفس المحض .

فقالوا : " كلما ورد من الظواهر فى التكاليف والحشر والنشر وسائر

المعجزات فهى كلها أمثلة وموزة الى بواطن م

فقالوا : " الصلوات الخمس عبارة عن الأصول الخمسة : السابق والتالى

والناطق ، والأساس ، والإمام ، والصيام : هو الإمساك عن كشف السر

وأن الحج والكعبة عبارة عن النبى والباب على والصفاء أيضا النبى ، والعروة
(١)

على ، والميقات : هو الأساس " .

ويقول الشيخ أبو الحسن الندوى :

" لقد كان إنكار المفاهيم الدينية التى توارثها الأمة ، تفسير الكلمات

الشرعية والمصطلحات الدينية حسب الأغراض والأهواء ، والفصل بين

الظاهر والباطن ، بابا لم يزل يدخل منه الثائرون على النبوة المحمدية

والمؤمنات ضد الإسلام ، لقد نصبوها ألغاما ينسفون بها هذا البناء

العظيم الذى أقامه محمد صلى الله عليه وسلم وخلفاؤه ، والذى لا يسزال

يؤدى هذه الأمة العظيمة فى مشارق الأرض ومغاربها ، ويؤسسون على

انقاضه هيكلا دينيا جديدا لقد كان ذلك كله محاولة لإنشاء دولة مستقلة

فى ضمن دولة الشريعة الاسلامية ، وإنشاء مجتمع مستقل فى وسط المجتمع

الإسلامى ولقد رأينا المنافقين والملحدون الذين ثاروا على هذه

النبوة المحمدية فى زمانهم أسرعوا إلى إنكار هذا التواتر المعنوى والتواتر

اللفظى ، وحاولوا أن يجعلوا هذه الشريعة ومصطلحاتها ومفاهيمها بحيث

يعبث بها العابثون ، وذلك مهدوا لأنفسهم قيام سيادة دينية ونبيوية

جديدة يتمتعون فى ظلها بسلطان روحى ، وسيطرة سياسية ، وحريية

مادية ، ومن أوضح أمثلتها : البهائية فى إيران ، والقاديانية فى

(١) الإفحام لأفئدة الباطنية الطغام ص ٧١ .

الهند ، ولكنها تلتقى على انكار التواتر المعنوى ، وتأويل الكلمات
(١)
الشرعية الإسلامية المتواترة تأويلا لا يقوم على اللغة ، أو القياس ، والمنطق .
" لقد أدرك الباطنية بذكائهم ، أن هذه الصلة القائمة بين الكلمات
والمصطلحات الدينية ومعانيها ، أساس تقوم عليه الحياة الإسلامية والهيكـ
الفكرى والعطى فى حياة المسلمين ، ولهذا الصلة تدين الوحدة الدينية
والفكرية التى يمتاز بها المسلمون ، وعن طريق هذه الصلة يتصل المسلمون
بماضيهم ومناياهم الصافية ، فإذا انقطعت هذه الصلة - بين الكلمات
والمعاني - وأصبحت الكلمات لا تدل على معنى خاص ومفهوم معين أو تسرب
الشك والاختلاف إليها ، أصبحت هذه الأمة فريسة لكل دعوة وفلسفة
وساغ لكل أحد أن يقول : ماشاء ، ويروج على كثير من العامة وأشباه
العامة ، بل الخاصة ، وعت الفوضى العقلية والدينية ، وذلك ما يريدون
(٢)
ومنه يدخلون " .

وقد جمعت هذه الدعوة المنافقين والملحددين وطلاب المغام والمليذات .
ومن هذه الدعوة انبثقت أكثر الدعوات الهدامة التى قامت فى العالم
الإسلامى .

وكان فيما حكى عن الباطنية من مذاهبهم أنهم جاءوا بكتاب فيه :
بسم الله الرحمن الرحيم ، يقول الفرّج بن عثمان ، وهو من قرية يقال لها
نصرانة : داعية المسيح ، وهو عيسى ، وهو الكلمة ، وهو المهدي ، وهو
أحمد بن محمد الحنفية ، وهو جبريل ، وذكر أن المسيح تصور له فى جسم

(١) رجال الفكر والدعوة فى الإسلام ص ١٤٧ - ١٤٨ .

(٢) المصدر السابق : ص ١٤٤ .

وانسان ، وقال له : بانك الداعية ، وانك الحجة ، وانك الناقة وانك الداية ، وانك يحيى بن زكريا ، وانك روح القدس ، وعرفه أن الصلاة أربع ركعات : ركعتان قبل طلوع الشمس ، وركعتان بعد غروبها ، وأن الاتذان في كل صلاة أن يقول المؤذن : الله أكبر الله أكبر، أشهد أن لا إله إلا الله مرتين ، أشهد أن آدم رسول الله ، أشهد أن نوحا رسول الله ، أشهد أن إبراهيم رسول الله ، أشهد أن موسى رسول الله ، أشهد أن عيسى رسول الله ، أشهد أن محمد رسول الله ، أشهد أن أحمد بن محمد بن الحنفية رسول الله ، وأن يقرأ في كل ركعة الاستفتاح وهو من المنزل على أحمد بن محمد بن الحنفية ، وأن القبلة إلى البيت المقدس ، والحج إلى البيت المقدس ، وأن الجمعة يوم الإثنين ، لا يعمل فيه شيء .

ومن شريعته ، أن يصوم يومين في السنة ، وهما مهرجان نيروز وأن - (١) -
اللبيد حرام وأن الخمر حلال ، ولا غسل من الجنابة إلا الوضوء كوضوء الصلاة .
وهذا كله تناقض في التعليم ، مرة يقولون : ان الألفاظ تدل على رموز وإشارات ، وليس مرادها ظاهرها ، ومرة أخرى يفسرون بتفسير آخر لا يمكن أن يصدقه العاقل ، وهم يدرون ذلك ، وإنما الهدف الوحيي هو الانتقاص من الشريعة الإسلامية ، متمثلة في دولتها ، وإنشاء مجتمع آخر أشارت إليه إشارات ورموز .

وقد استدلوا على وجوب التأويل بما يلي :

قالوا : إن مثالة الدين تؤخذ من خلق السموات والأرض ، وتركيب

(١) انظر الكامل في التاريخ لابن الأثير : ٤٤٢/٢ ، واتعـاظ

الحثفاء للمقريزي ١/١٥٣ .

الأفلاك وجميع مايتأمل ما خلقه الله ، فقد ركزت في المخلوقات كل معانى الدين الذى حمله القرآن الكريم ، فآيات القرآن إذا فى حاجة إلى من يستنبط كنوز هذه المعانى ، واستنادا لهذه الطريقة أوجدوا نظرية المثل والمثول ، والباطن والظاهر ، وجعلوا الظاهر يدل على الباطن وسمّوا الباطن مثولا والظاهر مثالا .

وفى ذلك يقول الداعى المؤيد بالدين هبة الله : " خلق الله أمثالا ومثولا ، فجسم الإنسان مثل ونفسه مثول ، والدنيا مثل والآخررة مثول ، وأن هذه الأعلام التى خلقها الله تعالى ، وجعل قوام الحياة بها من الشمس والقمر والنجوم لها ذوات قائمة يحل منها محل المثل ، وأن قواها الباطنة التى تؤثر فى المصنوعات هى مثول تلك الأمثال ، وعلى هذه النظرية يجب أن يكون فى العالم الأرضى عالم جسمانى ظاهريماثل العالم الروحانى الباطن ، فالإمام هو المثل للسابق ، وحجته مثالا (١)
التالى ، وكذلك خصائص العقل الأول (السابق) جعلت للإمام (٢)

وقالوا : إنه من لم يؤمن بهذا المبدأ ، مبدأ الظاهر والباطن ، فإنه يخرج من الدين ، ذلك أنهم يرون أن للدين ظاهرا وباطنا ، والباطن هو المقصود عندهم - كما سبق بيان ذلك - ولذلك ذهبوا إلى تكفير من اعتقد بالباطن دون الظاهر أو الظاهر دون الباطن ، وفى ذلك يقول :
الداعى المؤيد بالدين : " من عمد بالباطن والظاهر معا فهو منا ، ومن عمد بأحدهما دون الآخر ، فالكلب خير منه وليس منا " .

(١) تاريخ الدعوة الاسماعيلية مصطفى غالب ص ٥٣ .

(٢) المصدر السابق ص ٤٩ وانظر أيضا راحة العقل للكرمانى ص ٣٨ .

وغالب من يخاطبونهم هم الجاهل لا العلماء ، ويجتهدون في زلزلة عقائدهم بالقاء التشابه ، وكل ما لا يظهر للعقول معناه ، مثل معنى الاغتسال من المنى دون البول ، ولم كانت أبواب الجنة ثمانية وأبواب النار سبعة ؟ ولم كانت السموات السبع ، وغير ذلك من الأسئلة المعوجة .

والهدف من هذا معروف ، وواضح لدى كل عارف بحقائق الباطنية . والخلاصة ، أن الفرق الباطنية من أساسها ، خارجة عن الإسلام ، وإن - اعتبرت هي نفسها من الفرق الإسلامية ، حيث إنهم مزجوا الإسلام بمختلف الأديان والآراء ، بدعوى أن مذاهبهم يستغرق المذاهب كلها ، فكأنهم أرادوا أن يصنعوا ديناً عقلياً يعلو الأديان جميعاً ، مغايراً لأصول الإسلام . وقد تبين أن مفهومهم لله سبحانه وتعالى مفهوم فاسد ، وكذلك بقيضة شعائر الإسلام وحقائقه الثابتة ، ومن ذلك إنكارهم الخالق ، حيث إنهم ينفون الصانع الحقيقي للعالم إن يدعون أن العالم قديم ، وإن كان العالم قديماً ، فلا صانع في الحقيقة ، وقد صرح بهذا صاحب " البلاغ " في كتابه في مواضع ، وقولهم في الله تعالى : بأنه لا يوصف بنفى ولا إثبات مقصودهم من ذلك كله جحد الصانع والخالق ، وإنما تستروا - بقولهم : - أنه لا موجود ولا معدوم ، ولا قادر ولا غير قادر ، ولا عالم ولا غير عالم ، وكذلك في باقي الصفات - عند العامة حتى لا يفهم مقصودهم ، فإنه لا نفى أبلغ من هذا القول - كما سبق - إنه ليس بشئ " لا موجود ولا معدوم .

وهذا هو المذهب الذي قامت به الباطنية في جهة العقيدة من إفساد

وتخريب .

وأما ما قامت به من الجهة السياسية والجهة العسكرية ، فكان مكرًا عظيمًا

ضد المسلمين لاسيما علماءهم ، لقد قتلوا كثيرا من المسلمين وأخافوا
الحجاج والمسافرين ورؤوا الأمنين وأخذوا الحجر الأسود وقبضوا عليه
في الاحساء اثنين وعشرين سنة لا شهرا ، واستخفوا ببيت الله الحرام
وخرّبوا المساجد واستحلوا كل المحرمات في الدين ، وهجروا القرآن وجميع
أحكام الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم .

يقول ابن الجوزي وهو يتحدث عن تخريبهم :

" كانوا يسرقون الإنسان ، ويقتلونه ، ويلقونه في البئر ، وكان الإنسان
إذا دنا وقت العصر ، ولم يعد إلى منزله أيسوا منه ، وفتش الناس المواضع
فوجدوا امرأة في دار لا تبح فوق حصير فأزالوها ، فوجدوا تحت الحصير
أربعين قتيلًا ، فتقتل المسلمون المرأة وأحرقوا الدار والمحلة .

وكان يجلس رجل ضريح على باب الزقاق الذي فيه هذه الدار - فإذا مر
إنسان سأله أن يقوده خطوات إلى الزقاق ، فإذا حصل هناك جذبه من
في الدار واستولوا عليه ، فجد المسلمون في طلبهم بأصبعهم وقاتلوا منهم
(١)
خلقا كثيرا " .

ويقول عبد القاهر البغدادي : " اعلموا أسعدكم الله أن ضرر الباطنية
على فرق المسلمين أعظم من ضرر اليهود والنصارى والمجوس عليهم ، بل
أعظم من مضرة الدهرية ، وسائر أصناف الكفرة عليهم ، بل أعظم من ضرر
الرجال الذي يظهر في آخر الزمان ، لأن الذين ضلوا عن الدين بدعوة
الباطنيين من وقت ظهور دعوتهم إلى يومنا أكثر من الذين يضلون
بالدجال في وقت ظهوره ، لأن فتنة الدجال لا تزيد مدتها على أربعين

(١)

يوما ، وفضائح الباطنية أكثر من عدد الرمل والقطر * .

وقد هيا الله تبارك وتعالى بفضل العظم رجالا يذبون عن دينه وعن عقيدة المسلمين ، ويبينون للغاس ما يكيده الأعداء ، فقد قام أهل السنة والجماعة بمطاردة هؤلاء ومقاومتهم ، وواجهوا مفاهيمهم وردوا عليهم ، ونقضوا شبههم ، وتأكد للباحثين والمؤرخين ، أن هذه الفرقة وهذه الحركة ، حركة معادية للإسلام ، وناشئة من دين أجنبي ولها صلة وثيقة بالحركات اليهودية ، وأنها أهدت منها .

وهذا اتخذ المسلمون موقفا عظيما تجاه هذه الحركة الهدامة

(٢)

(يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون) .

لولا حفظ الله لدينه ثم يجهود علماء المسلمين المخلصين لأصاب

الدين الإسلامي ما أصاب اليهودية والنصرانية .

* * * *

(١) الفرق بين الفرق ٢٦٥ .

(٢) الصف : ٨ .

” الباب الرابع ”

” الآثار المترتبة على إفساد اليهود : العقيدة ونشر الإلحاد والكفر

بالله ورسوله واليوم الآخر .

الفصل الأول : الآثار التي ترتبت على إفساد اليهود لعقيدتهم .

الفصل الثاني : الآثار التي ترتبت على إفساد اليهود للعقيدة

المسيحية .

الفصل الثالث : الآثار التي ترتبت على محاولات اليهود إفساد العقيدة

الإسلامية .

الفصل الأول

الآثار التي ترتبت على إفساد اليهود لعقيدتهم .

١ - الكفر بالله سبحانه وتعالى .

٢ - الكفر باليوم الآخر .

٣ - الإفساد في الأرض .

٤ - قسوة قلوبهم .

٥ - عدم انتفاعهم بهدى الله .

٦ - ضربت عليهم الذلة والمسكنة .

٧ - طردهم من رحمة الله .

الباب الرابع : الآثار التي - ٢٠١ - ترتبت على إفساد اليهود العقيدة ونشر الاتحاد والكفر بالله ورسوله واليوم الآخر .

الفصل الأول :

الآثار التي ترتبت على إفساد اليهود لعقيدتهم .

تعرضت لجانب من هذا الموضوع في الفصل الثاني من الباب الأول
ولكن دون تفصيل وتوضيح ، وأبين هنا طائفة من الآثار التي نتجت عن
تحريفهم للعقيدة التوراتية إن شاء الله تعالى . ولا أستطيع سبر كل
ما قام به اليهود من الإفساد والتخريب ، من بعد فقد هم عقيدة التوحيد
إن هو أمر لا يمكن إحصاؤه واستيفاؤه في مثل هذا البحث .
من تلك الآثار :

١ - الكفر بالله سبحانه وتعالى .

إن اليهود قد انسلخوا في الحقيقة من الدين جملة وتفصيلا ، فقالوا :
على الله ماشاء أن يقولوا ، قالوا : إن الله فقير ونحن أغنياء ، كما تحدث
القرآن عن هذا في قوله :

(لقد سمع الله قول الذين قالوا : إن الله فقير ونحن أغنياء
سنكتب ما قالوا ، وقتلهم الأنبياء بغير حق ونقول : ذوقوا عذاب
(١)
الحريق) .

وقالوا : يد الله مغلولة . قال تعالى مخبرا عن ذلك :
(٢)
(وقالت اليهود يد الله مغلولة ، غلت أيديهم ، ولعنوا بما قالوا) .
فتصورهم لله عز وجل كان تصورا شاذا ، يتصورونه تصورا لا يليق بجلاله

وعظمته عز وجل .

(١) آل عمران : ١٨١ .

(٢) المائدة : ٦٤ .

لقد وجد في كتابهم المقدس " التلمود " ما لم ينقل عن أى دين

وضعى فضلا عن دين ربانى .

ففى التلمود النصوص التالية :

١ - إن الله يذاكر التلمود فى الليل مع الملائكة . مع أن التلمود من وضع
أخبارهم .

٢ - سعيد هو الملك الذى يسبح فى بيته ، ولكن أى تمجيد يستحق ذلك
الأب الذى يترك أولاده يتمرغون فى الشقاء .

٣ - إن الله يرقى - استغفر الله العظيم - وأول رقصة رقصها الله ، كانت مع
حواة بعد أن برجها وزينها وشرح شعرها بنفسه .

٤ - أما من بعد الهيكل إلى الآن ، فإن الله لم ينقطع عن البكاء والنحيب
لأنه ارتكب خطيئة ثقيلة ، وهذه الخطيئة قد أبهظت ضمير الله
حتى إنه يطوى ثلاثة أرباع الليل منكشاً على ذاته مائلاً الدنيا زئيراً
كالأسد الصريع ثم يصرخ .

٥ - إن الله قد خصص ثلاثة أرباع الليل للبكاء والندم ، وإذا بكى سقطت
من عينيه دمعتان فى البحر ، فيسمع دويهما من فى أفاق الأرض
وتضطرب المياه ، وترتجف الأرض ، فيحدث عن ذلك الزلزال . وإن الله
يردد فى بكائه ونحيبه : تبألى أمرت بخراب بيتى وإحراق الهيكل
(١)
وتشريد أولادى .

فهذا بعض ما أخبرنا به " التلمود " الذى هو من كتب اليهود

المقدسة ، وهو الذى يجب العمل بأحكامه .

(١) انظر همجية التعاليم الصهيونية بولس يوحنا مسعد ص ١٠٩ - ١١١ .

وهل نقول بعد هذا ، بأن هؤلاء يقرّون بوجود الله الذى نؤمن به نحن ؟ والذى ليس كمثله شئ ؟ .

أعتقد أن ذلك بعيد ، ليس هذا الإله الذى نعرفه إنما هو إله اخترعوه من قبل أهوائهم ، وذلك نتيجة تحريفهم للعقيدة الإلهية وإفسادها واعتقدوا أيضا بأن هذا الإله الذى اخترعوه إله خاص بهم ، فهو إله إسرائيل فقط . أما ما يعبد سائر الناس ، فإنه ليس بإله ، وإنما الإله الحق هو إله يهود ، واعتبروا بقية الشعوب وهم " الجويم " عباد أوثان مشركين وهم وحدهم المؤمنون ، وهذا صار إلههم إله قوميا ، وجرحهم اعتقادهم هذا إلى أنهم مخلوقون من نفس عنصر هذا الإله المزعوم .

ومع هذا نرى اليهود لا يخلصون لإلههم هذا فى العبادة ، بل هناك معبودات أخرى مادية ، وهى الذهب وما يقوم مقامه ، وكذلك أحبارهم اتخذوهم أربابا من دون ، لأنها هى التى تأمرهم وتنهاهم ، وتشعر لهم ماتشاء ، تحلل ماتشاء ، كما تحرم ماتشاء من ذلك . وصارت كلمات الربانيين أقدس من كلام الله تعالى . قالوا : " ليس من سعادة للإنسان الذى يعتدى على أحكام التلمود ، وتعاليمه ، ويحافظ على التوراة " وقالوا : " إن الذين يدرسون التوراة يحتمل أن يكون عملهم فضيلة أو غير فضيلة . أما الذين يدرسون المشنا فإنهم يمارسون الفضيلة ، ويشابون عليها ، إلا الذين يدرسون الجمار يكتسبون أعظم فضيلة ، وأسماها .

(١) مشنا : من التلمود ، والجمارا شرحه ، والمتن والشرح / التلمود " . هو

ويقول العالم المشهور راشي : مستمدا روح كلامه من التلمود :
"اصنع يا بني لكلام الريانيين أكثر من اصفائك للشرعة" وقالوا : إن من
يطالع التوراة بدون مشنا والجمارا فهو كالذى لا يقرب وجود الله .

ووصل بهم القبح إلى أن قالوا : "إن الله يأخذ رأى الريانيين المعاشين
على الأرض في المشاكل التي تنشأ في السماء" .

وقالوا : إن الله إذا عَضِد ريانيا في مجادلة فإنه أيضا يعضد خصمه
(١)
في المجادلة نفسها ولو غلبه" .

ومن هذا نستطيع أن نجزم ، أن تعاليم الريانيين في التلمود لم ي
أطيب من كلام رب العالمين ، وهذا أسوأ أخبار آلهة أخرى من دون الله
وما جعل اليهود الريانيين في هذه الدرجة ، ولم يعطوهم هذا الشرف
إلا لأنهم أباحوا لهم ما حرم الله عليهم من السحت وأكل مال الناس بالباطل
فلما أحلوا لهم هذه الأمور ألهمهم من دون الله ، فصاروا عبيد الدنيا
والدراهم ، فتعسوا وهلكوا . جاء في الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه
أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "تعسى عبد الدينار ، تعسى
عبد الدرهم ، تعسى عبد الخميصة ، تعسى عبد الخميعة ، إن أعطى رضى
وإن لم يعط سخط ، تعسى وانتكس وإذا شيك فلا انتقش" روا البخاري . يقول
سيد قطب رحمه الله : " لقد حفلت ديانة بني إسرائيل - اليهود -
- بالتصورات الوثنية ، وباللوثة القومية على السواء " - فبنو إسرائيل -
وهو يعقوب بن اسحاق بن إبراهيم عليهم السلام - جاءتهم رسلهم - وفسى

(١) همجية التعاليم الصهيونية بطرس يوحنا ص ١٠٠ - ١٠٣ .

(٢) كتاب الجهاد ٧٠ .

أولهم أبوهم إسرائيل- بالتوحيد الخالص الذى علمهم إياه أبوهم إبراهيم ثم جاءهم نبيهم الأكبر- موسى عليه السلام- بدعوة التوحيد أيضا مع الشريعة الموسوية العينية على أساسه ، ولكنهم انحرفوا على مدى الزمن ، وهبطوا فى تصوراتهم إلى مستوى الوثنيات ، وأثبتوا فى كتبهم " المقدسة " وفى صلب " العهد القديم " أساطير وتصورات عن الله - سبحانه - لا ترتفع عن أحط التصورات الوثنية عند الإغريق وغيرهم من الوثنيين ومن لوثة القومية واعتقادهم أن إلههم إله قوم لا يحاسبهم بقانون الأخلاق إلا فى سلوكهم مع بعضهم البعض ، أما الغرباء - غير اليهود - فهو لا يحاسبهم معهم على سلوك معيب " .^(١)

وأرى أن أختتم هذه الفقرة بمقاله الدكتور أحمد شلبى حينما صوّر عقيدة اليهود تصويرا دقيقا ، وبين ما وصلت إليه عقيدتهم الإلهية من تحريفات مليئة بالكفر فقال :

" على أن مسألة الألوهية كلها سواء اتجهت للوحدانية أو للتعدد لم تكن عميقة الجذور فى نفوس بنى إسرائيل ، فقد كانت المادة والتطلع الى أسلوب تغذى فى الحياة من أكثر ما يشغلهم ، وإذا تخطينا عدة قرون فإننا نجد الفكر اليهودى الحديث ، يجعل لليهود ربا جديدا نفعيا كذلك ، ذلك تربة فلسطين ، وزهرير تقالها ، والذى يقرأ رواية " طومى للخائفين " للكاتبة اليهودية يائيل ديان ابنة القائد الصهيونى العسكرى موسى ديان ، يجد أحد أبطالها " إيفرى " ينصح ابنه الطفل بأن يتخلص

(١) خصائص التصور الإسلامى ومقوماته ص ٢٩ - ٣١ .

عن الذهاب للكنيسة ، وأن يحول اهتمامه لإلهه الجديد : تراب فلسطين ونقتبس فيما يلي سطوراً من هذه الرواية :

" صبي يحب أن يذهب إلى الكنيسة مع أمه ، ولكنه عندما عاد مرة من المعبد الذي لا يذهب إليه إلا القليلون ، ثار أبوه في وجهه بحديث له مغزى عميق ، قال له : أيام زمان حين كنا يهوداً في روسيا وغيرها ، كان من الضروري بالنسبة لنا أن نطيع التعليمات ، ونحافظ على ديننا ، فقد كان الدين اليهودي لنا وسيلتنا لتعاون ونتعاطف ونزود عنا الردي ، أما الآن فقد أصبح لدينا شيء أهم هو الأرض ، أنت الآن - إسرائيلى ، ولست مجرد يهودى ، إنى قد تركت في روسيا كل شيء ملبس ومثاق ، وأقارب وإلهى ، وعثرت هنا على رب جديد ، هذا الرب الجديد هو خصب الأرض وزهر البرتقال ، ألا تحس بذلك ؟ وأخذ يافرى حفنة من تراب الأرض وسكبها في كف ابنه ، وقال له : أمسك هذا التراب ، اقبض عليه تحسسه تذوقه ، هذا هو ربك الوحيد ، إذا أردت أن تصلى للسماء فلاتصل لها لكى تسكب الفضيلة في أرواحنا ، ولكن قل لها أن تنزل المطر على أرضنا ، هذا هو المهم ، إياك أن تذهب مرة أخرى إلى المعبد .

فهذه قصة إلهه عند اليهود ، وهى واضحة الدلالة على أن اليهود لم يعرفوا إلهه الحق فى أكثر تاريخهم ، وهم الآن يتخذون تراب فلسطين (١) إلههم " .

وهذا فقدوا الدين والتالى فقد الأخلاق ، ومن فقد الدين والأخلاق فقد فقد كل شيء فى حياته الدنيوية والأخرية .

(١) مقارنة الأديان - اليهودية : ص ٢٠٠ - ٢٠١ .

٢ - التكفر باليوم الآخر :

تقدم لنا أن اليهود ينكرون البعث والنشور والحساب والجزاء ، ذلك أنهم لما حرقوا ما جاء في التوراة مما يتعلق بيوم الحساب الذي كان موسى عليه السلام يؤمن به ، وقعوا في حيرة من أمرهم ، فنفوا الحساب في الآخرة ، وزعموا أن الثواب والعقاب يحصلان في هذه الدنيا ، وإن وجد جعلتهم هذه العقيدة المنحرفة ، يصممون على اغتيال أهل الأرض ويتنعمون بشقائهم ، وقد سبق بيان هذا فلا أطيل فيه الكلام . والذي لا شك فيه أنه من لم يؤمن بيوم الجزاء والحساب لم يجد راد عاله عن الإجرام ، وظلم الناس ، وافتراق الذنوب ، لأن الدوافع التي تمنعه قد فقدت ، وبذلك كان اليهود من أكثر الناس إجراما على وجه الأرض ، لأنهم قد يثسوا من الآخرة كما يثس الكفار من أصحاب .

٣ - الإفساد في الأرض :

قال الله تعالى في محكم كتابه العزيز :

(١)

(ويسعون في الأرض فسادا ، والله لا يحب المفسدين) .

يقول ابن كثير رحمه الله في تفسير هذه الآية : " أى سجيبتهم أنهم دائسا

(٢)

يسعون في الإفساد في الأرض ، والله لا يحب من هذه صفته " وتعبير

الآية يفيد أنهم لا ينفكون عن الفساد في الأرض ما كان لهم وجود في الدنيا

فهم يسعون أبدا إلى نشر الفساد : الفساد العقدي والخلق ، وكل أنواع

الفساد ، هكذا كان قداماؤهم ، وهكذا يكونون إلى أن يرث الله الأرض ومن

عليها ، أو يد مروا تدميرا كاملا ، ويفنوا فنا تاما .

(١) المائدة : ٦٤ .

(٢) مختصر ابن كثير ١ / ٥٣٢ .

يقول ابن جرير الطبري رحمه الله تعالى وهو يفسر معنى قوله تعالى :

(ويسعون في الأرض فسادا) بلا يعمل هؤلاء اليهود بمعصية الله ، فيكفرون بآياته ، ويكذبون رسله ، ويخالفون أمره ونهيه ، وذلك (١) سعيهم فيها بالفساد ، والله لا يحب المفسدين * .

فاليهود يسعون إلى تحقيق مخططاتهم الخبيثة ، وهي السيطرة على العالم وتجريد الأمم من عقيدتها وأخلاقها ، وممالكها وكل ماتعتزبها الأمم ، نعم لا يزالون ، ولن يزالوا يسعون للفساد ، إن أتقنوا بطول السعى والمزاولة لإيقاد نار الحرب بين الأمم والدول ، فأصبحت هذه طبيعة لا تفارقهم ، لأن لفظ يسعون يفيد الإصرار والعزم والمثابرة ، وعدم الفتور واضرام النار التي تبلغ الغالب والمغلوب ليفوزوا هم بفنمية الساعى وحده كيف لا وهم يعتقدون أنه من وقع بالأمين مايكرهون يثيبه الله على عمله ثوابا عظيما ، كما سبق بيان ذلك في الفصل الثاني من الباب الأول .

ولذلك لا يتناهون عن منكر فعلوه ، وإن لا منكر في جانب الجويميم ، فالمنكر عندهم منحصر في دائرة ضيقة ، وهو ما إذا كان مع بعضهم البعض قال الله تعالى مخبرا بذلك :

(ومن أهل الكتاب من إن تأمنه بقنطار يؤده إليك ، ومنهم من إن تأمنه بدينار لا يؤده إليك إلا ما دمت عليه قائما ، ذلك بأنهم قالوا : ليس علينا في الأميين سبيل ، ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون) (٢)

(١) جامع البيان ١٩٦/٦٠ .

(٢) آل عمران : ٧٥ .

والفريق الذى إذا أؤتمن يدينار لا يؤده هم اليهود .

وجاء فى البروتوكول السابع مايلى :

" ولما كنا قد صمنا العزم على اشعال نار الفتنة والبغضاء والأحقاد فى جميع البلدان الأوروبية والأقطار الأخرى ، فسنحصل على المهتم ضعفين ، فمن جهة نبث الرعب فى جميع البلدان حتى تعتقد بأن فى قدرتنا إيجاد الاضطرابات عند ما نريد ، كما أن فى وسعنا إعادة النظام فى أى وقت نشاء ويصحب اعتقادها هذا إيمانها بأن وجودنا ضرورة ، لاغنى لهما عنا وسيحدونا عند الاستعانة بنا .

والمسلم يدرك حقيقة إفساد اليهود إذا تأمل تأملا عميقا ما جاء فى القرآن الكريم ، ويتذكر أنه من كلام الله عز وجل الذى أنزله بعلمه المحيط بكل شئ . قال تعالى عنهم :

(وترى كثيرا منهم يسارعون فى الإثم والعدوان وأكهم السحت لبئس ماكانوا يعملون) . وقد أثبت تاريخهم الطويل أنهم كما ذكرت هذه الآية يسارعون فى الإثم على اختلاف درجاتهم ومستوياتهم ، يسارعون فى العسوان فيثير الفتنة بين الناس ، ويوقدون نيران الحروب ، ويتخذون كل وسيلة لأكل أموال الناس بالباطل سحتا وقد أسرف ولیم كار عندما قال :

(د) إسرائيل ، وراء كل ثورة قامت ، وراء كل حرب اندلعت ، وراء كل زعيم سيطر وساد ، وراء كل فساد ، وراء كل المبادئ الهدامة : الشيوعية الصهيونية ، النازية ، الفاشية ، الماسونية ، والهدف القضاء على الأديان (٢) والسيطرة على العالم لإقامة مملكة الشيطان» .

(١) المائدة : ٦٢ .

(٢) الدنيا لعبة لإسرائيل ص ٢ .

هذا الكلام قد يكون مبالغاً فيه ، فاسناد كل صغيرة وكبيرة
إلى اليهود ليس صحيحاً ، إلا أن معظم الفساد الذى يقع فى العالم
وراء يهود أو معاونوا اليهود .

يقول محمد خليفة التونسى : " الأصابع اليهودية كامنة وراء كل
دعوة تستحق بالقيم والأخلاق ، وترمى إلى هدم القواعد التى يقوم عليها
مجتمع الإنسان فى جميع الأزمان .

فاليهودى كارل ماركس وراء الشيوعية التى تهدم قواعد الأخلاق
والأديان . واليهودى دور كايم وراء علم الاجتماع الذى يلحق نظام
الأسرة بالأوضاع المصطنعة ، ويحاول أن يبطل آثارها فى تطور الفضائل
والآداب . واليهودى أو نصف اليهودى سارتر وراء الوجودية التى نشأت
معرزة لكرامة الفرد فجنح بها إلى حيوانية نصيب الفرد والجماعة بآفات القنوط
والانحلال . واليهودى سيجموند فرويد وراء علم النفس ، يرجع كل الميول
والآداب الدينية والخلقية والفنية والصوفية ^{إلى} والأسرية والغريزة الجنسية
كى يبطل قداستها ، ويخجل الإنسان منها ، ويزهدها فيها ، ويسلب
الإنسان إيمانه بسموها مادامت راجعة إلى أدنى ما يرى فى نفسه .^(١)

٤ - قسوة قلوبهم :

قال الله تعالى فى حقهم :

(ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهى كالحجارة أو أشد قسوة ، وإن من
الحجارة لما يتفجر منه الأنهار ، وإن منها لما يشقق فيخرج منه الماء ، وإن
منها لما يهبط من خشية الله وما الله بغافل عما تعملون)^(٢)

(١) الخطر اليهودى بروتوكولات حكماء الصهيونية ص ٧٧-٧٨

(٢) البقرة : ٧٤ .

الله سبحانه وتعالى ، شبه قلوب هؤلاء اليهود بالحجارة الصلبة وقال بل إنها أشد قسوة منها ، لأن الحجارة قد تتأثر وتتفعل ، فهناك أحجار تنفجر منها المياه الكثير ، وأحجار تتشقق فيخرج منها الماء عيوننا ومنها ما يتردى من أعلى الجبال انقيادا لإرادة الله بتأثير الصواعق أو البراكين أو الزلازل .

أما قلوب هؤلاء فلا تتأثر بكل ذلك ، فصارت قاسية ، وتبلد وجدانهم ففقدوا خاصية التأثير والانفعال ، فلم تعد الحكم والمواظ والمعبر تنفعهم أو تؤثر فيهم ، وتصل إلى أعماق قلوبهم ، فهبطوا من سمو الروح إلى إنسانى إلى رتبة الجمادات أو دونها وأدنى منها .

قد خاطب الله هؤلاء القوم بخطاب يهز مشاعر الإنسانية وترتجف منه القلوب .

وقد علق على الآية صاحب تفسير المنار بقوله :

"إن قلوبكم تشبه الحجارة فى القسوة بل قد تزيد فى القساوة عنها ، فإن الحجارة الصم تتأثر فى باطنها بالماء اللطيف النافع بعضها بالقوى منه وبعضها بالضعيف ، ولكن قلوبكم لا تتأثر بالحكم والمواظ التى من شأنها التأثير فى الوجدان ، والنفوذ إلى الجنان ، والحجارة تتأثر بالحوادث الهائلة التى يحدثها الله فى الكون كالصواعق والزلازل ، ولكن قلوبكم لم تتأثر بطك الآيات الإلهية التى تشبهها ، فلا أفادت فيها المؤثرات الداخلية ، ولا المؤثرات الخارجية كما أفادت فى الأحجار ، فبذلك (١) كانت قلوبكم أشد قسوة " .

(١) تفسير القرآن الحكيم المعروف بـ "تفسير المنار" . محمد عبده ١ / ٣٥٤ .

وقال الله تعالى :

(فيما نقضهم ميثاقهم لعناهم وجعلنا قلوبهم قاسية يحرفون الكلم
عن مواضعه ونسوا خطأ ماذكروا به ، ولا تزال تطلع على خائنة منهم إلا قليلا
(١)
منهم ، فاعف عنهم واصفح إن الله يحب المحسنين) .

أى لعنا الذين نقضوا عهدي ، ولم يوفوا بميثاقى من بنى إسرائيل
بنقضهم ميثاقهم الذى واثقونى ، وجعلنا قلوبهم قاسية غليظة يابسة عن
الإيمان بى ، والتوفيق لطاعتى ، منزوعة منها الرأفة والرحمة ، مرفوعة عنها
التوفيق ، فلا يؤمنون ولا يهتدون، فهم لنزع الله عز وجل التوفيق والإيمان من
قلوبهم ، يحرفون كلام ربهم الذى أنزله على نبيهم موسى عليه السلام وهــو
(٢)
التوراة .

ولهذا نهى الله المؤمنين عن مثل حالهم فى قوله :

(ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق
ولا يكونوا كالذين أوتوا الكتاب من قبل فطال عليهم الأمد فقست^{قلوبهم} وكن كثير منهم
(٣)
فاسقون) .

فأصبحت قلوبهم بسبب طول الأمد عليهم قاسية بعيدة عن الموعظة فهى
فى قسوتها مثل الحجار التى لا علاج للينها ، أوهى أشد كما سبق .
والمعنى : أن الحجارة ألين من قلوب هؤلاء ، وذلك عقاب من الله لهم
بسبب إنحرافهم عن العقيدة الصحيحة والشرعية المنزلة .

(١) المائدة : ١٣ .

(٢) انظر جامع البيان : ١٥٤ / ٦ - ١٥٥ .

(٣) الحديد : ١٦ .

إن القسوة تبدو في ملامحهم الناضبة من بشاشة الرحمة ، وفي تصرفاتهم الخالية من المشاعر الإنسانية ، مهما حاولوا - مكرا - ابداً اللين في القول عند الخوف وعند المصلحة ، والنعمومة في اللمس عند الكيد والوقعية ، فإن جفاف الملامح والسمات يتضح ويشي بجفاف القلوب (١) والأفئدة .

وماتقوم به دولتهم المزعومة الآن من قتل الأبرياء من جميع طبقات البشر في فلسطين المحتلة دليل على قساوة قلوبهم وجفاف عاطفتهم فالحاكم عندهم شهواتهم الطاغية ، وغرائزهم الفاجرة ، وليس لهم آذان صاغية ولا قلوب واعية .

هـ - عدم انتفاعهم بهدى الله :

لما كانت قلوبهم جامدة ، وقاسية لم تنتفع بهدى الله الذى أتاهم والنور الذى أنزل إليهم ، فكانوا كالحمار الذى يحمل أسفارا ، وكتباً ضخمة ولا يدري ماضته شيئاً ، ولا يفرق بينهما وبين سائر الحمول ، ليس له مما يحمل من حظ غير التعب . قال الله تعالى فيهم :

(مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار ، يحمل أسفارا) (٢)

أسفارا بئس مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله والله لا يهدي القوم الظالمين) .
شبههم الله سبحانه وتعالى - وهو أعظم بحالهم - لعدم انتفاعهم واتعاضهم بما فى أيديهم من الهدى بالحمار الذى لا يعقل ، كما أن هذا الحمار لا ينتفع بالهدى كذلك اليهود لا ينتفعون بالهدى ، ولم ينتفعوا بما جاء فى

(١) انظر فى ظلال القرآن ٨٥٨ / ٢ .

(٢) الجمعة : ٥ .

التوراة من العلوم النافعة ، والتي كلفوا العلم والعمل بها ، فأحجموا عنها ، فوجه الشبه عدم الانتفاع بما تحملوه من التوراة وغيرها مع وجود المشقة ، وهم يعلمون أن مافيهما حق وعدل .

ولعل في الآية إشارة إلى انتهاء دور اليهود في حمل أمانة الله فلم تعد قلوبهم تتحمل هذه الأمانة التي لا تحملها إلا القلوب الواعية الحية ، المدركة المتجودة من هوى النفس والشهوات الذاتية .

إن بني إسرائيل كلفوا حمل أمانة العقيدة والشرعة ، فلم يحملوها لأن حملها يكن وراءه الإدراك والعلم والفقه ، وينتهى بالعمل لتحقيق مدلولها في العالم الداخلي والخارجي ، فهم لم يقدرُوا هذه العقيدة الربانية حق قدرها ، لم يفهموا حقيقتها ولم يعطوا بها ، فكانوا كحمار يحمل أسفارا وكتبا كثيرة ثقيلة ، لكن ليس له نفع فسيها . وسبب تشبيههم بالحمار دون الحيوانات الأخرى ، هو أن الحمار أجهل وأبلد من سائر الحيوانات المركبة ، وأن في الحمار من الذل والحقارة ما لا يكون في غيره من الدواب ، والغرض من الكلام في هذا المقام تعيين القوم بذلك وتحقيرهم من الدواب ، فيكون تعيين الحمار أليق وأولى .

ويقول ابن جرير الطبري رحمه الله : « يقول الله تعالى ذكره : مثل الذين أوتوا التوراة من اليهود والنصارى فحملوا العمل بها ثم لم يحملوها ولم يعملوا بمافيها ، وكذبوا بمحمد صلى الله عليه وسلم وقد أمرُوا بالإيمان به فيها وأتباعه والتصديق به » كمثل الحمار يحمل أسفارا » يقول : كمثل الحمار يحمل على ظهره كتبا من كتب العلم لا ينتفع بها ، ولا يعقل

(١) انظر التفسير الكبير للفخر الرازي ٦ / ٢٩ .

مافيهما ، فكَذَلِكَ الَّذِينَ أُوتُوا التَّوْرَةَ الَّتِي فِيهَا بَيَانٌ أَمْرُ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، مِثْلَهُمْ إِذَا لَمْ يَنْتَفِعُوا بِمَا فِيهَا كَمِثْلِ الْحِمَارِ الَّذِي يَحْمِلُ أَثْقَارًا (١) فِيهَا عِلْمٌ فَهُوَ لَا يَعْقِلُهَا وَلَا يَنْتَفِعُ بِهَا ” .

٦ - ضَرَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الذَّلَّةَ وَالْمَسْكَنَةَ .

لَقَدْ كَتَبَ اللَّهُ عَلَى الْيَهُودِ الذَّلَّةَ وَالْمَسْكَنَةَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَأَخْزَاهُمْ بِشَرِّ أَعْمَالِهِمْ . قَالَ اللَّهُ تَعَالَى ذَكَرَ :

(.....) وَضَرَبْتُ عَلَيْهِمُ الذَّلَّةَ وَالْمَسْكَنَةَ وَمَاءً وَا بَغَضْتُ مِنْ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ) .

مَهْمَا حَاطُوا التَّظَاهَرَ بِالْقُوَّةِ وَالْمَنْعَةِ ، فَإِنَّ كَلِمَةَ اللَّهِ هِيَ الْعَلِيَّاءُ لَقَدْ سَجَلُ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ عَلَيْهِمْ كَلِمَاتُهُ الْخَالِدَةُ ، سَجَلُ عَلَيْهِمْ إِرَادَةُ اللَّهِ وَحُكْمُهُ الْقَادِرُ ، وَهُوَ ضَرَبَ الذَّلَّةَ وَالْمَسْكَنَةَ عَلَيْهِمْ وَعَوْدَتَهُمْ بِغَضَبِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ قَالَ تَعَالَى :

(ضَرَبْتُ عَلَيْهِمُ الذَّلَّةَ أَيْنَمَا ثَقَفُوا ، لَا يَحْبِلُ مِنَ اللَّهِ وَحِبِلَ مِنَ النَّاسِ وَمَاءً وَا بَغَضْتُ مِنَ اللَّهِ ، وَضَرَبْتُ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةَ ، ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ (٣) بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقِّ ، ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ) . وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى : (إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ سَيَنُاسُوا لَهَا غَضَبٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَذُلٌّ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ، وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ) .

(١) جَامِعُ الْبَيَانِ ٢٨/٦٣ .

(٢) الْبَقَرَةُ : ٦١ .

(٣) آلِ عِمْرَانَ : ١١٢ .

(٤) الْأَعْرَافُ : ١٥٢ .

نعم قاله سبحانه وتعالى هو الذى يعلم ماضى هؤلاء ، وحاضرهم
ومستقبلهم ، وقد بين لنا ما كتب عليهم فى مدى تاريخهم ، وما يسؤل
اليه أمرهم فى نهاية المطاف .

ستيدى لك الأيام ما كنت جاهلا

ويأتيك بالأخبار من لم تزود

يقول ابن جرير الطبرى رحمه الله عند تفسير قوله تعالى :

(وضربت عليهم الذلة والمسكنة) : « أى فرضت ووضعت عليهم الذلة
وألزموها ، من قول القائل " ضرب الإمام الجزية على أهل الذمة " و " ضرب
الرجل على عبده الخراج " يعنى بذلك وضعه وألزمه إياه ، فأخبرهم الله
جل ثناؤه أنه يبدلهم بالعزة ذلا ، وبالنعمة يؤسا ، وبالرضا عنهم غضبا
جزاء^(١) منه لهم على كفرهم بآياته وقتلهم أنبياءه ورسله اعتداء^(٢) وظلما منهم
بغير حق ، وعصيانهم لله . وخلا فاعليه » .

وقد جعل الله هذا الذل محيطا بهم إحاطة القبة بمن ضربت عليه
(٢)
وألصق بهم من ضرب الطين على الحائط . فألزمهم الله الذلة والصفار
أيما كانوا ، فألزموها قدرا وشرعا ، وذلك لأنهم يكثر العصيان لأوامر
الله ، والغشيان لمعاصيه ، والاعتداء^(٢) على شرعه ، فأعقبهم ذلك الذلة
والمسكنة أبدا متصلا بذل الآخرة .

يقول ابن كثير : " أى لا يزالون مستذلين ، من وجدهم استذلهم —
وأهانهم ، وضرب عليهم الصفار ، وهم مع ذلك فى أنفسهم أنلا^(٢) مستكينون ،

(١) جامع البيان ١٣٦/٢ - ١٣٧ .

(٢) انظر تفسير روح المعاني للألوس ٢٧٦/١ .

ورجعوا منصرفين متحطين غضب الله . قد صار عليهم من الله غضب ووجب
(١)

عليهم من الله السخط .

وذلك كله بسبب ما ارتكبه من الكفريات الله وقتلهم أنبياءه ، فقد
أحل الله بهم بأسه الذى لا يرد ، وكساهم ذلا فى الدنيا موصولا بسذل
الآخرة جزاء وفاقا .

يقول الأستاذ محمد قطب فى بحثه الذى عنوانه " القاعدة والاستثناء
فى التعامل مع اليهود " :

" يعلمنا كتاب ربنا هذه القاعدة الثابتة التى تحكم اليهود فى جميع
أدوار ودرجات التاريخ هذه القاعدة تقول بها الآية الكريمة
" ضربت عليهم الذلة أينما ثقفوا " . . . ثم تعقب الآية بهذا الاستثناء
" إلا بحبل من الله وحبل من الناس " فالقاعدة السائدة لليهود هى : ضرب
الذلة عليهم أما هذا الاستثناء فلا يقع إلا بحبل من الله وحبل من الناس
. . . والحبل هو المدد من الله ، هو مشيئة الله سبحانه وتعالى ، فإنه
(٢)
لا يحدث فى هذا الكون الطويل العريض إلا ما قدره سبحانه . "

٧ - طردهم من رحمة الله .

وأخيرا أبعدهم الله من رحمته وحنانه ، وأعلن ذلك لعباده المؤمنين
على لسان رسلهم . فقال تعالى :

(١) مختصر ابن كثير ٧٠ / ١ .

(٢) مجلة " الدعوة " العدد ٨٢٧ الاثنين ٩ ربيع الأول ١٤٠٢ .

(لعن الذين كفروا من بنى إسرائيل على لسان داود وعيسى ابن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون . كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون . ترى كثيرا منهم يتولون الذين كفروا لبئس ما قدموا أنفسهم لعدائهم) (١)
أنفسهم أن سخط الله عليهم وفي العذاب هم خالدون) .

والذى سخط الله عليه ولعنه ، فقد أبعدته عن رحمته وعطفه ولطفه واستحق العذاب ، إنه طرد من الله لبنى إسرائيل ، وأعلن الله ذلك فى الزبور الذى أنزله على عبده ونبيه داود عليه السلام ، وأعلن أيضا فى الإنجيل الذى أنزله على عبد مرسوطه عيسى ابن مريم عليه السلام .

لم يكن هناك سبب آخر يوجب عليهم اللعنة ، إلا أنهم خوفوا عقيدتهم وحرفوا شريعتهم ، واتبعوا خطوات الشيطان ، فأضلهم وأعى أبصارهم فاستحقوا ما استحق إمامهم إبليس ، حيث قال الله فيه :
(٢)

(قال فاخرج منها فإنك رجيم . وإن عليك اللعنة إلى يوم الدين)
فكل من اليهود وإبليس استحقوا اللعنة بسبب عصيانهم لله تعالى ، بسبب زاد اليهود على ذلك حيث إنهم اعتدوا على أنبياء الله وأطياهه بالقتل والتكذيب - كما سبق بيانه - ولم يكونوا يتناصحون ، فلا ينهى أحد منهم غيره عن ظلم يرتكبه ، أو إثم أو منكر يفعلنه ، وهذا يدل على أنهم أطبقوا على فعل المنكرات والقبايح ، فإتيانهم للمنكر وعدم تناهيهم عنه لمن أقبح ما كانوا يفعلون . وقال تعالى : (قل هل أنبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله ، من لعنه الله وغضب عليه ، وجعل منهم القردة والخنازير وعبد

(١) المائدة : ٧٨ .

(٢) الحجر : ٣٤ - ٣٥ .

(١)

الطاغوت أولئك شر مكانا وأضل عن سواء السبيل .

هذه كلها عقوبات كتبها الله عليهم ، وصفات لازمتهم ، طعنون مغضوب عليهم ، قردة وخنازير ، وعدة الطاغوت ، كل ذلك من صفات اليهود من بنى إسرائيل ، ومن هذه صفاتهم هم شر مكانا فى عاجل الدنيا والآخرة عند الله ممن نعموا عليهم ، إيمانهم بالله وما أنزل إلى من قبلهم ممن الأنبياء .

يقول ابن عباس رضى الله عنهما : «لعنوا بكل لسان ، لعنوا على عهد موسى عليه السلام فى التوراة ، ولعنوا على عهد داود فى الزبور ، ولعنوا على عهد عيسى فى الانجيل ، ولعنوا على عهد محمد صلى الله عليه وعلى آخوانه وسلم فى القرآن .

كان هؤلاء اليهود الذين لعنهم الله ، لا يتناهون ولا ينتهون عن منكر فعلوه ، ولا ينهى بعضهم بعضا ، وهى المعاصى التى كانوا يعصون الله بها ، لعن الله الذين كفروا من اليهود بالله على لسان داود وعيسى بن مريم بماعصوا الله ، فخالفوه أمره ، وكانوا يعتدون يتجاوزون حدود الله» .

وقال ابن كثير : « يخبر تعالى أنه لعن الكافرين من بنى إسرائيل من دهر طویل فيما أنزله على داود نبيه عليه السلام ، وعلى لسان عيسى بن مريم بسبب عصيانهم لله واعتدائهم على خلقه» . (٣)

بعد هذا اللعن الربانى لهم ، لا أظن أنه يخرج أحد منهم الآن عنه لأنهم فى وقتنا الحاضر كلهم كفروا فجرة ، فقد كفروا بعيسى ومحمد

(١) المائدة : ٦٠ .

(٢) جامع البیان للطبري ٣١٩ / ٦ .

(٣) مختصر ابن كثير ٥٣٨ / ١ .

صلوات الله وسلامه عليهما ، والا قليل منهم ، إنهم أن واهما ، إذا شديدا
، إن حاولوا قتلها كما تقدم .

وهذه هي بعض الآثار التي نتجت عن تحريف اليهود لعقيدتهم السي
جاءت سليمة في شريعتهم المنزلة .

وأحب أن أجعل ختام هذا الفصل بهذه الآيات الكريمة لأنها تعتبر
خلاصة ما تقدم في هذا الفصل :
قال الله تعالى ذكره :

(يسألك أهل الكتاب أن تنزل عليهم كتابا من السماء ، فقد سألوا
موسى أكبر من ذلك ، فقالوا أرنا الله جهرة فأخذتهم الصاعقة بظلمهم
ثم اتخذوا العجل من بعد ما جاءتهم البينات فعفونا عن ذلك ، وآتيناهم موسى
سلطانا مبينا ، ورفعنا فوقهم الطور بميثاقهم ، وقلنا لهم ادخلوا الباب
سجدا ، وقلنا لهم لا تعدوا في السبت ، وأخذنا منهم ميثاقا غليظا . فيما
نقضهم ميثاقهم وكفروهم بآيات الله وقتلهم الأنبياء بغير حق وقطعهم قلوبنا
غلف بل طبع الله عليها بكفروهم ، فلا يؤمنون ، الا قليلا . وكفروهم وقطعهم
على مريم بهتاننا عظيما . وقطعهم ، إنا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول
الله ، وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم ، وإن الذين اختلفوا فيه لفي شك
منه ما لهم به من علم ، الا اتباع الظن وما قتلوه يقينا ، بل رفعه الله إليه وكان
الله عزيزا حكيما ، وإن من أهل ^{الكتاب} ليؤمن به قبل موته ويوم القيامة يكون
عليهم شهيدا . فيظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم
ومصد هم عن سبيل الله كثيرا ، وأخذهم الربا وقد نهوا عنه وأكلهم أموال الناس
بالباطل واعتدنا للكافرين منهم عذابا أليما) (١)

نعم أعد الله للكافرين منهم عذابا أليما ، وكلهم الآن كفرة سيئون
مصيرهم وإن لم يؤمنوا بالله ويتوبوا إليه إلى عذاب أليم . ،،،،،

* * * *

” الفصل الثانى ”

- الآثار التى ترتبت على إفساد اليهود المعقيدة المسيحية .
- ١ - كفرت النصارى بالله تعالى نتيجة ذلك الإفساد .
- ٢ - اتخذت النصارى رهبانها أربابا من دون الله .

الآثار المترتبة على إفساد اليهود العقيدة المسيحية

لقد أصاب المسيحية من التحريف والتبديل على أيدي اليهود ما أصاب الموسوية وغيرها من الأديان الربانية ، ولذلك نرى المسيحيين بعد تحريف عقيدتهم ، سلكوا سلك اليهود حذو القنذلة بالقنذلة ، وقاموا بما قام به اليهود من أعمال إجرامية وغير إنسانية في حق دين الله الذي أنزله على أنبيائه أتباعا لسلفهم " شاول " اليهودي ، ذلك الرجل الذي قام بإخراج المسيحية من الدين الرباني إلى الدين الوثني ، - كما سبق - وصار أتباع المسيحية بعد ذلك وثنيين يعبدون الأوثان . ذلك لأنهم تقولوا على الله بغير علم ، وافتروا عليه افتراء عظيم .

والواقع أن ما ترتب على إفساد اليهود للعقيدة المسيحية من الآثار كثيرة جدا ، آثار نفسية ، وآثار فكرية ، وآثار سياسية واقتصادية وآثار أخلاقية وآثار طمعية ، وآثار في كل مجالات الحياة ، حدث في كل ذلك إفساد وتخريب ، إفساد في شؤون الحياة .

وعانت الأمة النصرانية من جراء ذلك شدايد ومحن ، ولا تزال تعاني فكان ينبغي أن أتعرض لتلك الآثار كلها ، إلا أن البحث يقتضي بما يتعلق بإفساد العقيدة ، ولذلك لن أخوض في الحديث عن تلك المجالات كلها وإنما الذي يعنيني في هذا الفصل هو الآثار العقدية ، فسأحاول عدم الخروج عن هذا العنصر بإذن الله تعالى ، وربما أشير إشارة خفيفة إلى العناصر الأخرى إذا دعت الحاجة إلى ذلك . من تلك الآثار :

١ - " كفرهم بالله عز وجل "

أن النصارى كفروا نتيجة وقوعهم فى ذلك الإفساد حيث
قالوا : إن الله عز وجل اتخذ عيسى عليه السلام ولدا . وهذا افتراء على
الله ، وهو قول منكر عظيم ، غاية فى القبح والشناعة ، تعالى الله
عن ذلك علوا كبيرا ، لأن الرب الخالق يتنزه عن أن يكون والدا أو مولودا .
(قل هو الله أحد ، الله الصمد ، لم يلد ولم يولد ولم يكن له
كفوا أحد) .

وفى التشنيع على هذه الفرية التى قالها النصارى واعتقدوها
ودعوا اليها قال الله عز وجل :

(وقالوا اتخذ الرحمن ولدا ، لقد جئتم شيئا ^{كبارا} ، تكاد السموات
يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هدا أن دعوا للرحمن ولدا ، وما
(١)
ينبغى للرحمن أن يتخذ ولدا) .

فأبان الله أن هذه المقالة الشنيعة : تتأثر من هولها السموات والأرض
والجبال حتى تكاد السموات تتفطر أى تنشق وتتناثر ، وتكاد الأرض ،
تنشق ، وتكاد الجبال تخر هدا ، لأنها مسوكة بقدرة الله ، فإذا قال
الناس : فى الله مقالة شنيعة مثل هذه ، فإن غضب الله يشد عليهم
حتى يكاد أن ينزل نقمته بهم ، وذلك إنزال السماء كسفا عليهم ، وشق
الأرض لابتلاعهم ، وهذا الجبال على رؤسهم لإهلاكهم ، لكن الله عز وجل
حكيم ^{ولا يمل} ~~يمل~~ حتى يأخذ ^{ولا يمل} ~~يمل~~ الابتلاء غايته المقررة بقضائه وقدره .

ومن كفرهم أيضا قولهم : إن الله هو المسيح أو ثالث ثلاثة ، فصار
اعتقادهم مثل اعتقاد الوثنيين والمشركين الأولين .

لقد كان قدماء المصريين يؤمنون بالتثليث ، وكانت آلهتهم تسمى :
 " ايزيس ، وأوزيريس ، ومورس " . وهى شبيهة الثالث الجاهلى العربى :
 " الالة والعزى ومناة " ، وشبيهة الثالث الإلهى لقبائل البانتو الأفريقية :
 (١)
 " مزيو " ، " مبيو " ، ومطنجو " وهى شبيهة الثالث البرهمى فى الديانة
 الهندية : " برهما ، وسيقا ، وقشنو " .

وهكذا كان هذه العقائد منبعها واحد . ولذلك جاء فى القرآن
 الكريم حكم قاطع بكفر من آمن بهذه الفكرة الباطلة . قال الله تعالى فى ذلك :
 > لقد كفر الذين قالوا : إن الله هو المسيح ابن مريم ، وقال المسيح يا بنى
 اسرائيل اعبدوا الله ربى وربيكم ، إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه
 الجنة ، ومأواه النار والظالمين من أنصار . لقد كفر الذين قالوا : إن الله
 ثالث ثلاثة . وما من إله إلا إله واحد وإن لم ينتهوا عما يقولون ليمسن الذين
 (٢)
 كفروا منهم عذاب أليم) .

فهذا حكم من رب العالمين الذى يعلم غيب السموات والأرض وما بينهما
 وماتحت الثرى ، وحكم ممن لا يأتية الباطل من بين يديه ولا من خلفه .

روى ابن جرير الطبرى رحمه الله عن السدى عن معنى : (إن الله
 ثالث ثلاثة) قال : قالت النصارى : " هو والمسيح وأمه " فذلك قول
 (٣)
 تعالى : (أنت قلت للناس اتخذونى وأبى إلهين من دون الله) .

لست أدري كيف قيل النصارى عقيدة التثليث مع أنها تجمع بين
 المتناقضات وكيف قبلت عقولهم بما يسمونه بالأقانيم الثلاثة ، يعنى الثلاثة

(١) انظر الأديان فى القرآن : محمود بن الشريف ص ٢٠٦ .

(٢) المائدة : ٧٢ - ٧٣ .

(٣) جامع البيان : ٦ / ٤٠٤ - ٤٠٣ .

واحد والواحد ثلاثة ، وقولهم : إن الله جوهر واحد أقانيم ثلاثة فهو واحد في الجوهرية ، ثلاثة في الأتومية ، وأحد الأقانيم عندهم الأب ، والآخر الابن ، والآخر روح القدس .

قال الإمام ابن حزم الظاهري : قالوا : إن الله تبارك وتعالى عبارة عن ثلاثة أشياء : أب ، وابن ، وروح القدس ، كلها لم تنزل وأن عيسى عليه السلام إله تام كله ، وإنسان تام كله ، ليس أحدهما غير الآخر ، وأن الإنسان منه هو الذي صلب وقتل ، وأن الإله منه لم ينله شيء من ذلك ، وأن مريم ولدت الإله والإنسان ، وأنهما معا شيء واحد .^(١)

وهل يقبل العاقل هذا التصور المظلم ، وهل يؤمن بهذا إنسان لديه تفكير سليم ؟ لا ، لا يقول العاقل : ثلاثة واحد ، وواحد ثلاثة وأن كل واحد منها هو الآخر . فالأب هو الابن ، والابن هو الأب . وإن اجتماع الوحدة والكثرة الحقيقيتين في مادة شخصية في زمان واحد من جهة واحدة أمر مستحيل بدوي ، يحكم به عقل كل عاقل ، فقائل التثليث لا يمكن أن يكون موحدًا حقيقة لله عز وجل بل معدد مشرك .

قال صاحب إظهار الحق : «قال صاحب ميزان الحق في الباب الأول من كتابه المسمى بـ "حل الاشكال" هكذا "إن المسيحيين يحملون^(٢) التوحيد والتثليث كليهما على المعنى الحقيقي" .

(١) الفصل ٤٩/١ .

(٢) إظهار الحق ص ٣٣٣ .

لا شك في أنه اعتقاد وتصور لا يرضى به العقل السليم والفطرة الصحيحة .
، ان محاولة الجمع بين التثليث والوحدانية محاولة يعتقد عقلاء النصارى أنفسهم
أنها بعيدة عن التصور ، لأن من أصعب الأشياء الجمع بين الوحدانية
والتثليث ، وقد اعترف بذلك صاحب رسالة الأصول والفروع بعد بيان عقيدة
التثليث ، فقال : " قد فهمنا ذلك على قدر طاقة عقولنا ، ونرجو أن نفهمه
فيها أكثر جلاءً في المستقبل ، حين ينكشف لنا الحجاب عن كل مافى السموات
ومافى الأرض ، أما في الوقت الحاضر ففي القدر الذي فهمناه كفاية " .

أى أن عقيدة التثليث لا يمكن أن تنكشف للنفس على وجهها ، الا يوم تتجلى
كل الأشياء لها يوم القيامة ، وذلك حق ، فإنهم لا يعلمون حقيقتها ، الا يوم
(١)
يحاسبهم الله عليها " .

ونظراً لصعوبة تصور الأقانيم الثلاثة ، في واحد ، وصعوبة الجمع
بين التوحيد والتثليث ، حاول طمأؤهم تأجيل نظر العقل في هذه العقيدة
لأن العقل يرفضها أصلاً .

يقول ابن قيم الجوزية في ذم النصارى بعد فساد عقيدتهم :
" المثلة أمة الضلال ، وعباد الصليب سبوا الله الخالق مسببة ماسببه
، اياها أحد من البشر ، ولم يقرؤا بأنه الواحد الأحد الفرد الصمد ، الذى
لم يلد ولم يولد ، ولم يكن له كفواً أحد ، ولم يجعلوه أكبر من كل شيء ، بل
قالوا : فيه ما " تكاد السموات يتفطرن منه ، وتنشق الأرض وتخر الجبال هدأ " .
فقل ماشئت في طائفة أصل عقيدتها ، أن الله ثلاث ثلاثة ، وأن مريم صاحبة

(١) محاضرات في النصرانية محمد أبو زهرة ص ١٢٢ .

وأن المسيح ابنه ، وأنه نزل عن كرسي عظمته والتحم بيطن صاحبة ، وجرى له ماجرى إلى أن قتل ومات ، ودفن ، فدينها عبادة الصليبان ، ودعاء الصور المنقوشة بالأحمر والأصفر في الحيطان ، يقولون في دعائهم :
(١)
يا والدة الإله ارزقينا واغفر لنا وارحمنا . *

إن هذه العقيدة لوجهة أحد بكل عقله ليفهمها ، لما قدر على ذلك وكيف يقدر عليه وجماهير النصارى عاجزة عن تفسيرها ، وقد حاولت مع فريق من نصارى أفريقيا بسؤالهم عن تفسيرها ، فكانت تفاسيرهم مختلفة لأن مفهومها غير واضح في أذهانهم .

ومن هنا أستطيع أن أجزم نظراً لما تقدم من المعلومات المتعلقة بعقيدة النصارى وغيرها ، أنهم فقدوا قيمة العقيدة والدين من جراء تحريفات اليهود لعقيدتهم ، والتفسيرات التي وقعت فيها ، وهو الهدف الوحيد للزمرة اليهودية .

جاء في البروتوكول الرابع مايلي :

"يتحتم علينا أن نهدم دولة الإيمان في قلب الشعب ونتزع من عقول المسيحية فكرة أن هناك إلها ، ونحل محله قوانين رياضية ، وضرورات مادية ولئلا ندع لديهم فرصة المراجعة والتفكير ، يجب أن نشغلهم بالصناعة والتجارة ، وذلك تنصرف كل الأمم إلى المكاسب دون أن تغتنم إلى عدوها العام في الصراع العالمي .

لقد رفض بعض علماء النصارى هذه العقيدة ، لما وجدوا أنها غير صالحة للإيمان بها ، ونسبوا التحريفات التي أصابت عقيدتهم ، إلى بولس

(١) هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى ص ٨ .

الذى قالوا عنه : إنه لم يفهم تعاليم المسيح عليه السلام .

جاء فى قصة الحضارة مايلى :

"إن المسيح ليس إلها ، بل هو ابن يوسف ومريم ، حملت به أمه بنفس الطريقة السخيفة التى تحمل بها كل أم ، وأن جسم المسيح لا يحتويه (١)

العشاء الربانى " .

(٢)

ويقول رينان : « إنه ينبغى لفهم تعليم يسوع المسيح الحقيقى

كما كان يفهمه هو ، أن نبحث فى تلك التفسيرات والشروح الطويلة الكاذبة

التي شوهت وجه التعليم المسيحى ، حتى أخفته عن الأبصار تحت طبقة

كثيفة من الظلام ، ويرجع بحثنا إلى أيام بولس الذى لم يفهم تعليم المسيح

بل حمل على محمل آخر ، ثم مزجه بكثير من تقاليد الفريسيين ، وتعاليم

العهد القديم ومن عهد بولس ظهر التلمود المعروف بتعاليم

الكنائس ، وأما تعليم المسيح الأسمى الحقيقى ، فحسب صفة الإلهية

الكمالية ، بل أصبح إحدى حلقات سلسلة الوحي التى أولها منذ ابتداء

العالم ، وأخرها فى عصرنا الحالى ، والمستسكة بها جميع الكنائس ، وأن

أولئك الشراح والمفسرين يدعون يسوع إلها ، دون أن يقيموا على ذلك

الحجة ، ويستندون فى دعواهم على أقوال وردت فى خمسة أسفار : موسى

والزبور ، وأعمال الرسل ، ورسائلهم ، وتأليف أباء الكنيسة ، مع أن تلك (٣)

الأقوال لا تدل أقل دلالة على أن المسيح هو الله " .

(١) قصة الحضارة : ٨٦ / ٢١ والقول بأنه ابن يوسف قول باطل

والقارئ يدرك حقيقة ذلك من دينه .

(٢) فيلسوف فرنسى .

(٣) محاضرات فى النصرانية : ص ٢٢٧ - ٢٢٨ .

إذن هذه الأقوال تنكر ألوهية المسيح عليه السلام ، وتعتقد أن المسيح
إنسان لا أقل ولا أكثر .

٢ - اتخذوا رهبانهم أربابا من دون الله .

قال الله تعالى في حقهم وفي حق اليهود :

(اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله والمسيح ابن مريم
(١)) وما أمروا إلا ليعبدوا ، إلها واحدا لا إله إلا هو سبحانه عما يشركون) .

روى ابن جرير الطبري رحمه الله بسنده عن عدي بن حاتم رضى الله
عنه أنه قال : " انتهيت إلى النبی صلى الله عليه وسلم وهو يقرأ من سورة براءة
(اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله) قال : قلت : يا رسول
الله ، إنا لسنا نعبدهم ، فقال : " أليس يحرمون ما أحل الله فتحرمونه ؟
ويحلون ما حرم الله فتحلون ؟ قال : قلت : بلى ، قال : " فتك عبادتهم "
وفي رواية أخرى ، قال : " أما إنهم لم يكونوا يصومون لهم ، ولا يصلون لهم
ولكنهم كانوا إذا أحلوا شيئا استحلوه ، وإذا حرموا عليهم شيئا أحله الله
(٢)
لهم حرموه ، فتك كانت رسوبيتهم " .

لقد قام رجال الكنيسة النصرانية ، بما قام به أحبار اليهود وحاخاماتهم
من تحليل وتحريم ، وزيادة ونقص في الدين ، فوضعوا أنفسهم موضع المعبود
المشروع ، فاقتدى بهم الناس واتبعوهم في ذلك وعبدوهم من دون الله
وقدسوا تعاليم رجال الكنيسة دون تعاليم المسيح عليه السلام ، ثم طغت
الكنيسة بسبب هذا التقديس ، قامت تفرض لنفسها قداسة دينية ، وسياسية

(١) التوبة : ٣١ .

(٢) جامع البيان : ١١٣/٩ .

ما أنزل الله بها من سلطان ، وأعطت لنفسها القداسة في كل مجالات الحياة وقد كان ذلك من أهداف اليهود ومرايمهم ، لأنهم كانوا يدركون أن تقديس الرجال تقديسا ذاتيا يؤدي إلى الانحراف في جميع المجالات الدينية .

وقد أصبح رجال الكنيسة بابا من أبواب الدين ، لا يمكن الدخول في الدين إلا بآذانهم حيث كان التعميد لا يكون إلا على يد الكاهن وتبدأ حياة المسيحي الدينية عندئذ بواسطة البابا أو الكاهن لأنهم هم الذين يتحدثون باسم الرب الإله في الأرض ، لكونهم مقدس الذات ، ومقدس الكلمات ، ولكونهم واسطة بين الله والخلق . لقد ابتدع رجال الكنيسة بدعا كثيرا في الدين ، وأعتقد الناس بأنها من الله بواسطة هؤلاء الرهبان ، من ذلك :

أ - التعميد الذي سبقت الإشارة إليه .

ب - كرسى الاعتراف ، حيث يجلس المذنب أمام الكاهن ، ويدلى باعترافه بكلام واضح لا غموض فيه ، ثم يقوم القسيس بمسح ذنوب الشخص المذنب .

وقد كانت مسألة غفران الذنوب في البداية مقتصورة على آخر حياة الشخص ، أو عندما يريد الشخص أن يتوب ويرجع إلى الله ، ولكن مع تطور الزمن أصبحت صفقة تتم عندما يستعد الإنسان لشراء الصك ، ولا يحتاج إلى توبة . فبدأت الكنيسة تكتب الصك لكل من يأتي إليها بمقابل كمية مالية تقدرها هي . وكانت صورة صك الغفران كما يلي :

" ربنا يسوع المسيح يرحمك يا فلان ، ويحلك باستحقاقات آلامه الكليّة القداسة ، وأنا بالسلطان الرسول المعطى لي أحلك من جميع القصاصات

والأحكام والطائعات الكنسية التي استوجبتها ، وأيضا من جميع الافراط والخطايا والذنوب التي ارتكبتها مهما كانت عظيمة ، وفظيعة ومن كل علة وان كانت محظوظة لأبينا الأقدس البابا ، والكروني الرسولي ، وأمسح جميع أقدار المذنب ، وكل علامات الملامة التي ربما جلبتها نفسك في هذه الفرصة ، وأرفع القصاصات التي كتبتلتزم بمكابدتها في المظهر وأردك حديثا إلى الشركة في أسرار الكنيسة ، وأقرونك في شركة القديسين ، أردك ثانية إلى الطهارة والبر اللذين كانا لك عند معموديتك ، حتى إنه في ساعة الموت يفلق أمامك الباب الذي يؤدي إلى الفردوس الفرح ، وإن لم تمت سنين مستطيلة ، فهذه النعمة تبقى غير متغيرة ، حتى تأتي ساعتك الأخيرة (١)

باسم الأب والابن والروح القدس» .

إن هذه الوثيقة تثبت أن من استحقها وامتلكها غفر ماتقدم من ذنبه وماتأخر ، تغسل من ذنوبه الماضية حتى يصير طاهرا ثم لا يكون بعد ذلك قابلا لأن تؤثرفيه الذنوب مهما يوتكب من خطايا ، ومهما ينغمس في (٢)

المعاصي ، كان ذلك الصك جواز المرور إلى النعيم المقيم .

يقول ول ديهرانت وهو يصف ماتناله الكنيسة من جراء ذلك القانون وماتحقق لها من جمع أكبر ثروة في أوروبا :

” كذلك جاءت إلى البابوات أموال طائلة ممن ينالون صكوك الغفران البابوية ومن الحجاج القادمين إلى رومة . وقد حسب ذلك الكروني البابو عام ٢٥٠م فكان أكثر من دخل رؤساء الدول الأوروبية الزمانيين مجتمعين ولقد

(١) المصدر السابق ٢٠٦ .

(٢) المصدر السابق ٢٠٦ .

تلقى البابا عام ١٢٥٣م ثلاثة أمثال إيراد التاج ، ومهما تكن ثروة الكنيسة متناسبة مع اتساع وظائفها ، فقد كانت هذه الثروة أهم أسباب الالحاد في (١)
هذا العصر ” .

وبالعكس من ذلك أنه من لم يتعبد بأوامر الكنيسة ورجالها ، فإنسه كان يتعرض لعقوبات لا يعلم مدى شدتها إلا الله ، ثم لم يتب يعلن حرمانه من المغفرة وطرد ه من حظيرة المسيحية ، وابعاده من الجنة وكان هذا الحرمان يتعرض له جميع طبقات الشعب أفراداً وجماعات .

فمن الأفراد الذين تعرضوا لهذا الحرمان كثيرون لا حصر لهم ، سواء من الملوك أو من غيرهم ، من الملوك مثل :

« هنرى الرابع الألمانى ، وهنرى الثانى الإنجليزى ، ومن رجال الكنيسة مثل أريوس إلى لوثر ، ومن الفلاسفة مثل أرنست رينان » .

” أما الحرمان الجماعى ، فقد تعرض له البريطانيون عندما حصل لهم خلاف بين ملك يوحنا ملك الإنجليز وبين البابا ، فحرمه البابا ، وحرم أمته فتعطلت الكنائس من الصلاة ، ومنعت عقود الزواج ، وحملت الجثث إلى القبور بلا صلاة ، وعاش الناس حالة من الهيجان ، والاضطراب ، حتى عاد يوحنا صاغرا يقر بخطيئته ، ويطلب الغفران من البابا ، ولمّا رأى البابا ذله وصدق توبته رفع الحرمان عنه وعن الأمة ” . (٢)

وهكذا يجد المرء كل المساوئ ، والعنف والظلم فى ظل حكم رجال الكنيسة ، وهكذا وضع رجال الكنيسة أنفسهم موضع الخالق ، والمعبود

(١) قصة الحضارة . . . ٢٢ ص ٧٢ .

(٢) انظر موقف الإسلام من نظرية ماركس للتفسير المادى للتاريخ أحمد

الذى يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء^١ بغير خوف من أحد ولا خوف ممن حساب ثم إن نتيجة تسلط الكنيسة وتعسفها ، ووقوفها فى وجه كل تفتح فكرى أو كشف علمى ، وتجاوزها ذلك الجحور على العقول ، وقع الصراع صراع العقول مع الكنيسة ، لأنها تفرض عليها مالا تطيقها ، ولا تقبلها وقد غرقت الشعوب النصرانية فى دماء ضحايا الكنيسة ، حيث سقط المئات بل الألوف تحت مقصات محاكم التفتيش^٢ وشانقها ، غير من غيوا فى غياهب السجون ، وانتهى الأمر إلى إعلان الناس خروجهم من الدين ، إلى مبدأ لا يطلب منهم غير ماتهوى أنفسهم ، واتخذوا إليهم هواهم ، وتخلص دين الكنيسة داخل جدرانها ، فنفر الناس من هذا الدين الوضعى ، واعتنقوا مبادئ أسوأ منها ، فصاروا عبادا للمادة أو للطبيعة ، وتحرر أكثرهم من استعباد الكنيسة باسم الدين ، التى كانت توجب على الناس أن يؤمنوا بكل ماتقوله الكنيسة ، مع أنها تؤكد لهم أن عقائدها أسرار لا ينبغى أن يطلع عليها إلا رجال الكنيسة أو من يختارون هم لذلك ، فمنعت الناس من التفكير فى هذه العقائد ، ومن مناقشتها ، فاعتبرت المناقش فيها أو الشاك فى أمرها كافرا ، وجبت عليه اللعنة الأبدية ، وخرج من رضوان البابوية ، فخرج من ثم من رضوان الله تعالى .

انهم يعلمون ويدركون ويحسون أن هذه الأسرار كلها منافية للعقل ومنافية للمنطق ، لذلك يخافون أن تناقش بالعقل والمنطق ، لأنها
(١)
حينئذ لا تصمد أمام النقاش والبحث عن الماهية .

(١) ^{انظر} مذاهب فكرية معاصرة ، محمد قطب ص ٣٣ .

كل هذا جعل شعوب النصرانية ، تشور على رجال الدين وعلى تعاليمهم وقد استفاد اليهود من هذه الأحداث استفادة جيدة لتنفيذ مخططهم الشرير ، لأن هذا يعتبر بالنسبة إليهم فرصة مرتقبة منذ قرون ، مع أن ما حدث في الديانة النصرانية كان من ابتكاراتهم ، إلا أنهم يريدون أن يستمر الفساد في الأرض ، فاشعلوا النيران في أوساط المجتمع النصراني حتى كاد يدمر بعضهم بعضا .

فلنقرأ ماجاء في البروتوكول السابع عشر :

" قد وجهنا أعظم اهتمامنا إلى رجال الدين المسيحي فطمسنا نفوذهم وأسقطنا هيبتهم ، وإلى رسالة الدين المسيحي المعرقل لجهودنا فسوى الوقت الحاضر فأفسدناها ، وقد بدأت ثمار جهودنا تؤتي أكلها ، إن أخذ ذلك النفوذ الديني العظيم في الناس يتضائل ويبدأ رميدا ، وحلت حرية الضمير مكانه في كل مكان ولا تمضي غير سنوات معدودات حتى نشهد احتضار المسيحية ، وربما لفظت أنفاسها الأخيرة ، ولن تتطلب الديانات الأخرى إلا اليسير من الجهد حتى تتبع المسيحية في الانهيار ، ولكن البحث في هذه النقطة مازال سابقا للأوان ، وسنحصر الدين ورجالاه في أضيق نطاق حتى تزول عنهم الهيبة وتسقط الحزمة ، فتفقد تعاليمهم الأثر الطيب الذي كانت تجده من قبل .

ومتى حان الوقت لهدم الصرح اليابوى تبرز أصبع مجهولة من يــــد خفية تشير إلى القاتكان إيذا أنا بيد الهجوم عليه ، وبينما الناس يهاجمونه في هيجان سنظهر نحن كحماة منقذين لنوقف المذابح ، وننفذ إلى قلبه وتغلغل فيه ، ولن نستطيع قوة في الأرض أن تخرجنا منه ، حتى نكون

قد نقضنا السلطة البابوية ، بحيث لا يبقى حجر منها على حجر ، وإن ذاك يصبح ملك إسرائيل " البابا " الحقيقى للعالم ، ومطرك الكنيسة العالمية . . . سنحارب الكنيسة بأن نبدأ فى نفسها من داخلها ، بعنيت فيها من اختلاف وفرقة عن طريق حملات النقد اللاذع وعن طريق صحافتنا التى نجعلها تندد بحكومات الجويم ، وهيئاتهم الدينية وترديها " .

وأخيرا لما كبرت النصرانى بومها وخالفها اتجهت إلى عبادة المادة فأصبح النصرانى مادی الحياة ، حريصا على الاستثمار من أية طريقة سواء أكانت من الحرام أو من الحلال ، كأنه لم يبق عنده شئ من المبادئ العالية ، والعواطف الشريفة التى نقلتها له المسيحية ، فصار جاف الطبع يرى أن العضو الضعيف الحياة يستحق الموت ويرى أن الفضيلة كلها فى القوة ، وكل القوة فى المال ، فهو يحب العلم ، ولكن لأجل المال ، ويحب المجد ولكن لأجل المال ، ويحب المنصب ولكن لأجل المال ، وهكذا وكان جديرا بذلك ، لأنه نبت دين الله وراء ظهره واتبع الشيطان المريد فالدين النصرانى اليوم هو المادة ، كما أن الله هو نفس المادة ، فالمادة هى التى تحكم قلبه ومشاعره وروحه وجوارحه .

و " لا شك أنه لا يزال فى الغرب أفراد يعيشون ويفكرون على أسلوب دينى ، ويذلون جهدهم فى تطبيق عقائدهم بروح حضارتهم ، ولكنهم شوان ، إن الرجل العادى فى أوروبا : ديمقراطيا كان أو فاشيا ، رأسماليا كان أو اشتراكيا ، عاملا باليد ، أو رجلا فكريا ، إنما يعرف دينا واحدا وهو عبادة الرقى المادى ، والاعتقاد بأنه لا غاية فى الحياة غير أن يجعلها الإنسان أسهل ، وبالتعبير الدارج " حرة مطلقة " من قيود الطبيعة

أما الكنائس هذا الدين فهي المصانع الضخمة ودور السينما ، والمختبرات الكيميائية ، ودور الرقص ، ومركز توليد الكهرباء ، وأما كهنتها فهم رؤساء الصيارف ، والمهندسون ، والممثلات ، وكواكب السينما ، وأقطاب التجارة (١) والصناعة ، والطيارون والمهزيون الذين يضربون رقما قياسيا .

ويقول بعضهم وهو يؤكّد أهمية عبادة المادة :

”إنا لا نستطيع أن نجمع بين عبادة الله وعبادة المال ، وأنا أسلم أن الأمر ليس بميسور ، ولكن متى تكون المهمات في الدنيا ميسورة سهلة فمهما اختلفنا في المبادئ ، فإن الحقيقة الراهنة أن كلنا راسخ في تقليد بتلز وأتباعه ، مشغوفون بحب المال ، وعقيدتنا أن الثروة هي المقياس (٢) الصحيح لعظمة الفرد والحكومة “ .

وهذا أصبحت الأمة النصرانية أمة ترى أن القيم التي تسود الحياة في هذا العصر وتحكمه هي النظر في كل مسألة وشأن من ناحية المصلحة والجيب .

قال صحفي أمريكي : ”إن الانجليز إنما يعبدون بنك إنجلترا ستة أيام في الأسبوع ، ويتوجهون في اليوم السابع إلى الكنيسة “ . (٣)

وصلت الشعوب النصرانية إلى هذا الحد في الانحراف والانحلال وكل ذلك نتيجة إنحرافهم عن الإيمان بالله عز وجل وعن العقيدة الصحيحة التي تنور لهم الطريق القويم ، فعبدوا الدنيا واعتقدوا أن الفضيلة في الفائدة العملية ، والمثل الكامل عندهم والفارق بين الخير والشر هو النجاح

(١) ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين لأبي الحسن الندوي ص ٢٠٠ .

(٢) المصدر السابق ص ٢٠٢ .

(٣) المصدر السابق ص ٢٠٣ .

المادى لا غير ، فصارت الثروة أقوى عامل فى حياة النصارى وأكبر باعث للعمل لأن الثروة ووفورتها مقياس لكفاءة الانسان فى تصورهم .

قال الأستاذ جود رئيس الفلسفة وعلم النفس فى جامعة لندن :
" سألت عشرين طالبا وتلميذة كلهم من أوائل العقد الثانى من أعمارهم كم منهم مسيحى بأى معنى من معانى الكلمة ، فلم يجيب " نعم " إلا ثلاثة فقط ، وقال سبعة منهم : إنهم لم يفكروا فى هذه المسألة أبدا ، أما العشرة الباقية فقد صرحوا بأنهم معا دون للمسيحية " .

وهكذا ففر الناس من دين النصرانية ، ومن ثم من دين الله ، فضاعوا وانتكسوا إلى مستوى الحياة البهيمية وشاعت فيهم الأمراض الاجتماعية المزمنة وتساقطوا فى مهالك المادة ، وأصبح القلق يسيطر عليهم حتى نسوا نفوسهم ، وأظلمت قلوبهم ، وتبدل أحساسهم لحساب المعدة والجسد وغرقوا فى المتاع الحسى حتى غفلوا عن الحكمة التى خلقهم الله لأجلها ونسوا المصير المحتوم فى الدار الآخرة .

وقد حاولت الكنيسة أن تعيد الناس إلى حظيرتها ، ولكن جهودها باءت بالفشل ، مع أنها حاولت ذلك بكل وسيلة سواء أكانت وسيلة شريفة أو غير شريفة ، فأنحس الدين النصرانى داخل جدران الكنيسة كما انحس رجالها داخلها أيضا ، ولكن الكنيسة لم تقبل هذا الانعزال ، بل حاولت تطوير الدين وتطوير الشعائر الدينية حتى صارت الصلاة تؤدى على انغام الموسيقى ثم تعقبها حفلات الرقص بين الجنسين تحت الأضواء الخافتة الحاملة ، وبين الألحان الدافئة والساخنة ، تحت سمع ومصر رجال الكنيسة

بل تحت رعايتهم وتوجيههم السديد ، وذلك لكي يستجيب الناس للنسـ
(١)

الكنيسة ورجالها * . ، ، ، ، ،

وكل ذلك لم يؤت ثماره .

* * * *

(١) انظر أساليب الغزو الفكري للعالم الإسلامى د / محمد على جريشة

” الفصل الثالث ”

- الآثار التي ترتبت على محاولة اليهود إفساد العقيدة الإسلامية .
- ١ - الإسرائيليات في تفسير كتاب الله الكريم ———
- ٢ - تخلف المسلمين عن موكب الحياة نتيجة لتلك المحاولات .

الفصل الثالث :

أثرنا الذي ترتب على محاولة اليهود لمفا والعقيدة الإسلامية .
وهو كما نرى في الرسالة - ٢٤١ -

سبق أن ذكرت ما قام به اليهود من محاولات لمحاربة العقيدة الإسلامية وزعزعتها في نفوس معتققيها ، وكيف أن تلك المحاولات باءت بالفشل الذريع ولكنها مع ذلك تركت أثارا سيئة في حياة المسلمين ، وخاصة العامة منهم لأن الرسائل اليهودية لم تكن ظاهرة حتى يحذر منها العامة .

وكما تأثر بها كثير من الذين في قلوبهم مرض أو خطنهم من العلم ضعيف كالمنافقين وغيرهم ، وللذين كانوا مجوسا دوزبارز في هذا الأمر أيضا . ولقد كانت تلك الآثار بارزة ، وليست بالقليلة في كثير من كتب التفسير والحديث والتاريخ والأدب والأخلاق .

وحيث إن هذا الموضوع يبدو حول العقيدة أحببت أن أذكر جانباً من تلك الآثار مما يتعلق بالعقيدة الإسلامية ، مع ذكر بعض الأمور الهامة التي أرى أنها لا بد من ذكرها ، لأنها قد تكون من نتيجة الانحراف عن العقيدة الصحيحة لدى بعض الناس .

وقد قسمت الفصل إلى فقتين .

الأولى منهما : دخول الإسرائيليات في تفسير كتاب الله الكريم .

الثانية منهما : تخلف المسلمين عن موكب الحياة نتيجة لتلك المحاولات .

الفقرة الأولى : الإسرائيليات في تفسير كتاب الله تعالى :

لفظ الإسرائيليات - كما هو ظاهره - جمع مفردة إسرائيلية ، وهي قصة أو حادثة تروى عن مصدر إسرائيلي ، والنسبة فيها إلى إسرائيل ، وهو يعقوب بن اسحاق بن إبراهيم عليهم السلام ، ويعقوب هو أبو الأسباط الاثنى عشر ، وإليه ينسب اليهود ، فيقال بنو إسرائيل ، وقد ورد ذكرهم

فى القرآن الكريم منسويين إليه فى مواضع كثيرة منها : قوله تعالى :

(لعن الذين كفروا من بنى إسرائيل على لسان داود وعيسى ابن مريم ذلك
(١)
بما عصوا وكانوا يعتدون) •

وقوله تعالى : (وقضينا إلى بنى إسرائيل فى الكتاب لتفسدن فى
(٢)
الأرض مرتين ولتعلن علوا كبيرا) •

وقوله تعالى : (إن هذا القرآن يقص على بنى إسرائيل أكثر الذى
(٣)
هم فيه يختلفون) •

(٤)

وتنقسم الإسرائيليات إلى ثلاثة أقسام :

القسم الأول : ما هو مقبول ، وهو ما يعلم صحته بأن نقل عن النبى صلى
الله عليه وسلم نقلا صحيحا ، وهذا القسم لا اعتراض عليه ، وليس من خصائص
الإسرائيليات •

القسم الثانى : ما ليس لدينا دليل شرعى أو عقلى على قبوله أو رده ، وهذا
القسم نتوقف فيه فلا نجزم بصدقه ولا بكذبه ، وقد تجوز روايته ، ويكون من
باب قول الرسول صلى الله عليه وسلم : " لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم
(٥)
(وقولوا :) (أمنا بالله وما أنزل إلينا) • وقوله صلى الله عليه وسلم :

(١) المائدة : ٧٨ •

(٢) الإسراء : ٤ •

(٣) النمل : ٧٦ •

(٤) انظر الإسرائيليات فى التفسير والحديث د / محمد حسين الذهبى

ص ٩ •

(٥) البخارى كتاب التفسير ٢٥ / ٦ •

"لا تسألوا أهل الكتاب عن شيء فإنهم لن يهدوكم وقد ضلوا ، وإنكم
إما أن تكذبوا بحق أو تصدقوا بباطل ، والله لو كان موسى بين أظهركم
(١)
ما حل له إلا أن يتبعنى " .

وقوله صلى الله عليه وسلم : " بلغوا عنى ولو أية ، وحدثوا عنى
(٢)
إسرائيل ولا حرج ، ومن كذب على متعمدا فليتبئوا عقده من النار " .

القسم الثالث : ما علم كذبه ووضعه ، كأن يتناقض مع ما هو معلوم من الدين
بالضرورة ، وكأن يكون ممالا يتفق مع العقل ، وهذا القسم هو القسم المودود
وهو القسم الذى أقصده بالإسرائيليات فى هذا المكان .

ونفلة بعض المسلمين وسذاجة بعضهم ، ورغبتهم باستخدام القصص
ذات التأثير فى نفوس العامة ، من الأسباب التى جعلت الكثير منهم يدخل
فى التفسير القصص الإسرائيلية دون أن توضع موضع النقد والتحرير العلمى
فكان منها ما لا يقبل عقلا ولا يصح نقلا ، ونجد منها ما هو مسند إلى بعض
الصحابة ، ومنها ما هو مرفوع إلى الرسول صلى الله عليه وسلم ، ولكن الاسناد
موضوع أو شديد الضعف ، لا يقبل بوجه من الوجوه .

واتخذ تلك القصص بعض المشتغلين بالتفسير مادة يشرحون بها بعض
نصوص القرآن وهى فى صورتها هذه تشكل خطرا بالغا على المفاهيم القرآنية
وشرا مستطيرا ، بما حوته من أباطيل وخرافات نسبت الكثير منها إلى رسول
الله صلى الله عليه وسلم ، وانخدع بعض المشتغلين بالتفسير بهذه القصص

(١) مسند الإمام أحمد ٣/٣٣٨ .

(٢) البخارى كتاب أحاديث الأنبياء : ٥٠ .

والتفسيرات المستند إليها وظنوها معارف مقبولة في المفاهيم الإسلامية
لا سيما إذا كانت منسوبة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أو أصحابه اعتقاداً
منهم بأن المفسرين المسلمين لا يوردونها في التفسير مالم تكن موشوقاً به
سليمة من الزيف ، وسبب ذلك قبلوها وصدقوا بها مع ما فيها من أكاذيب
وأباطيل .

إن كثيرا من المسلمين قد انخدعوا بهذه الإسرائيليات فحشدوا في كتبهم
وعقولهم خرافات كثيرة نقلوها عن العهد القديم وتحريفاته . من غير بيان
أصولها وتحريف مفاهيمها ودلالاتها ، وأخذوها ظانين أنها من الدين .

يقول الدكتور محمد حسين الذهبي : " بل لا أكون مبالغا ولا متجاوزا حد
الصدق إن قلت إن كتب التفسير كلها قد انزلت مؤلفوها إلى ذكر بعض
الإسرائيليات وإن كان يتفاوت قلة وكثرة . وتعقبا عليها وسكوتا عنها
وإذا ما أردنا أن ننوع كتب التفسير على حسب مناهجها في رواية الإسرائيليات
(١)
وسكوتها عنها أو نقدها لوجدناها أنواعا مختلفة " .

ويقول ابن خلدون وهو يبين كيف دخلت الإسرائيليات في كتب التفسير
وكيف أن بعض المفسرين تأثروا بها حتى ملأوا بها كتبهم : " وقد جمع المتقدمون
في ذلك - يعني التفسير النقلي - وأوعوا ، إلا أن كتبهم ومنقولاتهم تشتمل
على الغث والسمين والمقبول والمردود ، والسبب في ذلك أن العرب لم يكونوا
أهل كتاب ولا علم ، وإنما غلبت عليهم البداوة والأمية ، وإذا تشوقوا إلى معرفة
شيء مما تشوق إليه النفوس البشرية في أسباب المكونات وهدى الخلق وأسرار

(١) الإسرائيليات في التفسير والحديث ص ٥٦ .

الوجود ، فإنما يسألون عنه أهل الكتاب قبلهم ويستفيدونه منهم ، وهم
أهل التوراة من اليهود ومن تبع دينهم من النصارى . وأهل التوراة الذين
بين العرب يومئذ بادية مثلهم ، ولا يعرفون من ذلك إلا ما تعرفه العامة
من أهل الكتاب ، ومعظمهم من حمير الذين أخذوا بدين اليهود فلما
أسلموا أبقوا على ما كان عندهم ، مما تعلق له بالأحكام الشرعية التي
يحتاطون لها ، مثل أخبار بن الخليفة ، وما يرجع إلى الحدثن ، والملاحم
وأمثال ذلك . وهؤلاء مثل كعب الأحمري ووهب بن منبه وعبد الله بن سلام
وأمثالهم . فأمثال التفاسير من المنقولات عندهم في أمثال هذه الأغراض
أخبار موقوفة عليهم وليست مما يرجع إلى الأحكام فتحرى في الصحة التي يجب
بها العمل ، وتساهل المفسرون في مثل ذلك ، وملأوا كتب التفسير بهذه
المنقولات ، وأصلها كما قلنا عن أهل التوراة ، الذين يسكنون البادية
ولا تحقيق عندهم بمعرفة ما ينقلونه من ذلك ، إلا أنهم بعد صيتهم وعظمت
أقدارهم لما كانوا عليه بالمقامات في الدين والملة فتلقيت بالقبول من يومئذ .
أمثلة للإسرائيليات المردودة :

قد سبق لنا أن كتب التفسير مليئة بالإسرائيليات ، ولا يمكن حصرها
في مثل هذه الفقرة ، لذلك كان لزاما على أن أذكر بعضها منها فحسب .

المثال الأول : جاء في تفسير ابن جرير الطبري عند تفسير قوله تعالى :

(٢)
(قال رب أنى يكون لى غلام ، وكانت امرأتى عاقرا وقد بلغت من الكبر عتيا) .

قال حدثني عمرو قال حدثنا أسباط عن السدي قال : نادى جبريل

زكريا إن الله يبشرك بغلام اسمه يحيى لم نجعل له من قبل سميا ، فلما سمع

(١) مقدمة بن الخلدون ٣٣٩ / ١ .

(٢) سورة مريم : ٨ .

النداء جاءه الشيطان فقال يا زكريا إن الصوت الذي سمعت ليس من الله
إنما هو من الشيطان يسخر بك ، ولو كان من الله أوحاه إليك كما يوحى إليك
(١)
غيره من الأمر ، فشك وقال (أنى يكون لى غلام) .

فمضمون هذه الرواية يفيد أن الشيطان قد استطاع التأثير على زكريا
عليه السلام ، وهذا مخالف لصفة العصمة التى يجب عقلا وشرعا أن يتصف
بها الأنبياء عليهم السلام ، فمما ذكر هنا فى حق زكريا عليه السلام باطل
لا أصل له ، لأنه لا يجوز للنبي أن يشك فيما يوحى به إليه ، وإلا فقد دنت
الثقة به وما يدعيه وحيا .

المثال الثانى :

جاء فى تفسير ابن جرير أيضا عند قوله تعالى (ويصنع الفلك) ، وكما
مر عليه مالا من قومه سخروا منه ، قال إن تسخروا منا فإننا نسخر منكم كما
(٢)
تسخرون (مايلسى :

قال ابن جرير: حدثنا الحسين قال حدثنا حجاج عن مفضل بن فضالة
عن على بن زيد بن جدعان عن يوسف بن مهران عن ابن عباس رضى الله
عنهما قال : قال الحواريون لعيسى ابن مريم لو بيعت لنا رجلا شهد السفينة
فحدثنا عنها قال : فانطلق بهم حتى انتهى بهم إلى كتيب من تراب فأخذ
كفا من ذلك التراب بكفه . قال أتدرون ما هذا قالوا الله ورسوله أعلم
قال هذا كعب حام بن نوح ، قال ف ضرب الكتيب بعصاه ، قال : قم بإذن
الله ، فإذا هو قائم ينفخ التراب عن رأسه قد شاب ، قال له عيسى هكذا

(١) جامع البيان ٥٠/١٦ .

(٢) هود : ٣٨ .

هلكت ؟ قال : لا ، ولكن مثله وأنا شاب ، ولكنى ظننت أنها الساعة ، فمن ثم شبت . قال : حدثنا عن سفينة نوح ، قال : كان طولها ألف ذراع ومائتى ذراع ، وعرضها ستمائة ذراع ، وكانت ثلاث طبقات ، طبقة فيها الدواب والوحوش وطبقة فيها الإنس ، وطبقة فيها الطير ، فلما ^{كثرت} أرواث الدواب أوحى الله إلى نوح : أن أغمر ذنب الفيل ، فغمره فوقع منه خنزير وخنزيره فأقبلا على الروث ، فلما وقع الفأر بحبل السفينة يقرضه أوحى الله إلى نوح أن أضرب بين عيني الأسد ، فخرج من منخره ^{سنور} مستورة ، فأقبلا على الفأر ، فقال له عيسى : كيف علم نوح أن البلاد قد غرقت ، قال بعثت غرابا يأتيه بالخبر فوجد جيفة ، فوقع عليها فدعا عليه بالخوف ، فلذلك لا يألون البيوت ، قال ثم بعث الحمامة فجاءت بورق زيتون بمنقارها وطين برجلها فعلم أن البلاد قد غرقت . قال فسطوقها الخصرة التى فى عنقها ودعا لها أن تكون فى أنس وأمان ، فمن ثم تألف البيوت . قال : فقلنا يارسول الله ألا ننطلق به إلى أهلينا فيجلس معنا ويحدثنا ؟ قال كيف يتبعكم من لا رزق له ؟ قال فقال له عد بإذن الله قال فعاد ترابا " .

فهذه القصة من القصص الإسرائيلية المصنوعة ظاهرة الكذب ولا أصل لها من الصحة ، وذلك للأدلة الآتية :

أولا : أن هذه القصة تثبت عدم وجود الخنازير والقطط فى ذلك الوقت وأنهما لم يخلقا بعد ، وهذا فيه نظر ، ولا نرى له أصلا ، لافى العهد القديم ولا فى القرآن ، فالعهد القديم يثبت أنه مامن نوع من أنواع المخلوقات ^(٢) إلا وحمل فى هذه السفينة .

(١) جامع البيان ٣٥ / ١٢ - ٣٦ .

(٢) انظر العهد القديم تكوين الإصحاح ١٩ - ٢١ .

(١)

وظاهر الآية في قوله تعالى : (قلنا احمل فيها من كل زوجين اثنين) يدل على أن الله سبحانه وتعالى أمر نوحا أن يحمل فيها من كل نوع من الأحياء أو الحيوانات زوجين اثنين ، ذكر وأنثى ، لأجل أن تبقى بعد غرق سائر الأحياء ، فتناسل ويبقى نوعها على الأرض .

ثانيا : أخرج الإمام أحمد في الزهد وأبو الشيخ عن وهب بن منبه قال : لما أمر نوح عليه السلام أن يحمل من كل زوجين اثنين ، قال كيف أصنع بالأسد والبقرة ؟ وكيف أصنع بالعناق والذئب ؟ وكيف أصنع بالحمامة والهرة قال : من ألقى بينهم العداوة ؟ قال أنت يارب ؟ قال فإني أألف بينهم حتى لا يتضاروا * .^(٢)

فهذه الرواية توضح وتؤكد وجود الهر ، وأنها كانت مخلوقة في ذلك الوقت ، ومعروفة لدى نوح عليه السلام بينما نرى هذه القصة تروى خلاف ذلك ، والله أعلم .

ثالثا : إسناد الحديث ضعيف لأن فيه مفضل بن فضالة وهو ضعيف وكذلك على بن زيد بن جدعان فيه ضعف ، وفيه انقطاع بين الحسن وحجاج لأن الحسن ليس من الذين رووا عن حجاج بن محمد الأعور .^(٣)

المثال الثالث

ذكر القرطبي عند تفسير قوله تعالى : (الذين يحطون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم) خبرا عن كعب الأحبار وقال : لما خلق الله^(٤)

-
- (١) هود : ٤٠ .
(٢) الدرر المنثور في التفسير المأثور للإمام السيوطي ٤ / ٤٢٤ .
(٣) انظر تهذيب التهذيب لابن حجر وميزان الاعتدال ولسان الميزان .
(٤) غافر الآية : ٧ .

تعالى العرش قال : لن يخلق الله خلقا أعظم منى ، فاهتز ، فطوقه الله بحية ، للحية سبعون ألف جناح ، فى الجناح سبعون ألف ريشة ، وفى كل ريشة سبعون ألف وجه ، وفى كل وجه سبعون ألف فم ، وفى كل فم سبعون ألف لسان ، يخرج من أفواهها فى كل يوم من التسبيح عدد قطر المطر ، وعدد ورق الشجر ، وعدد الحصى والثرى ، وعدد أيام الدنيا وعدد الملائكة أجمعين ، فالتوت الحية بالعرش ، فالعرش إلى نصف الحية وهى ملتصقة طيه».

ثم قال : «إن حملة العرش أرجلهم فى الأرض السفلى ورأسهم قد خرقت العرش» ، إن هذه القصة مصنوعة لا يصح إدخالها فى التفسير ، وهى من الإسرائيليات الدخيلة ، ودليل كونها مصنوعة مايلى :

١ - عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : «سئل النبی صلى الله عليه وسلم (٢) عن قول الله عز وجل (وسع كرسيه السموات والأرض) : قال : كرسيه موضع قدميه ، والعرش لا يقدر قدره ، إلا الله عز وجل».

وعن أبى نذر الغفارى رضى الله عنه ، أنه سأل النبی صلى الله عليه عليه وسلم عن الكرسي ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم " والذى نفسى بيده ما السموات السبع والأرضون السبع عند الكرسي إلا كحلقة ملقاة بأرض فلاة ، وإن فضل العرش على الكرسي كفضل الفلاة على (٤) تلك الحلقة " .

(١) تفسير القرطبي ٢٩٤/١٥ .

(٢) البقرة : ٢٥٥ .

(٣) مختصر ابن كثير ٢٣١/١ .

(٤) المصدر السابق ٢٣١/١ .

فهذان الأثران يدلان على أن العرش أعظم مخلوقات الله تعالى وليس في المخلوقات أعظم منه بينما تثبت رواية كعب الأخبار ذي الأصل اليهودي خلاف ذلك .

٢ - لدينا آية تشير إلى عظمة العرش ومجده وقوله تعالى : (الله لا إله إلا هو رب العرش العظيم) وهذه إشارة على أن العرش مخلوق عظيم .
(١)
٣ - وقد تمدح الله سبحانه وتعالى بأنه (ذو العرش المجيد) وأنه (رفيع الدرجات ذو العرش) . وهذا دليل على عظمة العرش وأنه أكبر من جميع المخلوقات .

٤ - وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في دعائه عند الكرب (لا إله إلا الله العظيم الحليم ، لا إله إلا الله رب العرش العظيم) رواه مسلم .
(٤)
٥ - بل لقد جاء في مسند الإمام أحمد ما يدل على أن العرش الذي تحيطه الحية هو عرش إبليس اللعين ، ليس هو عرش الرحمن .

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أنه قال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لابن صائد ماتري ؟ قال : أرى عرشا على البحر حوله الحيات ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " يبرى عرش إبليس " وفي رواية قال : " ذاك عرش إبليس " .
(٥)

-
- (١) النمل : ٢٦ .
(٢) بروج : ١٥ .
(٣) غافر : ١٥ .
(٤) في كتاب الذكر : ٧٩ .
(٥) المسند ٦٦ / ٣ .

المثال الرابع :

ما جاء في تفسير ابن جرير الطبري عند قوله تعالى : (ولقد فتننا سليمان وألقينا على كرسيه جسدا ثم أناب) . نقل ابن جرير عن مجاهد قوله (على كرسيه جسدا) أنه قال : شيطانا ، يقال له صخرة ، فقال له سليمان كيف تفتنون الناس ؟ قال : أرني خاتمك أخبرك ، فلما أعطاه إياه نبذه صخرة في البحر فصاح سليمان وذهب ملكه ، وقعد صخرة على كرسيه ، ومنعه الله من نساء سليمان فلم يقربهن وأنكرنه ، قال فكان سليمان يستطعم فيقول : أتعرفوني أطعموني ، أنا سليمان ، فيكذبونه حتى أعطته امرأة يوما حوتا يطيب بطنه ، فوجد خاتمه في بطنه فرجع إليه ملكه وفر صخرة فدخل البحر فارا * .
(٢)

هذه القصة واضحة كل الوضوح أنها كذب وافتراء انتقلت إلى كتب التفسير عندنا من الإسرائيليات إن من غير الجائز شرعا أن يمكن الله شيطانا من التسلط على نبيه سليمان وعلى ملكه فيتحكم فيه كيف شاء أربعين يوما ، ومن غير الجائز شرعا أن يلقي الله شبه سليمان عليه السلام على شيطان ، فيلبس على الناس أمر دينهم ، ثم أنى يكون للشيطان سلطان على قلب أنبياء الله ، والله يقول في كتابه الكريم : (إن عبادي ليس لك عليهم سلطان إلا من اتبعك من الفاهين) .
(٣)

فكيف نقبل هذه القصة مع أنها تثبت أن الشيطان صار قاضيا بينهم بدل سليمان ، وأن بني إسرائيل كانوا ينكرون منه أشياء ، حتى قالوا : لقد

(١) ص الآية ٣٤ .

(٢) جامع البيان ١٠١ / ٢٣ .

(٣) الحجر : ٤٣ .

فتن نبى الله ، وحتى قال بعضهم لهذا الشيطان ياتى الله وهو لا يرى
، إلا أنه نبى الله ، أحدنا تصيبه جنابة فى الليلة الباردة فيدع الغسل عمدا
(١)
حتى تطلع الشمس أترى عليه بأسا قال لا * .

وهذا كله يخالف عصمة الرسل ، وعصمة بياناتهم عن أن تكون عرضة
للكذب عن الله مع وجودهم .

لقد تقدم لنا أن اليهود لا يعتقدون عصمة الأنبياء من الذنوب
فهم عندهم كسائر الناس فى ارتكاب المحرمات والمعاصى والذنوب بل
يتجاوزون الحد من ذلك ، فيجعلون من الأنبياء أبطالا للجريمة وقادة
للفجور والدعارة ، وارتكاب أعظم الأثام ، فهل بعد هذا يجوز لنا أن -
ننقل شيئا منهم وتدخله فى كتبنا وخاصة فى تفسير كلام الله عز وجل ؟ :

(١) تفسير ابن جرير الطبرى ١٠١ / ٢٣ .

من آثار الإسرائيليات :

لا شك في أن للإسرائيليات آثارا سيئة أضرت بالمسلمين بما حوتـه من خرافات وأباطيل ، ولا فضائلها إلى نتائج خطيرة ، فمن ذلك .

١ - أنها تفسد على المسلمين عقائد هم بما فيها من نفى العصمة عن المرسلين والأنبياء - كما سبق بيان ذلك - وتصويرهم في صورة من استبدت بهم شهواتهم ، ودفعتهم لمذاتهم ونزواتهم إلى قبائح وفضائح لا تليق بإنسان عادي فضلا عن أن يكون نبيا .

٢ - تصور الإسرائيليات الإسلام في صورة دين خرافي يعنى بتراهاات وأباطيل لا أصل لها مثل ما يروى في صفة آدم عليه السلام من أن رأسه كان يبلغ السحاب ويحاكيها ، فاعتراه لذلك صلع ، ولما هبط على الأرض بكى على الجنة حتى بلغت دموعه بحرا وجرت فيها السفن وما يروى في شأن داود عليه السلام من أنه سجد لله تعالى أربعين ليلة ، وبكى حتى نبت العشب من دموع عينيه ثم زفر زفرة هاج لها (١) ذلك النبات * .

٣ - بأنها كادت تصرف الناس عن الغرض الذي أنزل القرآن من أجله وتطهيمهم عن تدبر آياته ، والانتفاع بعبره وعظاته ، والبحث عن أحكامه وحكمه فكانت هذه الإسرائيليات عقبات وأشواكا في طريق التقدم الفكري الإسلامي ، لأنها كانت تشغل طمأ المسلمين بتخلية الطريق منها فكان هم جهابذتهم أن يقفوا منبهين على خطرهما ، ومحذرين من ضلالها .

(١) انظر الإسرائيليات في التفسير والحديث محمد حسين الذهبي

ووصف بعض الباحثين هذه الظاهرة (إدخال الاسرائيليات فى التفسير) بأنها ليست إلا حوبا حقيقة لكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم أراد أعداء الإسلام بها صرف كل من يقرأ تفسيراً من التفاسير عما يريد الله فى كتابه من هداية البشرية إلى حكايات وأعاجيب وأساطير تستهوى البسطاء ، ثم تتراكم هذه الأساطير وتعتز حركه الافهام (١) السليمة .

وأقول : قد يكون هذا فعلا غرض الذين دسوا هذه الأساطير وهذه الإسرائيليات ، ولكن كثيرا من علماء المسلمين الموثوق بهم أدخلوها فى تفاسيرهم غير محترسين ، لأنهم ماكانوا يرون فيها الخطر الكبير الذى أصبحنا الآن نراه ، بعد ظهور الانحرافات الفكرية الخطيرة ، وتوجبها المطاعن على الإسلام من خلالها .

٤ - أنها كادت تذهب بالثقة فى بعض علماء السلف من الصحابة والتابعين فقد أسند من هذه الإسرائيليات المنكرة شئ ليس بالقليل ، والى نفر من سلفنا الصالح الذين عرفوا بالثقة والعدالة ، واشتهروا بسين المسلمين بالتفسير والحديث وأخذت أقوالهم وأراؤهم بالتسليم من قبل جمهور المسلمين ، حتى كأنها إحدى مصادر الفهم الصحيح لكتاب الله عز وجل وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم . ونجم عن ذلك أنهم اتهموا من أجل نسبة هذه الإسرائيليات إليهم بأبشع الاتهامات ، وعدهم ببعض المستشرقين ومن مشى فى ركابهم من المسلمين مدسوسين على الإسلام وأهله ومن أكثر هؤلاء السلف نيلا منه وتحاملا عليه أبو هريرة رضى الله عنه وعبد الله

(١) الإسلام والدعوات الهدامة أنور الجندى ص ٢٣٦ .

بن سلام وعبد الله بن عباس وعبد الله بن مسعود رضى الله عنهم أجمعين ممن
(١)
لهم قدم راسخة فى الإسلام .

يقول الدكتور محمد حسين الذهبى : " ولقد كان لهذه الإسرائيليات
التي أخذها المفسرون عن أهل الكتاب وشرحوا بها كتاب الله تعالى أثر
سوء فى التفسير ، ذلك لأن الأمر لم يقف على ما كان عليه فى عهد الصحابة
بل زاد على ذلك ، فرووا كل ما قيل لهم وإن صدقا وإن كذبا ، بل ودخل
فى هذا النوع من التفسير كثير من القصص الخيالى المخترع ، مما جعل
الناظر فى كتب التفسير التى هذا شأنها يكاد لا يقبل شيئا مما جاء فيها
لاعتقاده أن الكل من واد واحد . وفى الحق أن المكثرين من هذه الإسرائيليات
وضعوا الشكوك فى طريق المشتغلين بالتفسير ، وذهبوا بكثير من الأخبار
الصحيحة بجانب ما رووه من قصص مكذوب وأخبار لا تصح ، كما أن نسبة هذه
(٢)
الإسرائيليات التى لا يكاد يصح شئ منها إلى بعض من آمن من أهل الكتاب " .

هذه هى بعض جوانب الخطورة على عقائد المسلمين وقدسية الإسلام
من رواية الإسرائيليات ، ولا زالت اليهودية تبذل جهودا عظيمة لفساد عقائد
المسلمين وإضعاف ثقتهم بمقدساتهم من القرآن والسنة النبوية ، وما يتصل
بهما . وآخر مرة تقوم فيها اليهود بمحاولة تحريف القرآن الكريم ما كشفت
مجلة المجتمع فى ٢٨ ربيع الآخر ١٤٠٤ هـ العدد ٦٥٦ تحت عنوان
" طبعة مزورة للقرآن " .

(١) انظر الإسرائيليات فى التفسير والحديث ص ٤٩ - ٥٠ .

(٢) التفسير والمفسرون محمد حسين الذهبى ١ / ١٧٨ - ١٧٩ .

قالت : صرح رئيس لجنة الشؤون الدينية في ماليزيا السيد داتوك بأن الرابطة الإسلامية في ماليزيا أصدرت منشورا جاء فيه : أن إسرائيل طبعت نصف مليون نسخة من القرآن الكريم ، لا تتضمن الآيات المتعلقة بعناد ومكابرة بني إسرائيل ، وأوضح المسئول الماليزي أن تركيا وباكستان وماليزيا تلقت كل منها خمسين ألف نسخة من هذه الطبعة المزورة للقرآن وأضاف أن السلطات الدينية والمسؤولين في المساجد سيساعدون في عطية إيجاد هذه النسخ لسحبها من الأسواق ، وطلب السيد داتوك من المسلمين فحص كل نسخة حديثه للقرآن الكريم للتأكد من أنها لم تطبع في إسرائيل .

الفقرة الثانية : تخلف المسلمين عن موكب الحياة نتيجة لتلك المحاولات ، إن الاسلام لما جاء أضاء نوره أرجاء العالم ، ومد سلطانه فيه ، وتعرض للدولتين العظيمتين ، ففضى على دولة الفرس في الشرق ، وقصم ظهر الروم في الغرب في أقل من نصف قرن ، ولم يمض قرن واحد على البعثة حتى كانت راية الاسلام ترفرف في أهم بقاع الدنيا يومذاك ، وأصبح العالم الإسلامي أكبر المعسكرات وأقواها في الأرض . وأخذ المسلمون يشيرون صرح دولتهم ، ويحملون شعارا لا سلام ، إلى من جاورهم من الشعوب .

ثم مضت القرون وخلف من بعد ذلك خلف ، وجاءت أجيال ، ضعفت في نفوسهم جذوة العقيدة ، وماتت روح الجهاد ، ومهرتهم مظاهر الترف ، وملكت قلوبهم زهرة الحياة الدنيا - وكل ذلك - بتأثيرات الأعداء - فضعفوا ، وأطمع ذلك فيهم الأعداء الحاقدين بعد ما كانوا يهابونهم ويهربونهم . وقد استغل الأعداء غفلة عامة المسلمين وضعفهم في معرفة حقيقة دينهم ، وخطورة كيد أعدائهم ، فتسللوا إلى بلدانهم ، وانسدوا -

بين جماهيرهم ، وكان من آثار ذلك أن فتن كثير من المسلمين في دينهم
وتفرقوا إلى دويلات حقيرة متناهرة متنازعة ، واغتصب أعداؤهم بلادهم
وقتلوا أبناءها وهم في عقر ديارهم ، وفي قلب العالم الإسلامي وممرأى
المسلمين وسمعهم •

ونحن نرى العالم الإسلامي اليوم وقد انتشرت بين كثير من أبناءه
العقائد الباطلة ، والنظم الدخيلة ، والعادات والأخلاق الغربية عن روح
الإسلام ، وذلك ضعف المسلمون ، وتفككت عرى الإسلام ، واستطاع الأعداء
أن يحكموا كثيرا من دياره •

لقد حاول اليهود أن يفعلوا بالمسلمين والإسلام مثل ماكانوا قد
فعلوا بالنصرانية ، حيث جعلوا الدين الكسبي دينا مقصورا على جدرانها
وحيطانها ، لا علاقة له بالحياة ، بل هو فقط علاقة بين الإنسان وبينه
أما بين العباد فلا ، لا في تدبير شئونهم ولا في معاملاتهم ، وقد عطلوا
جهدهم لفصل الدين عن الدولة والسياسية عن الحكم ، وقاموا بإشاعة
هذه المفاهيم في العالم الإسلامي ، كما أشاعوها قبل ذلك في العالم النصراني
وأمن بهذه الأفكار قوم من أبناء المسلمين ومن مقلدي اليهود ومن تلامذتهم •

ألا يدري هؤلاء أن الإسلام دين الخالق ، وهو دين جامع كامل شامل
دين مسجد وديان في الوقت نفسه ، ودين المسلمين ودين الإنسانية
على السواء ، يجمع بين خيرات الدنيا والدين ، وحسنات الآخرة والأولى
ودين يعالج أمور دينهم كما يعالج شئون دنياهم ، ومع هذا كله ومع معرفتهم
بذلك قاموا بمحاولة إخراج الإسلام من هذه المفاهيم إلى مفاهيم أخرى
وجعلوه دين مسجد وتزكية للنفس بالتسبيح فحسب ، وليس له مجال في حياة

الناس ، وفق معاملاتهم ، ثم أخذ هذا المفهوم الخاطئ بعض من ينتسب إلى الإسلام بحسن نية أو بغيرها ، فجعلوه قاعدة ينطلقون منها ويلتزمون بها . نعم لقد حذرنا الله سبحانه وتعالى عن أن نطيع طائفة من أهل الكتاب الذين يحسدون المؤمنين على ما آتاهم الله من فضله فقال تعالى :
(يا أيها الذين آمنوا إن تطيعوا فريقا من الذين أوتوا الكتاب يردوكم بعد إيمانكم كافرين) .

وقال تعالى : (يا أيها الذين آمنوا إن تطيعوا الذين كفروا يردوكم على أعقابكم فتنقلبوا خاسرين ، بل الله مولاكم وهو خير الناصرين) .

نعم هكذا يتمنى أهل الكتاب أو فريق منهم يتمنى أن نصير كفارا بعد أن أمانا بالله حق الإيمان حسدا من عند أنفسهم لنا ، حملتهم عليه أنفسهم الخبيثة ، وهل نطيعهم بعد هذا ؟

إن الدسائس اليهودية وتأثيراتهم الخبيثة ، جعلت عقيدة المسلمين تغيب عن حياتهم ، وجعلتهم يفقدون معاني العزة والكرامة ويتجرعون كأس الهزيمة والذلة . وقد تلاشت دفعة العقيدة ودفعة الإيمان من قلوبهم وصدورهم ، وهذا ما جهد للوصول إليه أعداء الإسلام ، منذ قرون وقرون .
(ولا تركبوا إلى الذين ظلموا فتمسكم النار ومالكم من دون الله من أولياء)
(٣)
ثم لا تنصرون) .

إن اليهود لم يستطيعوا أن يغيروا الإسلام بذاته ، ولكنهم استطاعوا أن يضعوا على مفاهيمه غبارا لا تنكشف إلا للخاصة .

(١) آل عمران : ١٠٠ .

(٢) آل عمران : ١٤٩ - ١٥٠ .

(٣) هود : ١١٣ .

لقد كان اليهود يدركون - باعتبارهم أنهم أهل الكتاب - أنه مستى طمسوا المفاهيم الإسلامية ووضعوها بدلها مفاهيم غير صحيحة ، وغابت المعالم الإسلامية الصافية من نفوس المسلمين ، غاب معها كل أسباب مجد المسلمين وعزتهم ، ولهذا عطوا جاهدين وفق مخططاتهم المدروسة لبلبة العقيدة الإسلامية من النفوس ، فكان لهم ما أرادوا ، ونجحوا فيما هدفوا إليه من زحزحة الإسلام عن ميدانه الفسيح وحجزه في زوايا المساجد ، حتى أصبح معظم القادة والزعماء في العالم الإسلامي ومعهم بعض المخدوعين من الناس يستحيون من ذكر الله وذكر الإسلام في مؤتمراتهم وحفلاتهم العامة ويعطون جاهدين على إبعاد اسم الإسلام من كل ميدان في الحياة .

لقد كان الأعداء يدركون حقيقة هذه الأمة ، وحقيقة عقيدتها ودعوتها - يدركون أن هذه الأمة هي خير أمة أخرجت للناس - لذلك لم يكونوا يحاربونها في الميدان بالسيف والرمح ، فحسب ، إنما كانوا يحاربونها أولاً في عقيدتها كانوا يحاربونها بالدس والتشكيك ونشر الشبهات وتدبير المكائد والمؤامرات كانوا يعتمدون أولاً على عقيدتها الإيمانية التي منها انبثق كيانها ، ومنها قام وجودها ، فيعملون فيها معاول الهدم ، ذلك أنهم كانوا يدركون - كما يدركون اليوم تماماً - أن هذه الأمة لا تؤتى إلا من هذا المدخل ، ولا تنهين إلا إذا وهنت عقيدتها ، ولا تهزم إلا إن هزمت روحها ، ولا يبلغ أعداؤها منها شيئاً وهي ممسكة بعروة الإيمان مرتكئة إلى ركنه سائرة على نهجه ، حاملة لرايته ممثلة لحزبه ، منتسبة إليه ، معترزة
(١)
بهذا النسب وحده .

(١) انظر معركتنا مع اليهود سيد قطب ص ٤٣ .

ولم يقم الأعداء بهذه المؤامرات على الإسلام وحدهم إنما كان هناك فريق منافق من بين صفوف المسلمين اشترك معهم في هدم الإسلام والعقيدة الإسلامية في عقد ديارنا وهم من جلدتنا ، ويتكلمون بالسنتتنا ومع ذلك نجدهم ينبذون وراء ظهورهم مصادر الثقافة الإسلامية ، وهى القرآن والسنة المطهرة ، والتاريخ الإسلامى ، ويولون وجوههم وأفئدتهم قبل المصادر الغربية لحضارة الإسلام ، ويدرسونها ، ويصدقونها ويتأثرون بها ثم يدعون بدعوتها ويفترون افتراءها ، وينادون بالفناء كل المقومات الإسلامية ، والمقومات الأساسية لهذه الأمة ، فقد نادى هؤلاء المجندون بتغيير الأفكار والنزعات والاتجاهات فى الأمة الإسلامية ، ونادوا بتطويع كل شئ فى حياة الأمة ، وهم يعيشون فى وسطها ويلبسون لباسها وهم ليسوا منها ، ويتسمون بأسمائها ، وهم براء منها ، حيث إنهم يعملون فى البلاد الإسلامية لغير أهداف المسلمين ، وهؤلاء هم الذين يقومون (١) بشئون الخدمة الاجتماعية ، وتنظيم الحياة الإسلامية فى شتى جوانبها . وقد يؤدى هؤلاء العبادات كاملة أو منقوصة باعتقاد أن ذلك هو وحده الدين. أما المعاملات ونظم الحياة ، وتنظيمات المجتمع ، فيجب تحويلها : إلى نظم غريبة عن الإسلام ، وقد أخبرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بوجود مثل هؤلاء فى هذه الأمة فى الحديث الصحيح ، يقول حذيفة بن اليمان رضى الله عنه : كان الناس يسألون رسول الله عن الخير وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركنى . فقلت : يا رسول الله ، إنا كنا فى جاهلية وشر ، فجاءنا الله بهذا الخير ، فهل بعد هذا الخير شئ ؟

(١) انظر الإستشراق والمستشرقون د / مصطفى السباعى ص ٢٠ - ٢٢ .

قال " نعم " فقلت هل يعد ذلك الشر من خير ؟ قال " نعم " وفيه دخن " .
قلت : وما دخنه ؟ قال : " قوم يستنون بغير سنتي ، ويهدون بغيري
هدى تعرف منهم وتنكر " . فقلت : هل يعد ذلك الخير من شر ؟ قال :
" نعم " دعاة على أبواب جهنم من أجابهم إليها قذفوه فيها " قلت يارسول
الله صفهم لنا ، قال " نعم قوم من جلدتنا ويتكلمون بألسنتنا " قلت يارسول
الله فماترى إن أدركنى ذلك ؟ قال : " تلزم جماعة المسلمين وإمامهم " —
فقلت فإن لم تكن لهم جماعة ولا إمام ، قال : " فاعتزل تلك الفرق كلها
(١)
ولو أن تعض على أصل شجرة حتى يدركك الموت وأنت على ذلك " . متفق
عليه .

نعم لقد قام هؤلاء القوم بدور خطير فيما أخطر ما قام به اليهود
أنفسهم ، ذلك أنهم يعرفون دقائق الأمور التي لا يستطيعها إلا من
كانت له صلة وثيقة بالمسلمين ، يعلم خفاياهم ، فكان هؤلاء أدلة على
المسلمين للأعداء ، فشككوا المسلمين في عقيدتهم وفي دينهم ، وألقوا الوهن
والرعب من الأعداء ، فهانت كرامتهم وضعفت نفوسهم وقوتهم ، فأصبحوا
يذبحون كمانذبح الشاة وهى في حظيرتها من غير أن يكون لها منتقم أو من
يغضب لأجلها منكرا الاعتداء عليها .

وهذا المعنى حدد النبى صلى الله عليه وسلم في حديثه وهو يشير
الى داء الأمة مستقبلا : فقال عليه الصلاة والسلام " يوشك أن تداعى عليكم
الأمم من كل أفق كاتداعى الأكلة على قصعتها ، قالوا يارسول الله أئمن
قلة بنا يومئذ ؟ قال أنتم يومئذ كثير ، ولكن تكونون غثاء كغثاء السيل

(١) البخارى المناقب ٢٥ . ومسلم كتاب الإمارة ٥١ .

ينتزع المهابة من قلوب عدوكم ويجعل في قلوبكم الوهن ، قالوا : وما الوهن

(١)

قال حب الحياة وكراهية الموت " . رواه أحمد وأبو داود .

وصار المسلمون اليوم من جراء تلك التأثيرات ضعفاء في كل شيء ضعفاء في عقيدتهم ، ضعفاء في علمهم ، ضعفاء في سلوكهم ، وأخلاقهم ضعفاء في صناعتهم وفي سياستهم ، ليس لهم كلمة تسمع في المحافل الدولية ولا في المنظمات العالمية ، فقدوا الثقة بأنفسهم ، وأصابهم انهزام داخلي فصارت الأمة إلا من رحم الله منها لا تثق بالله عز وجل ولا بنفسها في حل مشاكلها الداخلية والخارجية ، وأصبحت إذا ما نزلت بها نازلة ولو كانت بسيطة تلجأ إلى غير الله وتعون به ، تلجأ إلى مقر الأمم المتحدة بسدل أن ترجع إلى خالق الأمم المتحدة وتطلب العون منه .

يقول بعض الكتاب : " إن العالم في تغير وارتقاء ، مستمر - ولكن المسلمين لا يزالون متقهقرين أشواطاً بعيدة ، وقال الشيخ علي يوسف منشي أهم جريمة إسلامية في خطاب ألقاه على جمهور عظيم : إن المسيحيين قد سبقونا في كل شيء فالمسلمون ليس لديهم بواخر في البحر وهم غير منتبهين لموقفهم ، ومجهوداتهم متشتتة ، وكل ما يفعلونه أنهم يمشون وراء مرشديهم ولكنه بغير اهتمام ذاتي ، لإدراك الأمم التي سبقتهم " .

(٢)

والواقع لم تكن صفات هذه الأمة على هذا الشكل عندما كانت تؤمن بخيريتها ، وعندما كانت تستعلى بإيمانها ، وكانت ترى وجود الذاتها

(١) مسند أحمد ٢٧٨/٥ ، أبو داود كتاب الملاحم ، وركبت عنه .

(٢) الفارة على العالم الإسلامي ص ٥٧ .

وحياة مستقلة غير مرتبطة بالآخرين ، ولكنها لما انحرفت عن الجادة أصبحت لا تشق بنفسها ولا بذاتها القديم ، فضعفت ثقمتها بعبادتها السامية فظلت تشك في كل ما يأيديها من قيم وأخلاق وعقيدة ومثل عليا ، وذلك سهّل على الأعداء تشديد وطأتهم عليها ونشر ثقافتهم الحضارية بين هذه الأمة حتى صارت مثل العبيد لهم ، ووهنت روح الإخاء بين المسلمين ، ففى مختلف أقطارهم عن طريق إحياء القوميات .

ولا شك في أن القوميات التي أثّرت في داخل المجتمعات الإسلامية كانت من أعمال اليهود أيضا وهي التي أثّرت النعرات القبلية والحميصة الجاهلية في صفوف المسلمين سواء في العصور القديمة أو الحديثة وأوجدت النفور بين قلوب المسلمين ، وفكت الوحدة الإسلامية ، وزرعت الخلافات بين الشعوب الإسلامية ، وعملت جاهدة لمنع اجتماع شمل المسلمين ووحدة كلمتهم بكل ما في أذهانها من قدرات على تحريف الحقائق حتى لا يتفاهموا (١)
على الحق والخير .

وكان لهم دور فعال في فساد الحكام وتنازعتهم في الزعامة وفساد الحكم وتطبيق قانون الغابة على المسلمين بعضهم مع بعض فلم يفرق الحكام بين حكم إسلامي يستمد أصوله من الكتاب والسنة ، وبين حكم الغلبة والقهر ، وتصارع الزعماء على حصوله ، وعلى الدنيا ، وأحلوا قومهم دار البوار ، حيث ترتب من ذلك بأن تولى الغلمان الذين لا يدركون شيئا عن الحكم ، فأفسدوا السياسة وشؤون الحكم بالنظريات التي وضعوها وروجوها ، فأخذ بها

(١) انظر الإستشراق والمستشرقون ص ٢٦ - ٣٠ .

الغرب أولاً ثم انتقلت إلى بلاد المسلمين عن طريق الاستعمار .
لقد كان للمكايد اليهودية تأثيرات كثيرة أدت إلى حصول الاضطرابات
والثورات في العالم الإسلامي ، الأمر الذي أدى إلى خسائر فسي الأرواح
البريئة . وإلى تشريد عدد غير يسير من أبناء المسلمين إلى عالم غير
إسلامي ، وضياع كثير من أموال المسلمين ، وتخريب عدد كبير من البيوت .
وهي مسببة للقلق الخطيرة الناجمة عن هذه المصائب في العالم
الإسلامي وهي التي كانت ولا تزال حجر عثرة في سبيل اتحاد البلاد
الإسلامية بعد تقسيمها إلى دويلات متناحرة ، وهو الأمر الذي تتوقف عليه
(١)
حياة الأمة الإسلامية ومصلحتها .

وكان للمكايد اليهودية دور خطير في تقويض الخلافة الإسلامية
وتجزئتها إلى دويلات ، ومساعدة الاستعمار على تحقيق منافع مادية تنهياً
له من الميراث الضخم الذي خلفته وراءها دون أن يكون له قوة من أبناء
البلاد تحرسه ، وهذه تعتبر أهم أو أكبر نكسة أصابت الأمة الإسلامية
على أيدي اليهود ، حيث قدموا للمستعمرين غنيمة باردة ليظفروا منهم
بمصالح ذات قيمة كبيرة لهم في عواصم الدول الاستعمارية وذات غايات
بعيدة في برنامج اليهود طويل الأمد ، ولكي يظفروا أيضاً من الدول
الاستعمارية بسند مادي يمكنهم من دخول فلسطين واحتلالها بوسائل
(٢)
المكر والحيلة والخداع .

(١) انظر الخطر الصهيوني د / محمد فاضل الحجال ص ٥١ - ٥٢ .
(٢) انظر مكايد يهودية عبر التاريخ للأستاذ عبد الرحمن حسن الميداني

وسقوط الخلافة ، كانت من كبريات المصائب التي مزقت الأمة الإسلامية ووحدتها ، والتي كانت تجمع آمال المسلمين وتساعدهم على التخلص من سيطرة الأعداء سواء أكانوا من اليهود أو من غيرهم ، فهي مهما بلغت في أواخر أيامها من الضعف والبعد عن تطبيق الإسلام ، فلقد كانت تظل المسلمين وتجمع شملهم ، وترهب عدوهم وعدو الله .

يقول الشيخ أبو الحسن الندوي ، وهو يصف ما كانت تقوم به الدولة العثمانية مع ضعفها الشديد ، ومآخذها الكثيرة " لاشك أنها كانت - على علاقتها الأخيرة - حصنا منيعا للإسلام وسورا قويا واسعا للأقطار العربية الإسلامية الواقعة في الشرق الأوسط ، بما فيها الحجاز ، وفلسطين ويمنع من تدخل القوى الأجنبية الغربية في هذه البلاد وعيشتا بها ، عبث اللاعب بكرة القدم ، واعتدائها على مقدساتها . وقد بقى الوضع على ذلك إلى عهد السلطان عبد الحميد خان ، رغم ما قيل عنه وأشيع ، فقد أخفقت كل محاولات مسيحية ، وكل مؤامرة يهودية ضد المقدسات الإسلامية في عهده ، حتى نشبت الحرب الكونية الأولى (١٩١٤ - ١٩١٨ م) واستطاع الحلفاء أن يضموا العرب إلى معسكرهم ويثيروهم على الأتراك ، ونشأة فكرة القومية العربية ، وانفصلت الأقطار العربية عن الامبراطورية العثمانية وأصبحت دولا وإمارات كبيرة وصغيرة ، وعاشت تحت الانتداب مدة طويلة ثم استقلت ، لم تبق يد قوية تحميها ، ولا سطوة عالمية تخشى وترهب وقامت إسرائيل في حضانة القوى الأوروبية الكبرى ، وحمايتها في قلب العالم العربي ، واستطاعت أخيرا (في حزيران ١٩٦٧ م) أن تستولي على الضفة الغربية ، وشبه جزيرة سيناء ، ولئن تمتك القدس الشريف لأول مرة في التاريخ

والعالم العربى لا يملك دفعا ولا منعا ، ويردد المثل العربى القديم "إنما أكلت يوم أكل الثور الأبيض" وقد كانت نهاية الامبراطورية - وخاصة فى الشرق (١)
أكبر انتصار للصليبية الأوربية واليهودية العالمية " .

قد كان يهود الدوحة يقيمون فى تركيا زاعمين أنهم مسلمون ، وقد اختلطوا بالمسلمين حيث دخلوا فى الحكومة ، وحصلوا على مراكز عالية ومنازلة وخطيرة فى نفس الوقت ، إن مكتهم من تحطيم الخلافة العثمانية فى تركيا . وكان لنفوذ اليهود أكبر الأثر فى طرح تركيا دينها الإسلامى وشريعته الإسلامية ، ومحاربة اللغة العربية - لغة القرآن - والتبرأ من (٢)
صلاتها بالعرب ، وهم الذين دعوا إلى جامعة الطورانية لتخلص من الإسلام . وهكذا صرنا ، أمة مختلفة متحاربة ومنازعة تحب الدنيا وتكره الموت ، تجد فى طلب الملذات والرغبة فى الراحة دون عمل ، ونيل المغمم القريب من غير مغمم يبذل ، وأمة طمست معالم دينها الحق وتركت تموج بعضها فى بعض ، فأصبحت أداة فى يد عدوها يستخدمها أعداؤها متى شاءوا ويرمونها أو يكسرونها إذا أحبوا ذلك فهي غشاء كغشاء السيل ،،،،،،،،،،

(١) ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ص ١٢٢ .

(٢) انظر الخطر الصهيونى ، محمد الخليفة التونسى ص ٧٣ .

نصائح وهي الخاتمة

العودة إلى العقيدة السليمة وأدلاء حقها هو سبيل النصر والتوفيق .

كان دور اليهود في إفساد العقيدة الإلهية دورا بارزا وفعالا في الديانة اليهودية ، والديانة النصرانية ، وكان دورا جزئيا في إفساد عقيدة بعض المنتسبين إلى الإسلام ، وفي ذلك بعض المفاهيم التي كشفها علماء المسلمين وربما انخدع بها بعض عوامهم ، ومن لم يحرر المسائل ، أما دور اليهود في إفساد البشرية عامة فمن المتعذر حصر كل عناصره ، وما اطلعت عليه مما يتعلق بجوانب العقيدة أثبتته في هذه الرسالة ، ولا أستطيع أن أدعي بأنني تتبعته كل ما قام به اليهود من إفساد عقدي ، ولكني أعتقد أن ما استعرضته في هذه الرسالة من ذلك كاف لإيقاظ النفوس وتنبيه العقول ، وتوجيه العظيمة لمن يتعظ وتذكير من شاء أن يتذكر .

ويكفي هذا أن يدرك الغافلون والمفتنون والمنساقون بجهالة أنهم يدعون أنفسهم أولا ، ثم يدعون أمتهم ، ويخدعون أعداء أمتهم وهم يزعمون أنهم يخدمون أنفسهم وأمتهم ، فليعلموا أنهم يفسدون ولا يصلحون وهم لا يعلمون .

لقد سبق بيان أن السبب الذي جعل اليهود ينتصرون على المسلمين هو إنحراف المسلمين عن الصراط المستقيم في عقيدتهم وعملهم وماهول هذا الانحطاط وهذا الانهزام إلا عقوبة أراد الله بها تأديب هذه الأمة وتهذيبها حتى ترجع إلى ربها وإلى دينها الحنيف ، خاضعة خاشعة ، تائبة تومئة نصوحا ، وتصلح أعمالها وتظهر صفوفها من تغفل الأعداء على أي شكل

كانوا ، وحتى نتذكر قطعه تعالى :

(يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه ، فسوف يأتي الله بقوم يحبهم
ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين ، يجاهدون في سبيل الله
(١) ولا يخافون لومة لائم) .

أسباب النصر :

إذا تتبعنا تاريخ هذه الأمة ، وتاريخ انتصاراتها على أعدائها
فإننا نجد أن انتصاراتها كانت ترتبط بأسباب معنوية ومادية فما كانت تأتي
نتيجة عمل تلقائي ، إنما كانت ضمن أسس محدودة إن تحقق الإلتزام بها
تحقق النصر ، وإن ابتعد المسلمون عنها أو تسرب خلل إلى تطبيقهم
والأسسها كانت الهزيمة ، وليس يعني هذا أن الله لم يحقق للمسلمين
نصربمعجزة ، بخرق العادات ، ولكنها ليست قاعدة تتبع ، وذلك مثل
ماحصل للمسلمين في غزوة بدر الكبرى في السنة الثانية للهجرة ، لقد كان
ذلك النصر بمعجزة ، لأن الذين خرجوا إلى بدر من المسلمين كان عددهم
قليلا وكانت عدتهم أقل ، وهم لم يخرجوا للجهاد في أول الأمر ، وإنما
كان لملاحقة عير لقريش ، التي كانت قد فرضت على المسلمين في مكة
أزمة اقتصادية ، إذ أخذت منهم أموالهم .

قال ابن اسحاق : " ثم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم سمع بأبى
سفيان بن حرب مقبلا من الشام في عير لقريش عظيمة ، فيها أموال قريش
وتجارة من تجاراتهم ، وفيها ثلاثون رجلا من قريش أو أربعون ، منهم

مخرمة بن نوفل وعمرو بن العاص . . . فندب المسلمين إليهم ، وقال :
هذه غير قریش فيها أموالهم ، فاخرجوا إليها لعل الله ينفلكموها
فانتدب الناس ، فخف بعضهم ، وثقل بعضهم ، وذلك أنهم لم يظنوا
(١)
أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يلقي حرباً .

وهذا هو سبب خروجهم إلى بدر ، ولكن الله سبحانه وتعالى قدر
ذلك ، ليقضى أمراً كان مفعولاً . وكانت المعجزة :

- (٢)
• (إن تستغيثون ربكم فاستجاب لكم أني ممدكم بألف من الملائكة مردفين) .
(ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة فاتقوا الله لعلكم تشركون .) إن تقول
للمؤمنين ألن يكفئكم أن يمدكم ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين ، بل
ان تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمدكم ربكم بخمسة آلاف من
(٣)
الملائكة مسومين) .

(وإن يركبكمهم وإن التقيتم في أعينكم قليلاً ويقتلكم في أعينهم ليقضى الله
(٤)
أمراً كان مفعولاً) .

ولقد ناشد رسول الله صلى الله عليه وسلم ربه قبيل المعركة
فقال : " اللهم إن تهلك هذه العصابة اليوم لا تعبد " وأبو بكر كان يقول :
(٥)
يا نبي الله بعضنا شدتك وربك ، فإن الله منجزك ما وعدك .

(١) سيرة ابن هشام ٢ / ١٨٢ .

(٢) الأنفال : ٩٠ .

(٣) آل عمران ١٢٥ .

(٤) الأنفال : ٤٤ .

(٥) سيرة ابن هشام ٢ / ١٩٦ .

فكانت تلك معجزة ، ليعلم المسلمون أن الله معهم حقاً وصدقاً ، وليكون النصر في بدر أول لقاء مسلح مع الكفر وروحا معنوية دافعة لتثبيت أركان الأمة الإسلامية ، ولكي يدرك المسلمون أنفسهم أن للنصر أسباباً وليسست المعجزة دائمة الوقوع ، وخاصة عند تسرب خلل إلى المعالم الإسلامية التي سنّها الله سبحانه وتعالى ، لذلك نرى في أحد أنه حدث خلاف ماوقع في بدر ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم بين جند الإسلام ، حتى يعلم المسلمون إلى قيام الساعة أن النصر لا يأتي مع خرق قواعده ، فإذا كانت الهزيمة حدثت في أحد لأجل مخالفة أمر واحد من أوامر الرسول صلى الله عليه وسلم ، فكيف بمن يخالف^{أوامره} صلى الله عليه وسلم في معظم^{أحواله} أوامره ليل نهار ثم ما حدث في غزوة حنين يعطينا شاهداً آخر ، إذ وقعت الهزيمة في أول الأمر ، مع أن المسلمين لم يذنبوا ذنباً يذكر إذا ما قيس بمانحن عليه اليوم من المخالفات ، والوقوع في الآثام . وإنما كان الذي حدث منهم هو أنه دخل في نفوسهم أو نفوس بعض المسلمين المجاهدين العجب^(١) بكثرتهم إذ قالوا : لن نغلب اليوم من قلة واعتبر هذا القول خطأ يسبب لهم الهزيمة ، ويفقد هم النصر المبين قال الله تعالى في كتابه الكريم :

(لقد نصركم الله في مواطن كثيرة ، ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئا وضاقت عليكم الأرض بما رحبت ثم وليتم مدبرين) .

فأراهم الله سبحانه وتعالى أن الكثرة لا تغني عنهم من الله شيئا ، وبين لهم أن النصر ليس بكثرة العدد والعدة ، ثم أكرم الله عبده ورسوله محمداً صلى الله عليه وسلم بالثبات فثبتته وحقق له النصر بعد ذلك .

(١) انظر سيرة ابن هشام ٦٦/٤ .

(٢) التوبة : ٢٥ .

وهكذا أى خلل أو أية هزيمة حدثت ووقعت على هذه الأمة وفى تاريخها الإسلامى كان سببه نتيجة خطأ طرأ على أسباب النصر التى ضمنها الإسلام فى قوله تعالى :

(قل أطيعوا الله وأطيعوا الرسول ، فإن تولوا فإنما عليه ماحمل وعليكم ماحملتم وإن تطيعوه تهتدوا وما على الرسول إلا البلاغ المبين . وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الأرض كما استخلف الذين من قبلهم ، وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم (١))
أما يعبدوننى لا يشكرون بى شيئاً ، ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون) .
وهكذا وعد الله ، فهو ينجز وعده ، والله لا يخلف الميعاد ، وفى هذه الآيات وغيرها من الآيات الكريمة تصريح من الله عز وجل بوعده عباده بالنصر على أعدائهم والسلامة من كيدهم ، مهما كانت قوتهم وكثرتهم ، لأنه عز وجل أقوى من كل قوى وأعلم بعواقب الأمور وهو عليهم قدير وأعمالهم محيط .
نعم فنصر الله معلق بشروط : الإيمان بالله تعالى وحده ونصر دينه والاستقامة عليه ، واتخاذ الأسباب الدينية والاجتماعية والكونية التى أمر الله باتخاذها ، مع الصبر والمصابرة ، فمضى حقق المسلمون هذه الشروط أوفى الله لهم الوعد ، والله لا يخلف الميعاد .

قال تعالى فى آيات آخر :
(٢)
(وكان حقاً علينا نصر المؤمنين) .

(١) النور : ٥٤ - ٥٥ .

(٢) الروم : ٤٧ .

وقال عز وجل :

- (١)
 (يا أيها الذين آمنوا إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم) .

وقال عز ذكره :

- (ولينصرن الله من ينصروه وإن الله لقوى عزيز . الذين إن مكأفهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر) .
 (٢)

وقال جل جلاله :

- (٣)
 (إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد) .

وقال عز من قائل :

- (وإن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون) .
 (٤)

والله سبحانه وتعالى ، وصف نفسه بالقوة والعزة ، فبقوته خلق كل شيء فقدره تقديرا ، وعزته يقهر كل شيء ، ولا يقهره قاهر ، ولا يغلبه غلب ، بل كل شيء ذليل لديه فقير إليه ، ومن كان القوى العزيز ناصره فهو المنصور وعدوه مقهور .

لقد كان المسلمون في أول أمرهم مقهورين ومغلوبين ، ومظلومين فصاروا بعد ما نصرهم الله عز وجل قاهرين غالبين ، وطالبين أعداءهم ، فصارت كلمة الله هي العليا ، ودينه هو الظاهر على سائر الأديان .

(١) محمد : ٧ .

(٢) الحج : ٤٠-٤١

(٣) غافر : ٥١ .

(٤) فصلت : ٣٠ .

ومن هذا نعلم أن النصر لا يأتي فقط بانتسابنا إلى الإسلام كما هو واقعنا اليوم ، بل إن النصر يأتي - كما سبق - مع الطاعة ومع التزام المسلمين بماتلى عليهم كلمة الإيمان ، وماتحتويه كلمة الإسلام ، من معان ، ومن ذلك اتخاذ كامل الأسباب التى أمر الله باتخاذها ، فتأييد الله لهذه الأمة يأتي بقدر اتباعها لأوامره ، ومقدر تطبيقها لمنهج تبارك وتعالى لأن حكمة الله قد اقتضت أن ينصر من ينصر دينه ، ويخذل من أعمته (١) زخارف الدنيا عن حقيقة هذا الدين ، ونور هذا الإسلام .

والمتتبع لتاريخ الدعوة الإسلامية والأمة التى حملت لواءها يرى النواميس الربانية قد جرت فى حياة المسلمين حقائق لا ريب فيها ، فىرى - أوائل هذه الأمة جنت ثمار جهودها وصبرها فى الدنيا قبل الآخرة ، وأورشهم أرض الكفار من العرب والعجم ، فجعلهم أئمتها وساستها ، وأبدل خوفهم أمنا ، وطافوا فى الأرض آمنين مطمئنين ، ينشرون العدل بين العباد ولم يكونوا ممن يريد علوا فى الأرض ولا فسادا .

(١) انظر عوامل الهزيمة والنصر عبر تاريخنا الإسلامى - شوقى أبو خليل

من صفات السلف الصالح :

ليس قصدى أن أسرد وقائع تاريخهم المجيد كما تذكر كتب التاريخ .
ذلك أمر له مجال آخر ، وله كتب يرجع إليها من أراد ذلك ، وإنما الذى
أعنى به هنا : الصفات التى أهلّتهم أن يقودوا هذا العالم ردحا
من الزمن ، والتى كانت سببا فى تقدمهم العلم والحضارى ، وما كان
سببا فى تقدم فتوحاتهم وغزواتهم وانتصاراتهم ، وتفوقهم على سائر
الأمم . والتى ينبغى للمسلم أن يقتدى بهم ويقتوا إثرهم ليفوز برضاء الله
تبارك وتعالى فى الدنيا والآخرة .

لقد كان أولئك السلف إذا ذكر الله وجلت قلوبهم ، وإذا تليت
(١)
عليهم آياته زادتهم إيمانا وعلى ربهم يتوكلون ()

كانت جلودهم تقشعر لدى تلاوة القرآن . قال تعالى :

(الله نزل أحسن الحديث كتابا متشابها مثانى تقشعر منه جلود الذين
(٢)
يخشون ربهم ، ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله) .

وكانوا أشداء على الكفار رحما بينهم ، كثيروا العبادة لله تعالى سيماهم
فى وجوههم من أثر السجود ، قال الله تعالى حكاية لوصف أصحاب رسول
الله صلى الله عليه الذى جاء فى التوراة والإنجيل :

(محمد رسول الله ، والذين معه أشداء على الكفار رحما بينهم تراهم ركعا
سجدا يبتغون فضلا من الله رضوانا سيماهم فى وجوههم من أثر السجود
ذلك مثلهم فى التوراة ، ومثلهم فى الإنجيل كزرع أخرج شطاأه فأزله -

(١) الأنفال : ٢ .

(٢) الزمر : ٢٣ .

فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار ، وعد الله

(١)

الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجرا عظيما) .

ومن صفاتهم التى ذكرها الله تعالى فى كتابه الكريم ، أنهم أدلة

على المؤمنين أعزة على الكافرين . قال الله تعالى :

(يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف ^{الله} يأتي ~~بهم~~ يقوم يحبسهم

ويحبونه ، أدلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون فى سبيل الله

(٢)

ولا يخافون لومة لائم) .

من هذه النصوص نستنتج جملة من صفات المؤمنين غير موجودة الآن -

فى الأمة المنتسبة إلى الإسلام .

أ - إذا ذكر الله وجلت قلوبهم ، وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيماناً

واقشعرت جلودهم لدى سماع آياته .

ب - أشداء على الكفار رحماء بينهم .

ج - كثيروا العبادة ، كثيروا الصلاة ملازمون لها ، راكمون ساجدون .

د - متكاتفون ، متعاونون ، يشد بعضهم أزربعض ، ولا يزالون فى نماء

، إيماناً وقوة ، وكثرة عدد .

لقد كان أولئك السلف إذا تعلموا عشر آيات لم يخلفوها حتى يعطوا

بما فيها من العمل ، فتعلموا القرآن والعمل جميعاً ، وكان عطيم كله خالصاً

لوجه الله الكريم ، لا يريدون من غيره جزاء ولا شكوراً .

(١) الفتح : ٢٩ .

(٢) المائدة : ٥٤ .

فقبل الله أعمالهم واستجاب لدعائهم ونصرهم على أعدائهم . وكان الله معهم لما كانوا معه بقلوبهم وأعمالهم .

انظر ماذا يقول خالد بن الوليد رضى الله عنه لأهل قنسرين لما تحصنوا
(١)
فى بلدتهم : " إنكم لو كنتم فى السحاب لحملنا الله إليكم أو لأنزلكم إلينا " .
هكذا كانت ثقتهم بالله عز وجل :

وقال أبو إسحاق : " كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يثبت لهم العدو فواق ناقة عند اللقاء ، فقال هرقل وهو على أنطاكية لما قدمت مهزومة الروم : ويلكم أخبرونى عن هؤلاء القوم الذين يقاتلونكم ، أليسوا بشرا مثلكم ؟ قالوا : بلى . قال : فأنتم أكثر أم هم ؟ قالوا : بل نحن أكثر منهم أضعافا فى كل موطن ، قال : فما بالكم تنهزمون ؟ فقال شيخ من عظمائهم : من أجل أنهم يقومون الليل ويصومون النهار ، ويوفون بالعهد ، ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ، ويتناصفون بينهم . ومن أجل أننا نشرب الخمر ونزنى ، وتركب الحرام ، وننقض العهد ونغضب ونظلم ، ونأمر بالسخط وننهى عما يرضى الله ، ونفسد فى الأرض فقال أنت صدقتنى " . (٢)

ان الأولين الذين أقاموا هذا الدين لم يكتفوا بعرض دعوتهم بلسانهم فقط بل كانت دعوتهم متجسدة فى حياتهم الشخصية متمثلة فى كل عمل من أعمالهم ، وفى كل موقف من مواقفهم فى الحياة ، مصورة الإنسان المثالى الذى ينشده الإسلام وأخلاقه السامية التى يصنعها الإسلام ، والسيرة التى

(١) البداية والنهاية لابن كثير ٥٣ / ٢ .

(٢) المصدر السابق ١٥ / ٢ .

يتوخاها ، والسلوك الذى يجب أن يكون عليه فى الحياة الدنيا كل من رضى بالله ربا وبالإسلام ديناً ، وكل مادعوا إليه كان يتجلى فى حياتهم العملية واقعاً ملموساً حياً ، وذلك استطاعوا أن يغيروا وجه التاريخ ، واستطاعوا أن يؤثروا بالناس فى دعوتهم ، ويتأثر الناس بهم فيها . لقد كان الواحد منهم فى أن واحد تقياً زاهداً ، ومطلاً مجاهداً ، وقاضياً فهماً ، وفقياً مجتهداً ، وأصيراً حازماً ، وسياسياً محنكاً ، فكان الدين والسياسة يتمثلان فى شخص واحد ، وهو شخص الخليفة أو أمير المؤمنين ، وكان الأعداء يرون ذلك بأم أعينهم ، ويدركون أن الشخص المسلم لإنسان قوى من كل ناحية من نواحي الحياة ، يقوم الليل ويصوم النهار ، " هم فرسان بالنهار ورجال بالليل ، لا يأكلون فى ذمتهم إلا بئساً ، ولا يدخلون إلا بسلاًم (١) يقضون على من حاربوا حتى يأتوا عليه .

يقول حسان بن ثابت رضى الله عنه ، وهو يمدح صحابة رسول الله

صلى الله عليه وسلم :

« إِنْ الذَّوَائِبَ مِنْ فِهْرِ إِخْوَتِهِمْ * * * قَدْ بَيْنُوا سَنَةً لِلنَّاسِ تَتَّبِعُ
يَرْضَى بِهَا كُلُّ مَنْ كَانَتْ سِرِيرَتُهُ * * * تَقْوَى إِلَهٍ وَكُلِّ الْخَيْرِ يَصْطَنِعُ
قَوْمٌ إِذَا حَارَبُوا ضَرَوْا عَدُوَّهُمْ * * * أَوْ حَاطُوا النِّفْعَ فِي أَشْيَاعِهِمْ نَفَعُوا
إِنْ كَانَ فِي النَّاسِ سَيَاقُونَ بَعْدَهُمْ * * * فَكُلُّ سَبْقٍ لَدُنِّي سَبْقُهُمْ تَبِعُ
(٢)
لَا يَرْفَعُ النَّاسُ مَا أَوْهَتْ أَكْفُهُمْ * * * عِنْدَ الدِّفَاعِ وَلَا يُوْهُونَ مَارْقَعُوا »

(١) المصدر السابق ٥٣/٧ .

(٢) سيرة ابن هشام ١٥٥/٤ .

وهكذا كان أولئك السلف الصالح ، ثم سارت الأمة على نهجهم وسنتهم لإعلاء كلمة الله ونصرة دينه ، وإخراج العباد من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد ، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام ، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها وسعة الآخرة . وكانت هذه الأمة في مقدمة الأمم أكثر من ألف سنة ، وعاشت فترة طويلة ، وهي الأمة الأولى في العالم كله يعمل لها ألف حساب ، ويطلب ودها ، ولا غرو في ذلك ، لأنها كانت صادقة مع الله في عملها ، وكان الله معها :

(١)

• (وكان حقاً علينا نصر المؤمنين)

(٢)

• (كتب الله لأغلبن أنا ورسلي إن الله قوي عزيز)

(٣)

• (وإن جندنا لهم الغالبون)

(٤)

• (إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون)

إعادة بناء الأمة :

يمكن أن يعود ماضي هذه الأمة ومجدها ، ويمكن أن تصبح هذه الأمة كما كانت قبل ، فتسمى خير أمة أخرجت للناس ، وإن كان ذلك لا يمكن أن يأتي من تلقاء نفسه ، لأنه لم يحدث ذلك في عصر من عصور التاريخ في الدعوة الإسلامية ، والدليل على ذلك عصر النبي صلى الله عليه وسلم نفسه ، فإنه لما أعلن رسول الله صلى الله عليه وسلم دعوته في المجتمع الجاهلي العربي

(١) الروم : ٤٧ •

(٢) المجادلة : ٢١ •

(٣) الصفات : ١٧٣ •

(٤) النحل : ١٢٨ •

قبول بالرفض والاعتراض ، فصر رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه
الذين آمنوا به واتبعوه ، واتخذ الأسباب الموصلة لما كان يصبوا إليه
فأيده الله بتأييد من عنده ، وقام بناء الأمة الإسلامية على منهج الله
تبارك وتعالى .

إن إعادة بناء الأمة الإسلامية مرة أخرى بعد ماخرب الأعداء عامرها
وقطع جذورها ، أمر يحتاج إلى جهود جبارة ، وإلى رجال مخلصين رجال
صدقوا ما عهدوا الله عليه ، وكان عهد الله مسئولا ، إلى رجال يحاسبون
أنفسهم قبل يوم الحساب ، رجال يدركون أن إعلاء كلمة الله أمانة على
عاتقهم :

(إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها
(١) وأشفقن منها ، وحملها الإنسان إنه كان ظلوما جهولا) .
وقد اختلفت عبارات السلف في معنى الأمانة في الآية ، ومع ذلك فإنها
تدور حول التكليف ، وقبول الأمر والنهي بشرطها، وهو إن قام بذلك
أثيب ، وإن تركها عوقب .

ولن يستقيم أمر هذه الأمة حتى تغير ما بأنفسها ، وتأخذ أسباب
النصر التي ذكرناها من قبل ، مع اليقين بأن الله سبحانه وتعالى هو الذي
يرتب النتائج ، ولا تؤدي الأسباب إلى النتائج بصورة حتمية، وإنما ذلك متعلق
بمشيئة الله تبارك وتعالى ، فتفوض الأمر إلى خالق الأسباب بعد الأخذ بها
تامة ، وتعتقد أنه لا يصلح أمر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها ، ولا أعنى بذلك

(١) الأحزاب : ٧٢ .

شق شوارع تقوم القصور المنيعة المنمقة على أكثافها ، ولا تجميل شواطئ
الأنهار والبحار وتزين الأرائك المريحة حولها ، كلا ، ولا هونقل
المصانع والآلات ، وتشغيل ألوف العمال فيها إن ذلك - وإن كان جيدا
في حد ذاته - لا يعنى بنا أمة تنفع نفسها وتنفع غيرها ، إذا كان العدو
قد نجح في تخدير أعصابها ، وإماتة ضمائرها واستلال اليقين من
أفئدتها ، والهدف العالى من ضمائرنا ذلك أن الأم تفتقر قبل كل
شئ إلى العقيدة التى توقد نشاطها والغاية التى تكبح لبلوغها والحداء
الذى يهون عليها مصاعب الطريق ، والعزاء الذى يصبرها على لأواء -
الحياة .

لامرية في أن الاسلام هو دين الخالق للخلق ، فقيه أمنهم
وسعادتهم ، ولا يكون الأمن ولا تأتى السعادة إلا بتطبيق أحكام الشرع
والأخذ بما أمر الله والنهى عما نهى عنه وزجر ، وإذا أمن ولا سعادة لمن أعرض
عن القرآن واستخف بالسنة :

(ومن أعرض عن ذكرى فإن له معيشة ضنكا ، ونحشره يوم القيامة أعمى
قال رب لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيرا قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها
(١) وكذلك اليوم تنسى) .

إن الحل مازال بأيدينا ، لأن المنهج الذى استقام به الأولون
ما يزال نتله فيمابيننا ، ونتدارسه ، وهوباق على ما كان عليه عند
نزوله ، ومحفوظ فى الصدور والمصاحف ، وكذلك السنة المطهرة ، مازالت
مدونة فى بطون أمهات الكتب الصحاح .

(١) طه : ١٢٦ .

فالعقيدة التي حولت أوائل هذه الأمة ، والإسلام الذي غيرهم من رعاة إلى قادة وأمراء وخلفاء لهو موجود في قلوبنا وفي كتبنا .

إن القرآن بحق هو الذي حولهم وجعلهم خير أمة أخرجت للناس تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر وتؤمن بالله ، لأنهم لما انقادوا لأحكام القرآن وتعليماته وتوجيهاته استطاعوا أن يقفوا أمام الأعداء ، ويردوا كيدهم مع قلوبهم وكثرة عدوهم ، ووقفوا في وجه المشركين وأهل الكتاب من اليهود والنصارى حتى ارتدوا على أعقابهم خاسرين خائبيين بعد معارك طاحنة . وإذا فالذي ينقصنا نحن اليوم هو العمل بما بين أيدينا من شرائع الإسلام وتطبيق هذا القرآن وهذه السنة في حياتنا اليومية في كل الجوانب منها .

وعن ابن عمر رضى الله عنه أنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : " إذا تبايعتم بالعينة وأخذتم أذناب البقر ، وضيم بالزرع (١) وتركتم الجهاد ، سلط الله عليكم ذلا لا ينزعه حتى ترجعوا إلى دينكم " . رواه أبو داود .

ومادام الأمر يتوقف على الرجوع إلى دين الله وطاعته كان من الضروري أن يعود المسلمون إلى ربهم خاشعين له ، خاضعين متذللين ، بأن كانوا حقاً يريدون النصر المبين الذي لا هزيمة بعده .

لذلك قال الله تعالى :

(٢)

(إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم) .

(١) كتاب البيوع : ٥٦ . وانظر الجامع الصغير ٢٢ / ١ . وهو حديث حسن .

(٢) الرعد : ١١ .

وان المسلم المنتصر هو المسلم الملتزم بشريعة الله سبحانه وتعالى ، والمتمسك
بدينه حقاً وصدقاً لا المنتسب إلى الإسلام انتساباً اسمياً ، وهو غير ملتزم
بمه عقيدة ولا شريعة ومنهاجا ، فالشيطان هو المنتصر على هذا الصنف من
الناس وهو لا يشعر ، وتكون نفسه الأمارة هي المنتصرة عليه أيضا .

وان المسلم الذي يجعل حياته كلها لله تعالى هو المسلم الحقيقي :
(قل ان صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين ، لا شريك لله
(١)
وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين) .

(يا أيها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة ولا تتبعوا خطوات الشيطان فإنه
(٢)
لكم عدو مبين) .

وهو المسلم الذى لا يصدق عليه قوله تعالى :

(أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض ، فما جزاء من يفعل ذلك منكم
إلا خزي فى الحياة الدنيا ويوم القيامة يردون إلى أشد العذاب وما الله
(٣)
بغافل عما تعملون) .

وينبغى أن نعلم أن النصر الذى أحرزه أعداؤنا ليس نصراً مؤبداً
، إنما هو نصر مؤقت ، وجد فرجة قد دخل منها ، فإذا ما سدت تلك الفرجة
رجع على عقبيه بإذن الله تعالى .

فهو لا ريب فى أنه ينتهى متى حقق المسلمون الشروط الربانية التى
جعلها الله أساساً لنيلهم تاج النصر على عدوهم ، فيفتح الله لهم مقاليد

(١) الأنعام : ١٦٢ - ١٦٣ .

(٢) البقرة : ٢٠٨ .

(٣) البقرة : ٨٥ .

قائمة المراجع

القرآن الكريم

السنة النبوية

» ١ «

١ - إمتاع الحنفاء بأخبار الأئمة الفاطميين الحنفاء

تقى الدين أحمد بن على المقرئ

التحقيق الدكتور جمال الدين شيال

القاهرة ١٣٨٧ هـ - ١٩٦٧ م

٢ - أحسن القصص .

على فكري

الطبعة الخامسة ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥ م

دار الكتب العلمية . بيروت .

٣ - الأديان في القرآن .

الدكتور محمود بن الشريف .

الطبعة الرابعة ١٩٨٠ م

دار المعارف بمصر .

٤ - أساليب الغزو الفكري للعالم الإسلامي .

د / محمد على جريشة . محمد شريف الزبيق .

الطبعة الأولى ١٣٩٧ هـ - ١٩٧٧ م

دار الاعتصام .

- ٥ - أسباب النزول .
- الحافظ جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي .
- القاهرة ١٣٨٢ هـ .
- ٦ - الإستشراق والمستشرقون .
- الدكتور مصطفى السباعي .
- الطبعة الثانية ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م .
- المكتب الإسلامي .
- ٧ - إسرائيل حرفت الأناجيل والأسفار المقدسة .
- أحمد عبد الوهاب .
- الطبعة الأولى ١٩٧٢ م .
- مكتبة وهبة .
- ٨ - إسرائيليات في التفسير والحديث .
- الدكتور محمد السيد حسين الذهبي .
- أكتوبر ١٩٧١ م .
- دار النصر للطباعة .
- ٩ - الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام .
- الدكتور علي عبد الواحد وافي .
- دار نهضة مصر للطبع والنشر .
- ١٠ - الإسلام عقيدة وشريعة .
- محمود شلتوت .
- الطبعة الخامسة
- دار الشروق .

- ١١ - الإسلام والدعوات الهدامة .
أنسور الجندى .
الطبعة الأولى ١٩٧٤ م .
دار الكتاب اللبناني . بيروت .
- ١٢ - إظهار الحق .
الشيخ رحمة الله الهندي .
التحقيق والتقديم والتعليق الدكتور أحمد الحجازي .
دار التراث العربي للطباعة والنشر .
ميدان المشهد الحسيني .
- ١٣ - أعلام النبوة .
أبي الحسن علي بن محمد الماوردي .
راجعه وقدم له طه عبد الرؤف سعد ١٣٩١ هـ - ١٩٧١ م .
مكتبة الكليات الأزهرية .
- ١٤ - الإفحام لأفئدة الباطنية الطغام .
الإمام يحيى بن حمزة العلوي .
حققه فيصل بدير عون ، وراجعه على سامي نشار .
منشأ المعارف بالإسكندرية .
- ١٥ - إقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم .
شيخ الإسلام ابن تيمية .
مطبعة المجد التجارية .
- ١٦ - الإيمان والحياة .
الدكتور يوسف القرضاوي .
الطبعة الثالثة ١٣٩٥ هـ .
مطبعة التقدم القاهرة .

”ب”

١٧ - البداية والنهاية .

• عماد الدين أبي الفداء، إسماعيل بن عمرو بن كثير .

• الطبعة الثانية ١٩٧٧ م

• مكتبة المعارف .

١٨ - بروتوكولات الصهيونية .

• ترجمة أحمد عبد الغفور عطار .

• الطبعة الأولى ١٣٩٦ هـ - ١٩٧٦ م

• مكة المكرمة .

”ت”

١٩ - تاريخ الأمم والملوك .

• أبي جعفر محمد بن جرير الطبري .

• مطبعة وإستقامة بالقاهرة ١٣٥٧ هـ - ١٩٣٩ م

٢٠ - تاريخ الدعوة الاسماعيلية منذ أقدم العصور حتى عصرنا الحاضر .

• مصطفى غالب .

• الطبعة الثانية ١٩٦٥ م

• دار الأندلس - بيروت .

٢١ - تاريخ المذاهب الإسلامية .

• الإمام محمد أبو زهرة .

• دار الفكر العربي .

٢٢ - تفسير القرآن العظيم .

• عماد الدين أبي الفداء، إسماعيل بن عمرو بن كثير .

• دار المعرفة للطباعة والنشر - بيروت ١٣٨٨ هـ - ١٩٦٩ م

- ٢٣ - تفسير القرآن الحكيم المسمى بتفسير المنار .
محمد رشيد رضا .
الطبعة الأولى ١٣٥٣ هـ .
مطبعة المنار .
- ٢٤ - التفسير والمفسرون .
الدكتور محمد حسين الذهبي .
الطبعة الأولى ١٣٨١ هـ - ١٩٦١ م .
دار الكتب الحديثة . القاهرة .
- ٢٥ - تهذيب تاريخ ابن عساكر .
الشيخ عبد القادر ابن أحمد بن مصطفى المعروف بابن بدران .
الطبعة الأولى ١٣٥١ هـ .
مطبعة الترقى دمشق .
- ٢٦ - تهذيب التهذيب .
شيخ الإسلام الإمام الحافظ شهاب الدين أحمد بن علي ابـنـ
حجر العسقلاني .
الطبعة الأولى ١٣٢٦ هـ .
دار الفكر العربي .
- ٢٧ - إتحاف تاريخها وغايتها .
ترجمة وتعليق سهيل ديب .
الطبعة الرابعة ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م .
دار النفائس - بيروت .

” ج ”

- ٢٨ - جامع البيان عن تأويل آي القرآن المعروف بتفسير الطبري .
 - الإمام أبو جعفر محمد بن جرير الطبري .
 - الطبعة الثانية ٣٧٣ هـ - ١٩٥٤ م .
 - شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر .
- ٢٩ - جامع الصغير .
 - الإمام جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي .
 - الطبعة الرابعة .
 - دار الفكر - بيروت .
- ٣٠ - الجامع لأحكام القرآن المشهور بتفسير القرطبي .
 - الإمام أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي .
 - الطبعة الثالثة ١٣٨٧ هـ - ١٩٦٧ م .
 - دار الكتب العربي للطباعة والنشر .
- ٣١ - جذور البلاء .
 - عبد الله التل .
 - الطبعة الثانية ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨ م .
 - المكتب الإسلامي - بيروت .
- ٣٢ - الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح .
 - شيخ الإسلام ابن تيمية .
 - مطابع المجد التجارية .

” ح ”

٣٣ - حكمة الأديان الحية .

جوزف كاير ، وترجمة محامى حسين الكيلانى .

مكتبة الحياة - بيروت .

” خ ”

٣٤ - خصائص التصور الإسلامى ومقوماته .

الشهيد سيد قطب .

دار الشروق .

٣٥ - الخطر الصهيونى .

الدكتور محمد فاضل الحجال .

دار بوسلامة للطباعة والنشر تونس .

٣٦ - الخطر اليهودى بروتوكولات حكماء الصهيون .

محمد خليفة التونسى .

مكتبة الخانجى بالقاهرة .

” د ”

٣٧ - دائرة المعارف الإسلامية - النسخة العربية .

إعداد وتحرير إبراهيم زكى خورشيد . أحمد الشنتاوى .

الدكتور عبد المجيد يونس .

الشعب .

٣٨ - دائرة المعارف البستاني .

المعلم بطرس البستاني .

مطبعة المعارف - بيروت ١٨٧٨ م .

- ٣٩ - دائرة معارف القرن العشرين .
محمد فريد وجدى .
الشركة اللبنانية للموسوعات العالمية .
دار الفكر - بيروت .
- ٤٠ - الدرر المنثور فى التفسير المأثور .
جلال الدين عبد الرحمن بن الكمال السيوطى .
الطبعة الأولى ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م .
دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع . بيروت .
- ٤١ - الدنيا لعبة إسرائيل .
الكومندر ولیم كسار .
الترجمة الأمانة الكاملة .
- ٤٢ - الديانات والعقائد فى مختلف العصور .
أحمد عبد الغفور عطار .
الطبعة الأولى ١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م .
مكة المكرمة .
- ٤٣ - الدين والفلسفة والعلم .
السيد محمد بن أبوالفيض المتوفى .
دار الكتب الحديثة .

”ر“

- ٤٤ - راحة العقل .
- الداعي أحمد حميد الدين الكرمانى .
- تقديم وتحقيق مصطفى غالب .
- الطبعة الأولى ١٩٦٧ م .
- دار الأندلس للطباعة والنشر - بيروت .
- ٤٥ - رجال الفكر والدعوة فى الإسلام .
- أبو الحسن على الحسنى الندوى .
- دار القلم ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥ م .
- ٤٦ - رسائل إخوان الصفا وخلان الوفا .
- دار صادر للطباعة والنشر - بيروت ١٣٧٧ هـ - ١٩٥٧ م .
- ٤٧ - روح المعانى فى تفسير القرآن العظيم وسبع المثانى .
- العلامة المحقق شهاب الدين الألوسى .
- طبعة جديدة مصححة منقحة ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨ م .
- دار الفكر بيروت .

”س“

- ٤٨ - سنن أبى داود .
- الإمام الحافظ سليمان بن الأشعث السجستانى .
- ٤٩ - سنن ابن ماجه .
- أبو عبد الله محمد بن يزيد القزوينى .

٥٠ - سنن الترمذى .

أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذى .

٥١ - السيرة النبوية المعروفه بسيرة ابن هشام .

أبو محمد عبد الملك بن هشام المعافى .

تقديم وتعليق طه عبد الرؤوف سعد .

طبعة جديدة .

شركة الطباعة الفنية المتحدة .

”ش“

٥٢ - شرح القاموس المسمى بتاج العروس .

الإمام محب الدين أبى الفيفى السيد محمد مرتضى الحسينى

الواسطى الزبيدى .

”ص“

٥٣ - صحيح البخارى الجامع المسند المختصر من أمور رسول الله صلى الله

عليه وسلم وسننه وأيامه .

أبو عبد الله محمد بن اسماعيل بن إبراهيم البخارى .

٥٤ - صحيح مسلم وهو الجامع الصحيح .

أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيرى .

٥٥ - صفوة التفاسير .

الشيخ محمد على الصابونى .

الطبعة الرابعة ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م .

دار القرآن الكريم - بيروت .

- ٢٩٤ - (لا ع ٢٠)

عقائد الإسلام في السيرة النبوية والكتاب العزيز

”ج“

عقيدة المؤمن أبو بكر بن الجرائي مكتبة الكليات الأزهرية

٥٦ - العقيدة الإسلامية وأسسها .

• الشيخ عبد الرحمن حسن حبنك الميداني

• الطبعة الثالثة ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م

• دار القلم

”غ“

٥٧ - الغارة على العالم الإسلامي .

أ . ل شاطييه .

• لخصها ونقلها إلى العربية .

• محب الدين الخطيب . مساعد اليافى

• مكتبة أسامة بن زيد - بيروت .

٥٨ - غرائب القرآن و غرائب الفرقان المعروف بتفسير النيسابورى .

• الحافظ المقرئ نظام الدين الحسن بن محمد الحسين

• الخراساني النيسابورى

• الطبعة الأولى ١٣٢٤ هـ وهو على هامش تفسير ابن

• جرير الطبرى

”ف“

٥٩ - فتح القدير فى الجمع بين الرواية والدراية فى التفسير .

• الإمام محمد بن على بن محمد الشوكاني

• الطبعة الثانية ١٣٨٣ هـ - ١٩٦٤ م

• شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده بمصر .

- ٦٠ - الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية منهم .
الإمام عبد القاهر بن الطاهر البغدادي .
الطبعة الثالثة ١٩٧٨ م .
دار الآفاق الجديدة - بيروت .
- ٦١ - الفصل في المثل والأهواء والنحل .
الإمام أبي محمد علي بن أحمد بن حزم الظاهري .
الطبعة الثانية ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥ م .
دار الباز للنشر والتوزيع - مكة المكرمة .
- ٦٢ - في ظلال القرآن .
سيد قطب .
★
الطبعة الثامنة ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م .
دار الشروق . بيروت .
” ق ”
- ٦٣ - القرامطة .
أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزي .
بتحقيق محمد الصباغ .
الطبعة الرابعة ١٣٩٧ هـ - ١٩٧٧ م .
المكتب الإسلامي - بيروت .
- ٦٤ - قصة الحضارة .
ول ديورانت .
ترجمة محمد بدران .
الطبعة الثالثة ١٩٧٣ م .
دار الثقافة في جامعة الدول العربية .

✽ في العقيدة الإسلامية مع سيد الطائفة والمعتزلة د/ محمد أحمد الحفاج
ط ١ ١٢٩٩ هـ

٦٥ - قصة الديانات .

• سليمان مظهر .

• الهيئة العامة للكتاب .

٦٦ - قصة الفلسفة اليونانية .

• أحمد أمين . زكي نجيب محمود .

• الطبعة السابعة ١٩٣٥ م .

• مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر .

• القاهرة .

” ك ”

٦٧ - الكامل في التاريخ .

الإمام المؤرخ عز الدين علي بن أبي الكريم (ابن الأثير)

١٣٨٦ هـ - ١٩٦٦ م .

• دار بيروت للطباعة والنشر - بيروت .

٦٨ - الكتاب المقدس (العهد القديم والعهد الجديد) .

• دار الكتاب المقدس . القاهرة .

” ل ”

٦٩ - لسان العرب .

أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظر الأفرقيس

• المصري .

٧٠ - لسان الميزان .

الحافظ شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن علي (ابن حجر)

• العسقلاني .

• الطبعة الثانية ١٣٩٠ هـ - ١٩٧١ م .

• مؤسسة الأعلى للمطبوعات - بيروت .

” م ”

- ٧١ - ماذا خسر العالم بإنحطاط المسلمين .
 - السيد أبي الحسن علي الحسنی الندوی .
 - الطبعة العاشرة ١٣٩٣ هـ - ١٩٧٧ م (هكذا) .
 - في السنة الميلادية ولعلها ١٩٧٣ م .
 - دار الأنصار .
- ٧٢ - مجمع البيان في تفسير القرآن .
 - الشيخ أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي .
 - الطبعة الثانية ١٣٧٩ هـ .
 - كتاب بفروشي إسلامية . تهران .
- ٧٣ - مجموعة الرسائل .
 - الداعي أحمد حميد الدين الكرمانی .
 - تحقيق وتقدم مصطفى غالب .
 - الطبعة الأولى ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م .
 - المؤسسة الجامعة للدراسات والنشر .
- ٧٤ - محاضرات في النصرانية .
 - الإمام محمد أبوزهرة .
 - الطبعة الخامسة ١٣٩٧ هـ - ١٩٧٧ م .
 - دار الفكر العربي .
- ٧٥ - مختصر تفسير ابن جرير الطبري ، اختصار وتحقيق .
 - الشيخ محمد علي الصابوني . الدكتور صالح أحمد رضا .
 - الطبعة الأولى ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م .
 - دار القرآن الكريم - بيروت .

- ٧٦ - مختصر تفسير ابن كثير - اختصار وتحقيق .
 - الشيخ على الصابوني
 - الطبعة السابعة ١٤٠٢ هـ - ١٩٨١ م
 - دار القرآن الكريم - بيروت
- ٧٧ - مذاهب فكرية معاصرة .
 - الأستاذ محمد قطب
 - الطبعة الأولى ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م
 - دار الشروق - بيروت
- ٧٨ - مسند الإمام أحمد بن حنبل الشيباني .
 - الطبعة الثانية ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨ م
 - المكتب الإسلامي للطباعة والنشر
- ٧٩ - المسيحية (مقارنة الأديان) .
 - الدكتور أحمد شلبي
 - الطبعة الثانية ١٩٦٥ م
 - مكتبة النهضة المصرية
- ٨٠ - مشكاة الأنوار الهادمة لقواعد الباطنية الأشرار .
 - الإمام يحيى بن حمزة العلوي
 - تحقيق وتقديم الدكتور محمد السيد الجليند
 - الطبعة الثالثة ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م
 - الدار اليمنية للنشر والتوزيع

- ٨١ - معالم تاريخ الإنسانية .
هـ . ج . ولز . ترجمة عبد العزيز توفيق حامييد .
الطبعة الثانية ١٩٦٧ م .
مطبعة لجنة التأليف والترجمة . القاهرة .
- ٨٢ - معركتنا مع اليهود .
الشهيد سيد قطب .
الطبعة الأولى ١٣٨٩ هـ - ١٩٧٠ م .
دار الشروق جده .
- ٨٣ - مفاتيح الغيب .
الإمام فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين الرازي .
الطبعة الأولى .
التزام عبد الرحمن محمد بميدان الجامع الأزهر .
بمصر .
- ٨٤ - المفسدون في الأرض .
س . ناجي .
الطبعة الثانية ١٩٧٣ م .
العربي للإعلان والنشر والطباعة . دمشق .
- ٨٥ - مقدمة ابن خلدون .
عبد الرحمن بن خلدون .
مكتبة التجارية الكبرى .
- ٨٦ - مكايد يهودية عبر التاريخ .
الشيخ عبد الرحمن حسن حبنك الميداني .
الطبعة الرابعة ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م .
دار القلم . دمشق .

٨٧ - المل والنحل .

أبو الفتح محمد عبد الكرم بن أبى بكر أحمد الشهرستانى .

تحقيق محمد سيد كيلانى ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م .

دار المعرفة للطباعة والنشر . . . بيروت .

٨٨ - الموسوعة العربية الميسرة .

بإشراف محمد شفيق غريال .

الطبعة الثانية ١٩٨٢ م .

دار الشعب .

(*)

٨٩ - ميزان الاعتدال فى نقد الرجال .

الحافظ شمس الدين محمد بن أحمد الذهبى .

الطبعة الأولى ١٣٨٢ هـ - ١٩٦٣ م .

بتحقيق محمد على البجاوى .

دار أحياء الكتب العربية .

” ن ”

٩٠ - النشرات الإسلامية بيان مذهب الباطنية وطلانه منقول من كتاب

قواعد عقائد آل محمد .

محمد بن الحسن الديلمى .

مطبعة الدولة ١٩٣٨ م .

استنبول (إسلام بول) .

٩١ - النفاق والمنافقون فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم .

إبراهيم على سالم .

الطبعة الثانية ١٣٨٩ هـ - ١٩٦٩ م .

الشعب .

×

(*) موقف الإسلام من نظرية ماركس للتفسير المادى للتاريخ أحمد العوايشة

الطبعة الأولى ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م (دار مكة للطباعة والنشر والتوزيع

”هـ“

- ٩٢ - هداية الحيارى فى أجوبة اليهود والنصارى .
 - الإمام ابن القيم الجوزية .
 - مؤسسة مكة للطباعة والإعلام .
- ٩٣ - الهزيمة والنصر عبر تاريخنا الاسلامى .
 - (*)
 - شوق أبو خليل .
 - الطبعة الأولى ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م .
 - دار الفكر .
- ٩٤ - همجية التعاليم الصهيونية .
 - بولس يوحنا مسعد .
 - تقديم محمد خليفة التونسي .
 - الطبعة الأولى ١٩٦٩ م .
 - دار الكتاب العربى - بيروت .
- ٩٥ - يسوع المسيح شخصه تعاليمه .
 - بولس إلياس اليسوى .
 - الطبعة الثانية ١٩٦٦ م .
 - مطبعة الكاثوليكية - بيروت .
- ٩٦ - اليهود بين الدين والتاريخ .
 - صابر عبد الرحمن طعيمة .
 - الطبعة الأولى ١٩٧٣ م .
 - شركة الطباعة الفنية المتحدة .

(*) هذا الكتاب هو (عوامل الهزيمة) تابع حرف (ع) .

- ٩٧ - اليهود في القرآن الكريم .
- عفيف عبد الفتاح طيارة .
- الطبعة الثانية ١٩٨٠ م .
- دار العلم للملايين . بيروت .
- ٩٨ - اليهودية (مقارنة الأديان) .
- د / أحمد شلبي .
- الطبعة الثانية ١٩٧٣ م .

المجالات الإسلامية :

- ١ - الدعوة : وإسلامية أسبوعية جامعة تصدر عن :
مؤسسة الدعوة الإسلامية الصحفية . السعودية .
- ٢ - المجتمع : وإسلامية أسبوعية تصدر عن :
جمعية الإصلاح الإجتماعي - الكويت .
- ٣ - محاضرات الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة .
- الموسم الثقافي للعام الدراسي ٩٨ - ١٣٩٩ هـ .

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
المقدمة	أع
الباب الأول	

اليهود وتحريفهم لما جاء به موسى عليه السلام .	١ - ٩٤ .
الفصل الأول : نظرة عامة حول العقيدة .	٢ .
١ - تعريف العقيدة .	٣
أ - تعريف العقيدة لغة .	٣ - ٤ .
ب - تعريف العقيدة اصطلاحاً	٤ - ٨ .
٢ - إجمال العقيدة التي جاء بها الأنبياء	
والمرسلون .	٩ - ١٦ .
٣ - عقيدة بنى إسرائيل الأولى .	١٧ - ٢٠ .
٤ - إنحراف اليهود عن عقيدتهم بعد موسى عليه	
السلام .	٢١ - ٢٣ .
٥ - عبادتهم للعجل .	٢٤ - ٢٧ .
٦ - التوراة .	٢٨ - ٣١ .
٧ - تحريفهم للتوراة	٣١ - ٣٦ .
أولاً : ما يتعلق بذات الله سبحانه وتعالى	٣٦ - ٣٩ .
ثانياً : ما يتعلق بعصمة الأنبياء .	٤٠ - ٤٣ .
الفصل الثانى : عوامل انحراف اليهود العقدي	٤٤ .
١ - تأثرهم بالوثنية الفرعونية وعقائدها	٤٥ - ٤٩ .
٢ - الكبر والحسد الذميم المفرط .	٤٩ - ٥٤ .

تابع من فهرس الموضوعات

<u>الموضوع</u>	<u>الصفحة</u>
٣ - حبهم الشديد للعال ، وأدلة استحلالهم أموال الناس .	٥٤ - ٦٤ .
٤ - حبهم الشديد للحياة الدنيا وتعلقهم بها .	٦٤ - ٦٥ .
٥ - الرغبة الشديدة بالفسق والفجور والعصيان نماذج من فسقهم وعصيانهم	٦٥ - ٦٧ .
الله يرفض شفاعة الأنبياء فيهم .	٦٨ - ٧٤ .
٦ - نشأة الفلو وعقدة الاستعلاء على الشعوب لدى اليهود .	٧٤ - ٧٦ .
الفصل الثالث : اختلاف فرقهم حول قضايا إعتقادية	٧٦ - ٨٤ .
١ - الفريسية وآراؤها الاعتقادية .	٨٥ - ٩٠ .
٢ - الصدوقية وآراؤها الاعتقادية .	٩٠ - ٩٢ .
٣ - السامرة وآراؤها الاعتقادية .	٩٢ - ٩٣ .
٤ - العنانية وآراؤها الاعتقادية .	٩٣ - ٩٤ .

الباب الثاني

إفساد اليهود العقيدة المسيحية .	٩٥ - ١٣٤ .
الفصل الأول : العقيدة التي أنزلت على عيسى عليه السلام .	٩٦ .
١ - إنحراف بنى إسرائيل عن العقيدة الصحيحة .	٩٧ - ٩٨ .
٢ - عيسى عليه السلام والعقيدة التي دعا إليها .	٩٩ .
أولا : من هو عيسى المسيح عليه السلام .	٩٩ - ١٠١ .
ثانيا : ماهى دعوة عيسى عليه السلام .	١٠١ - ١٠٥ .

تابع فهرس الموضوعات

<u>الموضوع</u>	<u>الصفحة</u>
٣ - موقف بنى إسرائيل من دعوة عيسى عليه السلام .	١٠٦ - ١٠٧ .
الفصل الثانى : المسيحية بعد عيسى عليه السلام .	١٠٨ .
١ - العقيدة فى عهد الحواريين .	١٠٩ .
أ - من هم الحواريون .	١٠٩ - ١١٠ .
ب - عقيدة الحواريين .	١١٠ - ١١١ .
٢ - بولس وتحريفه العقيدة المسيحية .	١١٢ .
أولا : التعريف ببولس .	١١٢ - ١١٤ .
ثانيا : دخول بولس فى المسيحية .	١١٤ - ١١٨ .
ثالثا : بولس وتحريفه المسيحية .	١١٨ - ١٢٧ .
٣ - الإمبراطور الرومانى " قسطنطين " وأخذه بفكرة بولس بعد اعلانه الدخول فى النصرانية .	١٢٨ - ١٣١ .
٤ - مجمع نيقية وارسا * قواعد نصرانية بولس .	١٣٢ - ١٣٤ .

الباب الثالث

محاولات اليهود افساد عقائد المسلمين .	١٣٥ - ١٩٨ .
الفصل الأول : محاولاتهم فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم .	١٣٦ .
١ - حالة سكان المدينة المنورة أثناء هجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم اليها .	١٣٧ - ١٤٥ .
٢ - أمثلة من محاولاتهم .	١٤٥ - ١٥٨ .
الفصل الثانى : محاولات اليهود افساد عقيدة المسلمين فيما بعد عصر رسول الله صلى الله عليه وسلم .	١٥٩ .

تابع فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
١ - عبد الله بن سبأ ودوره في محاولة افساد عقيدة المسلمين .	١٦٠ - ١٦٢ .
العقائد التي جاء بها عبد الله بن سبأ .	١٦٢ .
١ - الرجعة .	١٦٢ - ١٦٥ .
٢ - الوصية .	١٦٥ - ١٦٦ .
٣ - قوله بنبوة على رضى الله عنه .	١٦٦ .
٤ - قوله بالوهمية على رضى الله عنه .	١٦٦ - ١٦٧ .
٥ - زعمه أن القرآن جزء من تسعة أجزاء .	١٦٨ .
٦ - زعمه أن دابة الأرض التي ذكرت في القرآن هي على رضى الله عنه .	١٦٨ - ١٦٩ .
٧ - زعمت السبائية أن روح القدس تنتقل في الأئمة .	١٦٩ - ١٧٠ .
٢ - دور الفرق الباطنية في محاولة افساد عقيدة المسلمين .	١٧٠ - ١٧٤ .
عقائد الباطنية .	١٧٤ .
١ - معتقدهم في التوحيد .	١٧٤ - ١٧٩ .
٢ - معتقدهم في النبوات .	١٧٩ - ١٨٢ .
٣ - معتقدهم في المعاد والجنة والنار .	١٨٢ - ١٨٥ .
٤ - معتقدهم في القرآن .	١٨٥ - ١٨٦ .
٥ - معتقدهم في الإمامة .	١٨٦ - ١٩٠ .
٦ - الظاهر والباطن .	١٩٠ - ١٩٨ .

تابع : فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
<u>الباب الرابع</u>	
الأثار المترتبة على إفساد اليهود العقيدة	
ونشر الحاد والكفر بالله ورسله واليوم الآخر .	١٩٩ - ٢٦٦ .
الفصل الأول : الأثار التي ترتبت على إفساد اليهود	
عقيدتهم .	٢٠١ .
١ - الكفر بالله عز وجل .	٢٠١ - ٢٠٦ .
٢ - الكفر باليوم الآخر .	٢٠٧ .
٣ - الإفساد في الأرض .	٢٠٧ - ٢١٠ .
٤ - قسوة قلوبهم .	٢١٠ - ٢١٣ .
٥ - عدم انتفاعهم بهدى الله سبحانه .	٢١٣ - ٢١٥ .
٦ - ضرب الله عليهم الذلة والمسكنة .	٢١٥ - ٢١٧ .
٧ - طردهم من رحمة الله .	٢١٧ - ٢٢١ .
الفصل الثاني : الأثار التي ترتبت على إفساد	
اليهود العقيدة المسيحية .	٢٢٢ .
١ - الكفر بالله تعالى .	٢٢٤ - ٢٣٠ .
٢ - اتخاذهم رهبانهم أربابا من دون الله .	٢٣٠ - ٢٣٩ .
الفصل الثالث : الأثار التي ترتبت على محاولة اليهود	
إفساد العقيدة الإسلامية .	٢٤٠ .
١ - الإسرائيليات في تفسير كلام الله عز وجل .	٢٤١ - ٢٥٢ .
من آثار الإسرائيليات .	٢٥٣ - ٢٥٦ .
٢ - تخلف المسلمين عن موكب الحياة نتيجة لتلك	
المحاولات .	٢٥٦ - ٢٦٦ .

تابع فهرس الموضوعات

<u>الموضوع</u>	<u>الصفحة</u>
أسباب النصر .	٢٦٧ - ٢٨٣ .
من صفات السلف الصالح .	٢٦٨ - ٢٧٣ .
إعادة بناء الأمة .	٢٧٤ - ٢٧٨ .
قائمة المراجع .	٢٧٨ - ٢٨٣ .
فهرس الموضوعات .	٢٨٤ - ٣٠٢ .
	٣٠٣ - ٣٠٨

الخاتمة